

عالم القصور : تراث وتنمية

التحرير

لتقديم صورة متكاملة عن عالم القصور يختلف أبعاده يتضمن هذا العدد ملفاً مصوراً للقصور في الجنوب الشرقي التونسي وكذا لبعض قصور جبل نفوسة والجنوب المغربي. وذلك لأن القصور هي مخازن جماعية للحاصل الزراعي في التخوم الصحراوية بالجنوب الغربي حيث تقل التساقطات ويكون الإنتاج الفلاحي ضعيفاً غير منظم ويضطر السكان إلى حماية مذكراتهم الغذائية من أجل البقاء.

وهذا الملف الذي يتضمن خرائط وصور ومعطيات تفصيلية حول القصور هو نتيجة برنامج بحث تونسي ألماني، اشترك فيه الأستاذ هيربرت بوب والأستاذ عبد الفتاح القاصع. ويتطرق الملف المصور إلى الإطار الجغرافي العام للقصور مغارياً وإقليمياً، ثم يقدم أصناف القصور في وحدتها وتنوعها كما يستعرض مختلف مكونات القصور وتحولاتها، ويتضمن إلى هذا وذاك قائمة القصور والخريطة التي تحدد موقعها والتي صدرت ضمن كتاب: أطلس القصور للمؤلفين.

وتمثل مقالة الأستاذ محمد غريب بوطالب مدخلا مناسباً لوضع القصور في سياقها الحضاري والإحياء بمختلف أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والمعمارية والثقافية. إذ

هذا العدد من الحياة الثقافية نخصه لعالم طريفة ومتميزة في الجنوب الشرقي التونسي، يعود تأسيس البعض منها إلى قرون عديدة كما تدلّ على ذلك الشواهد التاريخية، وقد تعود جذور نشأتها إلى عصور ضاربة في القدم. استلهمت في عمارتها ووظائفها من مؤثرات حضارية متنوعة، متوسطية وصحرانية، عربية وعربية. وهي تعكس التلال الجبلية المنهارة كما تنحدر في الهضاب والسهول المنبسطة. استغلها السكان المستقرون كما استغلها القبائل البدوية المتنقلة. إنها القصور التي تثير الإعجاب والفصول رغم أنها فقدت منذ سنوات عديدة وظيفتها الأصلية المتمثلة في تخزين الإنتاج الفلاحي للسكان المستقرين والبدو الرحل في هذه التخوم شبه صحراوية.

ومثار الإعجاب والدهشة أنها بنايات صمدت أمام تحديات الزمن وهجمات الأعداء وما زالت تمثل شواهد حيّة على زمن الجوع والحرمان وكذلك رموزاً لتثبيت الإنسان بالأرض رغم قسوة المناخ وجذب الطبيعة. وهي خير شاهد على الروابط الوثيقة بين الإنسان وبيئته في هذه المناطق القاحلة وعلى حرص الإنسان على الاستفادة القصوى من الموارد المحدودة والتأقلم مع المخاطر ومواجهة التحديات.

يؤكد الباحث على أهمية هذا التراث وما يحتاجه من مزيد العناية وتوظيفه توظيفاً ملائماً يحافظ على ثراء الثقافة المحلية ويدعم مكاسب الاقتصاد الوطني.

وتقدم بقية مقالات العدد إسهامات متكاملة حول هذه الظاهرة المعقدة.

القصور وتعدد المقاريات

أثارت القصور اهتمام الباحثين من مختلف التخصصات العلمية، كما ألهمت المبدعين في مختلف مجالات الفن والأبداع، وهي تمثل اليوم مجالا خصبا للإبتكار والإلهام، وما زالت تثير إعجاب السياح والزوار. وقد جمعنا في هذا العدد عينة من المقاريات بغية تقديم صورة متكاملة عن عالم القصور بأبعاده التاريخية والجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والثقافية. ولاشك أن في عالم القصور ما يغري بمزيد التعمق والبحث وما يُنشط الإلهام والأبداع وهو ما يسمح بإعادة الاعتبار لما كان في السابق مخازن جماعية للغذاء وعند الحاجة للاحتواء، وما هو اليوم تراث ثقافي فريد وسميَّ جدير بالقيِّة والتوظيف.

لا تزال المقاربة التاريخية للقصور تحظى بأهمية كبيرة. فمُنذ الفترة الاستعمارية اهتد الفساط الفرنسيون بوصف هذه المباني وتقدُّمها لمعاصريهم لما مثله من طرافة وغرابة حرصا منهم على فهم المجتمعات التي سيطروا عليها وغط عيشتهم حتى يتمكنوا من إحكام سيطرتهم على السكان والأرض.

وقد مثلت القصور قلاع مقاومة ومراكز اجتماع ورموز تثبيت بالأرض لذلك لم تسلم من التخريب والتهديم منذ الفترة الاستعمارية. وكان بناء أسواق جديدة ومراكز إدارية جديدة بعيدا عن القصور والقرى الجبلية يهدف إلى تغيير التنظيم الترابي والتحكين للسيطرة الاستعمارية. ولا تزال هذه الدراسات التي أنجزت في السنوات الأولى من الاحتلال رغم خلفيتها الاستعمارية مرجعا مهماً لدراسة القصور في النصف الأول من القرن العشرين (أنظر قائمة المراجع).

وبالإضافة لهذه الدراسات اهتم المؤرخون بالقصور باعتبارها شواهد على التعمير في المنطقة وعلى تطور الروابط الاجتماعية والعلاقات مع السلطة المركزية. وكان تاريخ بناء القصور وتغير خريطة التعمير وتبدل الأحلاف القبلية من أهم المسائل التي أثارت اهتمام المؤرخين.

و لا تزال المقاربة التاريخية للقصور تثير الدراسة والبحث. فالباحث الهاشمي الحسين يكشف بالاعتماد على المعينة الميدانية والمسح الأثري السطحي عن ثراء المخزون الأثري لجبل دمر وعن تعدد شواهد التعمير عبر مختلف العصور في هذا المجال الجبلي الوعر وشبه الجاف والذي لا يخلو من موارد مائية وزراعية تبقى رغم ندرتها وعدم انتظامها موردا نادرا وثمينا وعنصر جذب للاستقرار والعمران.

وتواصل المقاربة التاريخية مع الباحث محمد الهادي غمراسن في محاولة لاستكشاف جذور التعمير في منطقة غمراسن بالاعتماد على المصادر التاريخية والذاكرة الشعبية والمسح الأثري السطحي. والمؤكد أن استقرار الإنسان في نخل البوع كان منذ عصور ما قبل التاريخ كما تدل على ذلك الرسوم الجدارية التي تم اكتشافها في مواضع عديدة، كما تواصل التعمير في مختلف الفترات الزمنية، ثم كان لقلعة نفيق، كما يسميها التيجاني، وهي القصر والمخزن الجماعي، دور رئيسي في بروز غمراسن باعتباره نواة تعمير واستقرار في هذا القطاع الأوسط من جبل دمر.

و لا تزال الجذور التاريخية للقصر تثير فضول الباحثين واهتمام. وفي هذا الإطار تنزل مقالة الباحث علي التابتي الذي سعى من خلال دراسة قصر زنادة إلى القوص في تاريخ هذا المعلم واستكشاف أسرارها. ولئن كانت المصادر التاريخية والأدبية حول القصور نادرة جداً، فإن قصر زنادة أو القصر القديم يروي تاريخه بنفسه بما حافظ عليه من نقوش وزخارف ومعمار وتخطيط شبه فريد بالجهة.

والتشريع والقضاء. وقد تراوحت مواقف السلطة المركزية بين توظيف القصور للسيطرة على المجال والاتصال بشيوخ القبائل لطلب الثمرة أو لجمع الضرائب أحيانا واعتبرتها مراكز معادية ومنافسة نظرا لما توفره القصور من استقلالية واكتفاء ذاتي وتعمّد، أحيانا أخرى.

وهذا البعد السياسي والسيادي للقصور يظهر بشكل واضح في ما آلت إليه قصور جبل نفوسة في ليبيا. فنجل نفوسة كان يضمّ عشرات القصور التي كانت تمثل عمدة للسلطة العثمانية في طرابلس، إذ لم تجد السلطات العثمانية وسيلة لإخضاع سكان الجبل لسيطرتها وسيادتها أفضل من تخريب معظمها. فشكل التخريب 54 قصرا وأكثر من 10 آلاف غرفة.

ويقدم الباحث مسعود أبو عبد الله وصفا وتشخيصا لبعض القصور المتبقية والتي صمدت أمام التهديم العثماني والتخريب الإيطالي وهي قصر نالوت وقصر كهر وقصر الحاج.

وليس غريبا لما تمتلكه مجتمعات القصور من قيم الاستقلالية وثبتت بالأرض ووقاء وصبر واكتفاء بالقليل، أن تكون القصور قلاع مقاومة وملاجئ آمنة للمناضلين ضد الاستعمار، وهو ما أكدّه الباحث عمّار السوفي من خلال دراسته لوضع القصور في الفترة الاستعمارية ودورها في الحركة الوطنية. ففي الوقت الذي شهدت فيه عديد القصور التخريب والتهديم والنهب والحرق، تشكلت في معظم قصور الجنوب الشرقي خلايا مقاومة للاستعمار ساهمت بمختلف الأشكال في معارك التحرير، وهو ما يجعل اليوم عددا كبيرا من هذه القصور معالم تاريخية مرتبطة بالذاكرة الوطنية المقاومة والمناضلة.

من المخزن الجماعي إلى التراث الثقافي

لقد توقفت وظيفة تخزين المواد الفلاحية للقصور بصورة تدريجية ثم نهائية منذ منتصف القرن الماضي. وأمام هذه المباني التي لم تعد تستغل في وظيفتها الأصلية مع تسلل

وليتمكن القارئ من تصوّر ما كان يزخر به القصر من حياة اجتماعية ومن وظائف اقتصادية ومن أدوار ثقافية يقدم الباحث الضاوي موسى عرضا شاملا وطريفا عن مختلف الحرف والصناعات التي كان يحتضنها القصر وسقيته أو التي كانت تنتشر في المغاور والمساكن الجفيرة المجاورة. فالقصر هو عالم حيّ يتفاعل مع محيطه ويقدم خدمات متنوعة لمستعمليه ويوفر الحد الأدنى من الأمن والرعاية لمجتمعات تواجه باستمرار مخاطر الجوع والخوف.

ولعل في الدراسة التي قدّمها الباحث منصور بوليفة عن قصر بني بركة خير مثال عن الدور الكبير والخطير الذي كان يضطلع به القصر في هذه الربوع. ولا شك أنه ليس من السهل على من اعتاد أن تكون الأسواق والمتاجر في فضاءات مفتوحة أن يفهم وأن يتقن بأن قصر بني بركة الذي يترى فوق قمة عالية مستعصية كان إلى وقت قريب وقبل انتصاب الحماية سوقا تجارية نشيطة ومحطة رئيسية في طريق القوافل الصحراوية التي تربط واحة غدامس بالموانئ المتوسطية. إن دواعي الأمن والحفاظ على البضائع الثمينة والمنوعة التي يتبادلها كانت تحتم هذا الوضع الغريب من يتطور العصر الحاضر والذي كان عاديا ومألوفا في العصر الحديث ثم تلاه تزكيد قصور البرزلية وبولسوار والحلتوف وغيرها.

القصور : وظائف ومواقف

إن كثرة القصور في الجنوب الشرقي التونسي ظاهرة أشارت إليها معظم الدراسات المتعلقة بالموضوع ولكن نادرا ما تجد إحصاء وتصنيفا وتوصيفا شاملا لجميع القصور. ولذلك فإن ما قام به الباحث كمال العروسي من معهد المناطق القاحلة قاحلين من إحصاء شامل لهذه القصور سنة 2003 ومن قراءة اجتماعية والتروبولوجية لهذا التراث يمثل خطوة كبيرة في هذا الاتجاه. وقد بين الباحث التنوع الوظيفي للقصور عبر العصور فقد كانت في نفس الوقت: مخازن معيشية للقبائل وملاذآ آمنًا زمن الاضطرابات، ومراكز هامة للاجتماع والتبادل والخدمات

وفي كلّ الحالات هناك حاجة متأكدة للابتكار والإبداع من أجل تحقيق توظيف ناجع وطريف للقصور. ويحمل الإبداع الشعري والأدبي إحدى مجالات الإبداع المتجددة في عالم القصور. وتجتسم قصيدة الشاعر المبروك الحمدي وعلي الجليدي إحدى هذه الإبداعات الشعرية الخالدة. وفي زمن تكنولوجيات الاتصال والمعلوماتية والانتاج السمعي البصري تمثل القصور فضاءات مناسبة للإبداع، كما بين ذلك الأستاذ محمد عبازة.

فقد شهدت عديد القصور تصوير أشرطة سينمائية ذات شهرة عالية، مثل حرب النجوم، الذي تمّ تصوير بعض حلقاته في قصر الحدادة، وقصر بني غدير الذي كان كواليس لتصوير مسلسل تلفزيوني.

ومجالات التوظيف الفني والسمعي البصري للقصور متعددة مثل المسرح والسينما والوسائل السمعية البصرية المتعددة الوسائط.

وتبقى القصور بالجنوب الشرقي تراثا فريدا ومنتزعا بتعين صيانه وتوظيفه، حفاظا على الذاكرة والهوية من جهة وتبني الخصوصيات الثقافية والاجتماعية وحضارية من جهة أخرى. وهذه الخصوصيات هي التي تكون رافدا للتنمية المحلية والإقليمية في زمن العولمة. كما أن القيم التي قامت عليها القصور لا تقل طرافة وحداثة وهي جدرة بالإحياء والصيانة مثل التنمية المستدامة والاكتفاء الذاتي والتيسير الجماعي.

الخراب إليها، كانت النظرة السائدة إليها بعد الاستقلال على أنها من مخلفات الماضي، القبلي والعروشي، وأنها مخالفة للحدادة والرقّي والتقدم. لذا وقع هدم الكثير منها، مثلما حصل في مدين التي كانت تمثل أكبر تجمع للقصور في الجنوب الشرقي. وهو ما يتّنه الباحث الطاهر ضيف الله الذي لفت الانتباه إلى التحول في الموقف الرسمي من قصور مدين، إذ تتغير بصورة تدريجية من سياسة التهديم والتدمير إلى سياسة الصيانة والترميم.

إلا أنّ المعضلة تبقى في التوظيف الجديد للقصور المرتمة. فلا مجال لإعادة استخدامها في خزن المحاصيل الفلاحية بل لابدّ من ابتكار وظائف تحافظ على خصائص القصور المعمارية وتدمجها في المنظومة الاقتصادية الجديدة.

ويحمل التوظيف السياحي إحدى مجالات الاستثمار التي حظيت بالأولوية في عديد القصور المرتمة. غير أن تحليل تجربة التوظيف السياحي للقصور وتقييمها تبين أن السياحة لا تمثل الحلّ السحري لإعادة الحياة والاعتبار لهذه المعالم. وهو ما يتّنه الباحث زايّد الهمامي من خلال دراسته لثلاث قصر زموّر الذي قامت بتريمه جمعية تنمية وتسعى إلى توظيفه سياحيا. ويؤكد بالخصوص من خلال هذا المثال أن التنمية السياحية وتحديد السياحة الثقافية التي يقوم عليها التوظيف السياحي للقصور، تحتاج إلى تضافر جهود عديدة والتنسيق بين عديد المتدخلين ومراعاة المعطيات المحلية، البيئية والاجتماعية والثقافية.

المصادر والمراجع

ابراهيم أولميان أشماخي (1898): قصور ومسالك جبال نفوسة، نشر وتعرّيب من الأمازيغية محمد حمام، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية الرباط سنة 2004، 198 ص.
أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر القرطبي النفوسي: القسمة وأصول الأراضي كتاب في فقه العمارة الإسلامية، تحقيق وتعليق وتقديم محمد صالح ناصر ويكر بن محمد الشيخ يلحاج، مكتبة الضاري سلطنة عمان 1993، 528 ص.

- عقار السوفي 2001: بني حدادش وجيراتها عبر الحركات النضالية (من الحركة التمردية إلى المقاومة اليوسفية)، تونس 240ص.
- تحتي ليسيير 1998: قبائل أقصى الجنوب التونسي تحت الإدارة العسكرية الفرنسية تبع ورغمة نموذجاً 1881-1939، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان 394ص.
- محمد الفاضل التويري 1990: تصوّر لصيرورة مكان إحياء قصور مدلين، أطروحة مرحلة ثالثة هندسة معمارية، للمدرسة الوطنية للهندسة المعمارية والتعمير بتونس 93ص.
- محمد الناصر بالطيب 1998: بتقدان بين التاريخ والتراث، الطبعة الرسمية تونس، 348ص.
- محمد حسن 1990: المدينة والبادية في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى، جزماء 863ص.
- محمد نجيب بوطالب 2002: القبيلة التونسية بين التغير والاستمرار، الجنوب الشرقي من الاندماج القبلي إلى الاندماج الوطني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس، 534ص.
- Arena Marinella & Raffa Paola 2007 : Ksour della regione di Tataouine. Edizioni Kappa Roma.
- Baklouti Naceur 2000 : Vers les pays des ksour. -In : Ifriqiya Treize siècles d'art et d'architecture en Tunisie. Déinctér Edisud Tunis, pp 250-277.
- Ben Ouezdou Hédi 2001: Découvrir la Tunisie du Sud : De Matmata à Tataouine. Ksour, jessour et troglodytes. - Tunis 2001, 78p.
- Blanchet P. 1897: Le Djebel Demmer. - Annales de Géographie 6, pp. 239-254. [avec planche hors-texte]
- Bossutrot Auguste 1910 : Notes sur l'habitation Ksar du Sud; traduit du français par Ayoub Abderrahmane, Sfax 1978, 29p.
- Capot-Rey Robert 1956: Greniers domestiques et greniers fortifiés au Sahara, le cas du Gourara; Travaux de l'Institut de Recherches Sahariennes, Tome XIV, pp. 139-153.
- Carton L. 1913: Ksour et troglodytes de la Tunisie. - Bulletin de la Société de Géographie de Lille XX., pp. 128-134. <http://Archivebeta.Sakhril.com>
- Despois Jean 1934: L'habitation dans le Djebel Nefous. - Revue Tunisienne, N.S. N° 18/19, . pp. 277-316.
- Despois Jean 1953: Les greniers fortifiés de l'Afrique du Nord. - Les Cahiers de Tunisie 1, pp. 38-60.
- Faublée-Urbain Marcelle 1951: Magasins collectifs de l'Oued el Abiod (Aurès); Journal de la Société des Africanistes, Volume 21, Numéro 2, pp.139-150.
- Golany Gideon S. 1988: Earth-Sheltered dwellings in Tunisia, ancient lessons for modern design; Delaware Press USA 164p.
- Jacques-Meunier D. 1944: Les greniers collectifs au Maroc; Journal de la Société des Africanistes, Volume 14, Numéro 1, p.1-16.
- Jacques-Meunier Djan 1951 : Greniers-citadelles au Maroc. 2 volumes - Paris 1951 (= Publications de l'Institut des Hautes Études Marocaines, vol. 52).
- Kioua Regaya, Reikik Ridha 2005: Les spécificités architecturales du Sud tunisien, répertoires et recommandations. Noha Editions Tunis, 249p.
- Laroussi Kamel 2008: Le Ksar, vestige des temps nomades; Revue des régions Arides n°20; Actes

de l'atelier «diversité du patrimoine culturel et naturel dans le Sud-Est tunisien: problématique de la conservation/valorisation» pp.47-96.

Louis André 1965 : Greniers fortifiés et maisons troglodytes : Ksar-Djouama. – Revue de l'Institut des Belles Lettres Arabes N° 112 (4e trim.) , pp. 373-400.

Louis André 1971 : Habitat et habitations autour des Ksars de montagne dans le Sud Tunisien. – IBLA, Revue de l'Institut des Belles Lettres Arabes N° 128, pp. 123-148.

Louis André 1975 : Tunisie du Sud. Ksars et villages de crêtes. – CNRS Paris (Publications du Centre de Recherches et d'Etudes sur les Sociétés Méditerranéennes, Série : Etudes Tunisiennes) 370p.

Macquart Emile 1905: Chez les troglodytes de l'extrême-Sud tunisien; Bulletin de la Société de Géographie d'Alger, pp550-568.

Macquart Emile 1906: Les troglodytes de l'extrême sud tunisien; Bulletins et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris; vol.7, n°1, pp.174-187.

Maquart Capitaine 1937: Etude sur la tribu des Haoula (Territoire de Médénine). – Revue Tunisienne, N° 30 pp. 253-297.

Martel André 1965: Les confins saharo-tripolitains de la Tunisie (1881-1911). PUF Paris, 2 volumes 824 et 428p..

Moumni Youssef 1998: Conservation du patrimoine et développement. L'insertion du phénomène de Ksar dans le développement des régions arides du sud-est tunisien. – Revue des Régions Arides [Médénine] 10 (N° 1), pp. 93-106.

Mrabet Abdelatif 2004: La Tunisie du Sud. Sites et monuments. Ministère de la culture, Agence de mise en valeur du patrimoine et de promotion culturelle, Tunis 77p.

Naji Salima 2006: Greniers collectifs de l'Atlas patrimonial du Sud marocain; Editions Edisud Casablanca, La Croisée des Océans 301p.

Résidence Générale de France en Tunisie, Service des Affaires Indigènes 1931: Historique du bureau des affaires indigènes de Médénine; Bourg 37p.

Zaïed Abdelmad 2006: Le monde des ksours du Sud-est tunisien. – Centre de Publications Universitaires Tunis, 236p.

Zouari Mohamed 2008: Les ksour du Sud-est tunisien: décors importants et variés mais en danger; Revue des régions Arides n°20; Actes de l'atelier «diversité du patrimoine culturel et naturel dans le Sud-Est tunisien: problématique de la conservation/valorisation» pp.33-40.

الأبعاد الحضارية لظاهرة القصور بالجنوب الشرقي

محمد نجيب بوطالب (*)

فالبداية لم تكن حالة غالبية في كل مراحل التاريخ الحديث والمعاصر كما أنها لم تكن على الدوام دالة على غنى الحضارة بالمعنى الجدلوني للعبارة.

ومن جهة أخرى فالفرضيات التي صيغت متأثرة بالملف الكولونيالية حول العلاقة المتعارضة بين الجبل والسهل أصبحت بدورها بحاجة إلى مزيد الاستجلاء والتفكير النقدي. فالجبل باعتباره المجال الذي احتضن القصر بداية لم يكن منعزلا ولم يكن هامشيا، فالهامشية كانت نسبية كما كانت تظهر في بعض مراحل التاريخ. وليس في جميعها هذا ما ينسجم مع أطروحة كلتر (1) (E. Gellner) حول المجتمعات المغاربية الانقسامية. ولذلك فالجبل في جهة تطاوين لعب دورا فاعلا كمحطة أساسية على طريق السودان، كما كان متطابقا لحضارات عريقة حيث أن فروع قبائل زناتة مثلا لعبت أدوارا ثقافية واقتصادية هامة في إفريقيا الوسطى وبلاد السودان عن طريق محطات الجبال والمساكن التجارية التي كانت تتخلل هذه الجبال، حيث تم إنشاء

عرفت بلاد المغرب العربي في مجملها ظاهرة القصور كظاهرة معمارية تدل على التحضر واستقرار السكان في الجهات الجنوبية. والقصر هو من أهم المنشآت المعمارية في جنوبي المنطقة المغاربية، استطاع أن يحقق علاقة متوازنة بين السكان ومحيطهم الطبيعي بالتأثر المستمر بالمجال الصحراوي من جهة وبالعنصر مركز الحكم وما يصحبه من اختلافات اجتماعية من جهة أخرى.

وبناء على هذه الأهمية يمكن إعادة النظر في بعض الفرضيات التي صاغتها المدارس السوسير- تاريخية الغربية وطبقها أتباعها في المنطقة دون نقد أو تعديل، ومنها أن القصر كنمط معماري تميزت به المنطقة قد توازى وجوده واستعماله مع انتشار النمط البدوي ولم يكن على الدوام نقيضا له. فقد حمل القصر معه خصوصية سكانية اجتماعية وهي الجمع بين ثنائية الاستقرار والتبدي، وقد ميزت المنطقة عبر مختلف المراحل التي عرفت فيها هذه الظاهرة.

(*) جامعي، تونس

على عمليات التأثر والتأثير عبر نقل الأشكال الهندسية المعمارية السائدة في المدن المغاربية «السقيفة - النهج - الزنقة»، وأخرى مستوحاة من المواقع والمدن الأثرية القديمة ومنها الرومانية «الطوايق - الدهاليز - المعاصر». والإسلامية من خلال إضافة المساجد كنشآت حضارية ثقافية هامة، أخذت مكانها تدريجيا حول فضاءات القصور.

ب - الجانب الثقافي والاجتماعي:

كانت القصور فضاءات تواصل حضاري بين:
- المجموعات القبلية المحلبة المتجاورة بمختلف أحجامها وأصولها.

- بين المجموعات المحلية والوافدين لأغراض مختلفة من مركز الدولة أو من أهم مدنها وجهاتها أو من البلدان المجاورة (نحاز - أئمة - إداريين - عساكر - رحالة...)

فالقصور كانت فضاءات التواصل مع أقطار المشرق العربي من طريق الحج أساسا ثم عن طريق التعليم والتجارة. وأتت حدود هام من أبناء منطقة تيفراوين ومدن أخرى من بلاد المغرب مثل طنجة وبيروت وخاصة في المراحل المتأخرة. لكننا نجد كذلك العديد ممن عمقوا تحصيلهم الدراسي بجامع الأزهر ممن تولوا مراتب القضاء والعدالة والتدريس والأمانة بجهة الجنوب الشرقي في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين (2).

التواصل المحلي لسكان القصور :

لئن مثلت القصور فضاءات حضرية ناشئة عرفتھا المنطقة منذ العصر الوسيط كقرى وتجمعات موسمية تدل على الاستقرار وحركية النشاط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، فإنھا لعبت أدوارا تواصلية من خلال ما كانت توفره للسكان من فرص اللقاء والتفاعل في فضاء عرف باتساع المجال وبشظف

بعض القرى والقصور كمحطات أولى للراحة والتبادل مثلما هو الحال بالنسبة لقصر بني بركة.

لقد كانت القصور عبارة عن نقاط إشعاع ثقافي وسياسي واقتصادي بلا منازع في جنوبي المنطقة، كما كانت فضاءات انصهرت فيها الثقافات والعناصر الوافدة على منطقة الجنوب الشرقي خاصة من يهود وأفارقة وأوروبيين، فقد اندمجت تلك الثقافات وتركت بصماتها على جدران غرفها وفي أنماط الحياة اليومية بها. لذلك فالقصر كان فضاء معماريا حضاريا متطورا لأنه استطاع أن يستوعب مختلف الأنماط الثقافية الوافدة عليه وأن يواكب التغيرات الطارئة حوله دون أن يفقد خصائصه ووظائفه الأساسية.

ملامح التواصل الحضاري في القصور التونسية :

يمكن تلخيص أهم ملامح ومظاهر التواصل والإدماج في القصر كالتأثير الحضاري في تونس في العناصر التالية:

1- الجانب المعماري :

يتجسد التلاقح الحضاري في القصور في المواد التي يتكون منها وفي شكل وهندسة البناء وطبيعة الفاعلين فيه :

• مواد بناء ارتبطت عملية استعمالها بطبيعة المناخ وبما يعرض من أدوات ومواد في المحيط، وقد كان كثير منها يأتي من المناطق والمدن المجاورة كجرية والجريد وقابس وغيرها، فضلا عن الاستعمالات المحلية للجبس والجير والحجارة عن طريق الأفران وباستعمال الحطب المحلي.

• الحرفيون والبنائون الذين كان أغلبهم يتواجد على المنطقة من جهات مجاورة، وعديد منهم من الأقليات العرقية والدينية التي عاشت بالبلاد التونسية.

• الأنماط الهندسية للقصر التي اعتمدت على الدوام

العيش وفتح الموارد وما استتبع ذلك من تشتت السكن وتقطع النشاط.

لقد لعب القصر باعتباره نواة الجماعة ومجتمه هويتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية دور نقطة اللقاء بين السكان المحليين، ففي القصر تحفظ الذاكرة الجماعية وفيه تتم عمليات التنشئة الثقافية والاجتماعية عن طريق تعليم القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم مثلما تحفظ فيه ممتلكاتها المادية وغير المادية.

وفي القصر تعقد جلسات المجلس القبلي (الميعاد) الذي يتخذ القرارات الحاسمة في حالات السلم وفي حالات الحظر.

التقسيم الداخلي للقصور ووظائفها :

لقد لعبت القصور عبر التاريخ دورا مركزيا في حياة السكان باعتبارها مظهرها من مظاهر الاستقرار، مثلما مثلت الحيمة مظهرها من مظاهر الترحال والاستماع، وإن تعمق في وظائف القصر المتعددة كثيل يبرز هذا التداخل الذي كان قائما بين أنماط العيش في دوله مناخ شبه صحراوي.

ولعل هذا التكامل بين القصر والحيمة والتعاون بينهما في الحياة البدوية في المنطقة الجنوبية بما جعلها تتميز في بعض خصائصها عن أنماط البداوة الأخرى في البلاد التونسية.

فالقصر يقوم بوظيفة تخزين المتروجات الفلاحية المحلية على عكس ما يتصوره بعض المهتمين بالظاهرة من أنه كان معدا للسكن. وتوزع ملكية القصور بين القبائل والعشائر بحسب حجم السكان وقوة العدد والعدة ورصيد الجاه الموزع بينها كمجموعات. على أن ذلك ارتبط بطبيعة المراحل التاريخية التي يلعب فيها الانشطار والانصهار على حد التعبير الانثروبولوجي دورا فاعلا. فالمجموعات تكتسب مكانتها وقوتها وحضورها بحسب علاقاتها الداخلية والخارجية وبحسب علاقاتها بالسلطة المركزية والمحلية.

وإذا كان مرجع كل قصر القبيلة، ولبعض فروع كل قبيلة قصورها مثل غمراسن والجليدات والعمارة وغيرها، فإن الغرفة ملكية عائلية لكنها تحولت مع مرور الزمن وفي الفترة المعاصرة بالأساس إلى ملكية فردية ترتبط بالثروة والموقع الاجتماعي، تباع وتشترى داخل الأساق القرية.

وللقصر تقسيماته الاجتماعية على غرار تقسيماته الهندسية.

فهو يضم السقيفة والصحن والساحة والطوابق وغيرها من الأقسام لكن تلك العناصر لا تحضر في كل القصور على نفس الشاكلة. فهذه العناصر أتم وأشمل وأكمل في القصور الجبلية منها في القصور السهلية وخاصة تلك التي انشئت حول المراعي ومضاعن الفلاحة. مع بعض الاستثناء في قصور المدن التي اكتملت دائرتها وارتفعت طوابقها مع انتشار المراكز الحضرية خلال المرحلة الاستعمارية في أواخر القرن التاسع عشر. ومنها قصور مدنين وجرجيس وبنقردان التي اندثر أغلبها بفعل قصورات وسياسات تنمية خاطئة سادت خلال العشريتين الأولى من الاستقلال.

وعندما فاق قصر أصبح في بعض الفترات علامة تدل على المكانة الاجتماعية لأصحابه من العشائر والقبائل، فالحجم وعدد الغرف وعدد الطوابق بالإضافة إلى عناصر الجمالية والترتيب والتنظيم والمراقبة والحراسة، كل ذلك كان مؤشرا لمعرفة حجم المجموعات ومكانتها في المجتمع.

في التسمية وما يليقها :

عديدة هي التسميات والنسب التي تلحق بالقصور، فهي بين «قصور جبلية» وأخرى «صحراوية» وأخرى «بربرية». غير أن الدال أحيانا لا يطابق المدلول.

وهي بين قصور بالجمع «كقصور الجليدات» وأخرى مفردة كقصر العوايد، وثمة نطق خاص بحرف الغاف وبطريقة «سكون الراء»، «فصّر» على طريقة أهل الجنوب.

مواقعها في سهل الجفارة (3) وعلى مشارف مراعي الوعة . وثمة تصنيفات أخرى بحسب مؤشر آخر هو التجميع مثل القصور المجمعة التي عرف بها «مركز قيادة ورغمة»، أي مدينة مدين . ويضم هذا النمط عديد الساحات المفضية إلى بعضها البعض . أما القصور المعزولة فهي تلك التي أصبحت ملجأ للرعاة ومواشيهم عند الأنواء، وتوجد غالبيتها بالسهول بعيدا عن مراكز تجمع السكان وفلاحتهم حيث «أراضي الملك» .

هكذا فقد عرف القصر منذ القدم تحولات عديدة، فمن وظيفة الحزن إلى وظيفة تحقيق اللقاء، والتواصل بين السكان وبينهم وبين ممثلي السلطة المحلية، إذ كان القصر يلعب في مواسم الحصب وخاصة خلال فصل الصيف دورا اقتصاديا هاما من خلال النشاطات التي تضمثها بعض القصور باعتبارها أسواقا وفضاءات للتبادل التجاري، وقد تحولت بعض الغرف فيها إلى دكاكين لبيع المتوجات الاستهلاكية اليومية، فضلا عن تخصيص بعضها للنشاطات الحرفية كالحدادة والتجارة

التوظيفات الحديثة :

أما في المراحل الحديثة فقد تحولت بعض غرف القصر إلى محلات لطواحين الحبوب ودكاكين للبية الاحتياجات الاستهلاكية من عطرية وكتيبة ومحلات خياطة أو حياكة وغيرها . كما تم استغلال بعض القصور لإقامة محلات بالغرف لعرض الصناعات التقليدية أو لبيع مفاهي ونزل يؤمها السياح من الداخل والخارج، فضلا عن مهن السياحة التي اقتص بها كل من قصر الحدادة وقصر أولاد دباب وقصر الغرش بجهة تطاوين . كما وظفت قصور أخرى توظيفا ثقافيا من خلال تنظيم الحفلات والعكاظيات والمهرجانات (قصر الزهراء) . وقد خصت الدولة عديد القصور بالترميم والعناية مثل بعض قصور مدين والصمار والمزطورية وقلعة أولاد شهيدة وغيرها . لكن عمليات الترميم لم تكن دائما على الشاكلة اللازمة

ومن الملاحظ أن هذه التسميات المشار إليها أعلاه لم تكن دقيقة ولا مضبوطة لارتباط استخداماتها بحاجات يومية ودوافع سياحية أو احتفالية، رغم أن كل تسمية لا تخلو كما هو معروف في علم السيمولوجيا من موقف ودلالة .

وبمرور الزمن وتفاعل الإنسان مع محيطه عرفت منطقة الجنوب الشرقي أنماطا عديدة من القصور تحكمت في الفصل بينها العوامل البيئية والمناخية والطبيعية، كما تحكمت فيها العوامل السياسية والأمنية بالإضافة إلى العوامل الاجتماعية والاقتصادية .

وأهم تصنيف يبرز للدارس هو التصنيف الجغرافي الذي يقسمها إلى :

- قصور جبلية : وهي التي توجد في أعالي الجبال والمرتفعات، وقد أنشئت لأسباب أمنية بالأساس وتعرف في أغلبها بتوطن القبائل البربرية . وقد استخدمت للسكن في بعض المراحل إلى جانب استخدامهم للخرن في مراحل أخرى، ولكنها مثلت على الدوام مجالا شبه حضري مستقر يتم فيه تبادل الخبرات بين المجموعات المحلية وجيرانها .

- قصور سهلية : وهي امتداد للقصور الجبلية وقد انتشرت في سهل الجفارة وتوجد مدينين والقسم السهلي من بني خدش وأم التمر وجرجيس والموانسة وبنقردان، كما توجد بولاية تطاوين في معتمديتي الصمار والبئر الأحمر، وتوجد حول نقاط المياه وسهول الخرائة والمراعي، تستخدم للخرن أساسا إلى جانب تقديم الاحتياجات الفلاحية المحلية وخاصة منها الحرفية .

لقد ارتبط انتشار القصور السهلية خلال القرنين 18 و 19 بانتشار الأمن في المناطق السهلية وعلى السواحل حيث توقفت عمليات الغزو، كما ارتبط من جهة ثانية بالنمو السكاني السريع وانتشار الفلاحة وتوسع الطلب على تربية الماشية . لذلك فقد قُرِبت المجموعات السكانية التي أعادت انتشارها في المنطقة على ضوء هذه المتغيرات قصورها الجديدة جذو

من حيث احترام النمط المعماري ومواد البناء وأساليب التوظيف.

لقد، وصف الشعر الشعبي بجهة الجنوب لشرقي وظائف القصور وتفتى بحاسنها واتخر برموها وقيمها وعاداتها فالشاعر بن يحيى يقول :

العادات ديممة حبة

وأوتادها في غمنا مرسية

تبع معاني الملحمة الشعرية

وياسر شواهد في القصور عديدة

هاهي القصور معالم

عربي بناها والناس قاعد قايم

قداش قدعوا من عيد وظالم

وقداش يورده طيبهم نهيدة (4)

توظيفه قائلا :

إن شئت أن تشهد الأجيال في

المهرجانات شرط به حيدر

فيه العروض تشد العين في عجب

ما شاهدت مثلها من قبل أنظار

وعن دور القصر في ترسيخ الهوية والدفع إلى الاعتزاز بالوطن والموطن قوله :

إن هزك الشوق أو ساقتك أبحار

فأسأل قصورا كستها المجد أثار

يمضي الزمان ولا تمحي معالمها

وكيف يحسو متعب العز إعصار

سل هذه الأرض كم من أمة نبئت

على تراها وفيها الخير مدار

سل القصور إذا ما شئت معرفة

إذ خلف زخرفة الآثار أسرار(5)

خاتمة :

هكذا يتبين للدارسين وخصوصا للمهتمين بالبحث في تاريخ وتراث وثقافة هذه الجهة الهامة من البلاد التونسية مدى ما تظاهرة القصور من أبعاد وخصائص تدفع إلى مزيد العناية بهذا التراث وتوظيفه توظيفا ملائما يحافظ على ثراء الثقافة المحلية ويدعم مكاسب الاقتصاد الوطني.

على أن هذا التوظيف يجب أن يتجاوز النظرة بصفة التي تميز سلوكات أغلب الفاعلين في القطاع السياحي، خاص إلى نظرة الفاعلية والمشاركة. ومن جهة أخرى، مساهمة هذا القطاع في حماية المواقع التاريخية، خاصة القصور من عمليات التدهور والتخريب، من خلال منحه صفة وحسن إدارتها وإحيائها، يبدو أن التعامل مع هذه المسألة أصبح يتطلب تدخلا حاسما من قبل الدولة لدفع المستفيدين من سياحة القصور على الالتزام بالمشاركة في عمليات ترميم القصور وإيصال الضروريات إليها من بنية أساسية حتى يسهل الوصول إليها ويتم التشجيع على التوقف عندها للاستمتاع والاستجمام بها ومحيطها. كما أن دعم الجمعيات الثقافية في الجهة سيكون من أركان الحاجات لدعم هذه العملية الانتقادية التي أضحت مطلبا ملحا على جميع المستويات.

وقد يكتمل الطموح بتحقيق مطلب طالما طرحه مثقفو الجهة ودارسوها ألا وهو بحث مركز للقصور بالجهة يجمع بين وظائف الدراسة والبحث.

المصادر والمراجع

- [illegible]

الله امش والإحالات

- 1) Cf. S. El-Fassi - Sykes, « *Le rôle du châtiment en Tunisie* », *Annuaire des sciences sociales de sociologie*, n° 5, 1968.
- 2) بوطالب (محمد غيب): « *التعلمون بأقصى الحنوب التونسي* » - *مداخلة ضمن فريق البحث حول الفئات الوسطى في التاريخ التونسي* - بيت الحكمة - تونس - 1992. وانظر كذلك دراسة لنفس الباحث حول « *وضعية المثقفين بمرجعي في الفترة الاستعمارية* » ضمن كتاب « *شبه جزيرة حرجي* » عن منشور جامعة تونس 1991.
- 3) Zaid (Abdessaoud) - *Le monde des ksours du Sud - Est tunisien* (1er éd.) P. 102.
- 4) الشاعر - محمد بن طهاسم بن يحيى (عن: التهامي الروان) الأبعاد الثقافية للقصور: تطاوين كودجا - رسالة جامعية - المعهد العالي للتشريع الثقافي - بئر الباي - تونس 1997 ص 65.
- 5) قذوا - دوا - يرم - يصرب توهلة - مؤخر الليل.
- 6) الشاعر - علي الخليلي - (عن: مجلة القصور) عبد خاسم - مهرجان القصور - تطاوين (1987).

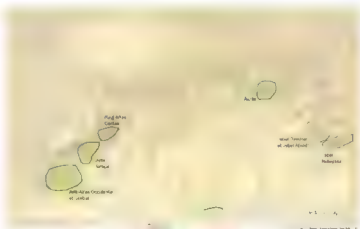
عالم القصور

تراث وإبداع

ARCHIVE

مكتبة

بايروت الألمانية وعبد الفتاح القاصح أستاذ الجغرافيا
في جامعة صفاقس، ودعمته المؤسسة الألمانية للبحث
العلمي DFG.



القصور هي مخازن جماعية للمحاصيل الزراعية في التخوم شبه الصحراوية بالغرب العربي حيث تنمو النباتات وتتساقط ويكون الإنتاج الفلاحي أصعب. يسيطر ويضطر السكان إلى حماية مزارعهم الغذائية البقاء. تتواجد القصور في جبل نفوسة بالجفارة وجبل مطاطة دتر بالجانب الشرقي لوسى

القصور الـليبية :

معظمها شهد التدمير خلال الفترة العثمانية والاستعمار الإيطالي في إطار إستراتيجية هيمنة على



قصر کدو سیب

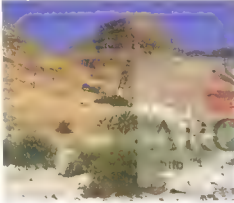
قصير اخاخ يليب

التونسي من خزن المحاصيل الزراعية وخاصة من الحبوب، وكثير منها لا يزال يحافظ على وظيفته الأصلية وتتصرف فيه المجموعة القبلية ويقيم فيه حارس. ويحظى الأفادير بحرمة كبيرة واحترام السكان لما يمثله من رمزية الانتماء القبلي وبركة في حفظ المواد الغذائية وطمئنان على ما يحفظ فيه من مدخرات غذائية وعقود ملكية مكتوبة على الألواح. لكن المخازن الجماعية في المغرب تشهد نفس ظاهرة الإهمال والخراب نتيجة التزوح والهجرة وكذلك تفكك الروابط القبلية وتراجع النشاط الزراعي والرعوي والاعتماد المتزايد على التزود من السوق بالاستفادة من عائدات الهجرة الداخلية والخارجية.

السكان والمجال. وفقدت القصور المثقبة وظيفتها الأصلية المتمثلة في خزن المتوجات الزراعية والرعوية. وبعض القصور اللبيرة شهدت في السنوات الأخيرة عمليات ترميم وتوظيف جزئي في السياحة وهي قصور الحاج و نالوت و كاباو.

المخازن الجماعية في المغرب :

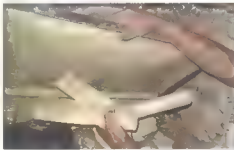
يطلق عليها إسم «أفادير» أو «إيغرم». أما لفظ «القصر» فيطلق في المغرب على السكن القروي المجمع. وللمخازن الجماعية في المغرب نفس وظائف القصور في الجنوب



قادر بن عيسى في غرب لأصص الصغير



قادر قروي في غرب لأصص الصغير



حفظ عقود الملكية - الألواح - في أفادير تاوريرتن بروج



حرب شعير في قادر تافدست

قصور الجنوب الشرقي التونسي

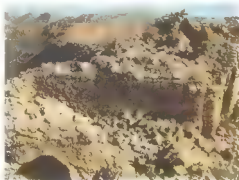
62	الجيلدات 2	قصر أولاد بوجليدة	32	قصر الجراء	01	قصر غبتن
63	الجيلدات 2 -	قصر أولاد أمحمد	33	قصر أولاد مهدي	02	أم التمر - قصر أولاد عبد الله
64	قصر بني بركة		34	قصر تامزات	03	أم التمر - قصر الخوخة
65	قصر تونكت		35	قصر الأعراف	04	أم التمر - قصر السوق
66	قصر الدويات		36	قصر أولاد بويكو	05	أم التمر - قصر الغولة
67	قصر أولاد دباب		37	قصر بنو (واد فراغر)	06	أم التمر - قصر أولاد مباح
68	قصر أولاد عون (مزطورية)		38	قصر الزحاحقة	07	مدين - قصر أولاد إبراهيم
69	قصر العوايد		39	قصر الحدادة	08	مدين - قصر أمسية
70	قصر خاتمة		40	قصر بني غدير	09	مدين - قصر لوييرة
71	قصر القديم رانة		41	قصر بنوي	10	قصر بولسوار
72	قصر الدغاغرة (المزطورية)		42	قصر غمراس	11	قصر البحيرة
73	قصر معاند		43	قصر غمراسن - قصر الرصعة	12	قصر الجديد الغربي (الجياه)
74	قصر بوزيري		44	قصر المرابطين	13	قصر الجديد الشرقي (الجوامع)
75	قصر أولاد عبد السيد		45	قصر الفرش	14	قصر الخلف
76	قصر تلمست		46	قصر قرياسة	15	قصر البرزلية
77	قصر أولاد سلطان		47	قصر ثلاث شهب	16	قصر بن يوسف
78	قصر الرمة		48	قصر الشاعرة	17	قصر زقور
79	قصر المرأة (الدغاغرة)		49	قصر بوعينة	18	قصر خير
80	قصر بوحريدة		50	قصر كرشاو	19	قصر أولاد إبراهيم
81	قصر بني يخزر		51	قصر كروز	20	قصر بني خدش
82	قصر بني مهيمة (العطايا)		52	قصر العربي (الغايصة)	21	قصر الخربة
83	قصر بني مهيمة (ورثان)		53	قصر بحير	22	قصر الجوامع
84	قصر العمارة		54	قصر مقابلة	23	قصر الكريكرة
85	قصر أولاد عون (بني مهيمة)		55	قصر الدغاغرة (أولاد عبد الله)	24	قصر أولاد بوعبيد
86	قصر العين		56	قصر شنتي	25	قصر المحافضة
87	قصر الروضة		57	الجيلدات 1 - قصر غورغار	26	قصر السموميتة
88	قصر الزهراء		58	الجيلدات 1 - قصر بوجليدة	27	قصر ورجيجن
89	قصر السعادة		59	قطوفة (قصر العجاردة)	28	قصر أبيار واد الخيل
90	قصر زرقان		60	قطوفة (قصر الجلالطة)	29	قصر الخراشفة
91	قصر الشفايف (الحميدة)		61	الجيلدات 2 - قصر أولاد	30	قصر أولاد محمد بن عمار
92	قصر الشفايف (الكراشوة)			عبد الواحد	31	قصر بئر الأحمر (العابسة)

تصوير: هيريت بوب وعبد صالح مباح 2010 - قصور جنوب تونسي - الحسن منصور ميثاق ثقافي، دار بوب أبي، 400 ص، (مغربية)

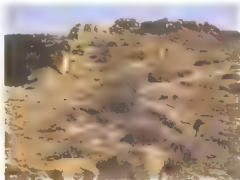
www.Ksour-tunisiens.com



قصور القمم والقرى الجبلية



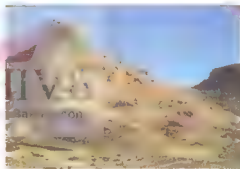
القصر ذو السور



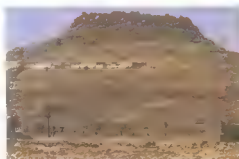
القصر ذو السور



القصر



القصر

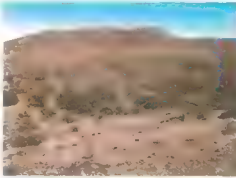


القصر

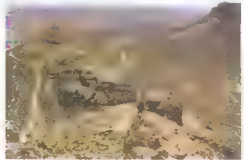


القصر

قصور الجبال والقتال



قصر حرم مع



قصر ولاية مهدق



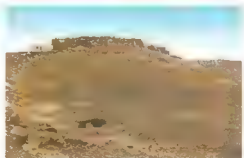
قصر من عمار



قصر حاتم

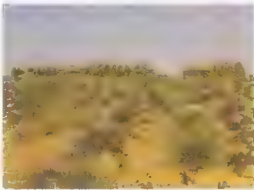


قصر تلميم رانية



قصر حرم شنة

قصور السهول



نصر برزخه



القصر الحادي

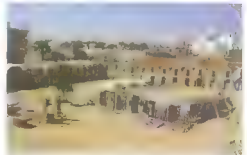
مدنين مدينة القصور



مدنين سنة 1936



قصر النخلة ... لم يبق منه إلا النخلة



أحد القصور الثلاثة الباقية من قصور مدنين

بوابات وسقائف



قصر حلب القديم



قصر حلب القديم



قصر القديم



قصر الجوامع



قصر بكت



قصر معدية

غرف وطوابق



قصر أولاد عبد الحميد



قصر عبد الحميد



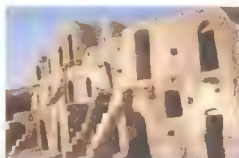
قصر عبد الحميد (الجزء الشمالي)



قصر عبد الحميد



قصر أولاد سلطان



قصر أولاد عبد الواحد

مخازن ومخابئ



قصر الدخاقر (أولاد عبد الله)



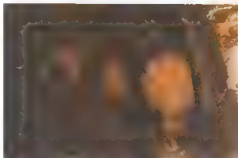
قصر المثابة



قصر ، لا نيك



قصر ، لا نيك

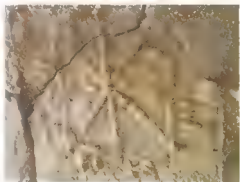


قصر الزهراء



قصر زقود

نقاش وزخارف



قصر ديرة



قصر حسانة



قصر الحارمة



قصر ديرة

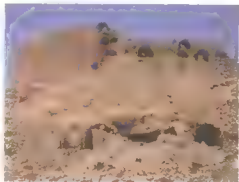


قصر بني بركة

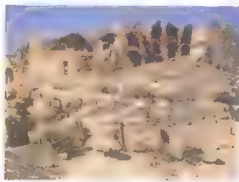


قصر بولوار

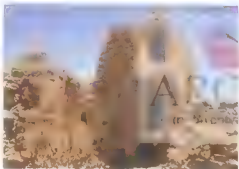
خراب وتهديم



قصر سي حاجر



قصر سي حاجر



قصر سي تركة



قصر تركة



قصر أولاد مهدي

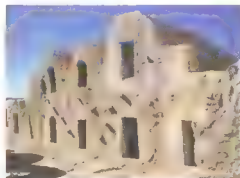


قصر غصم بئر داب

صيانة وترميم



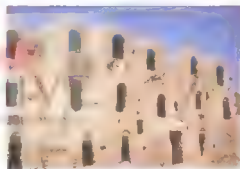
قصر الحرام - حلب



قصر نور



قصر نور



قصر نور - حلب



قصر نور



قصر نور - حلب

التوظيف السياحي: محاولة إنقاذ



قصر الحداثة



قصر أولاد تناب



قصر الحداثة



قصر الحداثة



قصر أولاد تناب



قصر الحداثة

القصور بالجنوب الشرقي التونسي بين التصنيف والتوظيف عبر العصور

كمال العروسي (*)

1 - مُقدِّمة :

فَمُنَا به على مدى ثلاثة أشهر (ربيع 2003) لم يقع
نشر وثائق قصراً من بينها خمسة قلاع، ستة
وحفريات منها بولاية تطاوين. ولقد حرصنا في تلك
الدراسة على توثيق المنهج العلمي بالاعتماد على بحث
مع التحري لدى السكان المحليين
ووجود أثر خفي خلال الدراسة
فجاءها من قصور أم القُصر وقصر
قصر عمال. ولقد تمّ عرض
في هذه الدراسة وأصلها من قصر شمس حارس قصر
بوقفة شرقاً. ولقد وقع نشر نتائج هذه الدراسة بإضافة
في مجلة المناطق القاحلة (3) مع إصدار لقصر مضبوط
تفاعلي تحت عنوان: «بانوراما القصور بالجنوب الشرقي
التونسي»، يُمكن مُستعمله من المعرفة الدقيقة لمكونات
القصر وكيفية الوصول إليه من خلال الصور والمعلومات
حديثة. مختصر ومحفنة ونسخة مع جدول موقعه على
خريطة بتسعة (200000)، مستطبة لجلد ثياب
النقاط الجغرافية.

إن الحديث عن القصور بالجنوب الشرقي
يحمل في طياته العديد من الجوانب والأبعاد
الإنسانية والحضارية والتاريخية. فهي عنوان يفتي
من الشواهد العمرية الحديثة والماضية
العالم الأثرية الرومانية. حيث تمّ اكتشاف
عدّة (1) أو الميناء التجاري بيوغراوم (جيكيني) تأريخ
تجلّت (1) أو بعض الشدود الفلاحية المنتشرة
بعض الأودية. إن هذا المقال هو مدخل لبحث
معمّق طويل النفس، نحاول فيه أن نعود بالذاكرة
الجماعية إلى هذا الموروث المعرفي والحضاري بهذه
المناطق، عبر تاريخها الطويل الذي تجلّت فيه عبقرية
السكان القدامى في المحافظة على بيئتهم والتعامل
معهما بعقلانية كامنة حافظت فيها الأجيال على
التوازنات الطبيعية بلا إفراط ولا تفريط.

وإن ذُكرت بعض الدراسات بأنّ عدد القصور يتجاوز
المائة وخمسين، (2) فإنّه وحسب المسح الميداني الذي

(*) باحث، تونس

وإن لم نجد، خلال المسح الأثري الذي قمنا به، ما يؤكد إشارة محمّد حسن إلى وجود نقائش تدعّم نظرية تعمير قصر قطوفة منذ القرن الخامس هجري، إلا أنّ المصادر التي استعان بها المؤرّخ تؤكد أنّ «قصر قطوف»: يُعتبر من أهمّ القصور السكنية بجبل دمر، الذي استوطنه فرع من لواتة بو قطوف، الوارد ذكره في المصادر منذ القرن الرابع هـ / X م (5). وبقي السؤال: هل كان القصر على هيئة القصر المتعارف عليه اليوم؟ أم أنّه كان على هيئة غيران حلبة كمثل التي نَمّ العثور على النقائش بداخلها حسب إحالات المؤلف.

بعد الاختلاف في النقائش، أصبح مع عدمه ربه الذي يُرجع تاريخ إنشاء القصر إلى خمسة قرون غلت (513 عام)، معتمداً على نقيشة رُسمت بفسقية (6). أمّا بالنسبة لنا فلم نثر داخل القصر سوى على نقيشة تحمل تاريخ 1164 هـ / 1750 م. أمّا بالنسبة للنّاشطين في جمعية صيانة القصور والمحافظة على التراث بني حداث، فقد تمّ العثور على نقائش تعود إلى سنة 1375 م، كما يُرجعون ما تبقى من آثار لقصر البرزالية إلى سنة 809 هـ / 1406 م (7).

- التّقطت الصور أثناء البحث الميداني، صبحه أحد شيوخ قطوفة (إمام القرية) ويظهر بإحدى الصّور مسجد المزامنة (الذي يرتفع أ. لويس أنّ تاريخ بناء صومعته «المقترضة» يعود إلى نحو 900 سنة) (8) وبأخرى تظهر بعض النقائش الجدارية. يبعد قصر قطوفة حوالي سبعة كم جنوب شرق مدينة تطاوين ويوجد على تلة مرتفعة (أكثر من مائتي متر). يحتوي على قرابة الألف غرفة ومعصرة وهو بحالة مُداعية، ويجواره عند منحدر التلة توجد «زاوية سيدي السايح» والد «سيدي يوجليدة» وهو مزارٌ ليوما هذا.

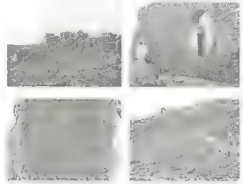
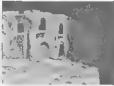
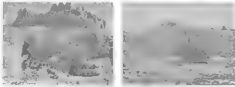
إنّ تتابع هذه القصور فوق تلال وجبال بني حداث وغمواسن وتطاوين ليشي على سهول «الجفارة» والبرية، حتى أنّ بعض الباحثين يسمونها «البرية» بعد أن نُصِّبها هذه على شريطها من البحر. إنّ هذا السّياج من القصور يشيّد شكلاً محدداً من العمران على غرار ما كان عليه في بلاد المغرب، حيث كانت هذه القصور مركزية، وكانوا ينزعون إليه لجنّز محاصيلهم الزراعية ولطلب الأمان زمن الاضطرابات على مدى قرون الألفية السّنة.

سوف أركّز في هذه المقالة، بالإعتماد على مُعطيات الدراسة السّابقة (2003) وبعض المراجع، على إبراز مُختلف الأدوار والأطوار التي عرفها القصر على مرّ العصور من خلال التصنيفات التي وظّفت هذه المعالم لهذا الدّور أو ذاك.

2 - حديثٌ في النّشأة :

وإن اختلف بعض الباحثين على تحديد نشأة القصور، إلا أنّه في إجماع ظهور القصور إلى الألفية الأولى للمفتح الإسلامي لبلاد المغرب. إنّ هذه القصور سبقت حروب سيرة موسى الهلالي (1051). وإن ضُمّنت بعض الدّراسات المُؤلفة من المستعمر الفرنسي هذه النّشأة في إطار الترويج للنّشأة القائمة على نظرية الأقلية البربرية التي تصدّ العنصر العربي الغازي من خلال تحصنها بأعالي الجبال وبناء القلاع والقصور، فإنّ الشواهد لا تدعمه وتمازج العنصر العربي والبربري وتكامل الأعماط الإنتاجية والمعيشية جعلت من هذه النّشأة المزعومة دعابة سياسية وإيديولوجية لتخريب التّسج الاجتماعي والسياسي في ليبيا. إنّ هذا السّياج المقومة للإحتلال. ويكفي أنّ نُشير هنا للدراسة التي قام بها أحد تلامذة الأب أندريه لويس، فرانسوا بويون، لدحض مزاعم الأدبيات الإستعمارية (4).

زاوية الحاج سالم وزاوية سيدي مبارك التابعة لقبيلة الربابعة العرسة



صور: كمال العروسي، معهد المناطق القاحلة 2003

صور: كمال العروسي، معهد المناطق القاحلة. 2003

حسب نفس الدراسة الميدانية، فإن عدد القصور التي
تم حرقها بلغ 82 قصراً منتشرة على سلسلة جبال ولايتي
مستغانم وريش وتي سبور جيبية، ويعتبر تجمعات من
القصور جدد في الشهل وهي القصور السهلية.

القصور: من التصنيف والتوظيف عمر لعصور:

تتميز هذه القصور بكونها من أمثلة ما شيد في حقبة
تتميز بها الصيغة العقارية للجبل والتي تنضوي تحت
النظام الأساسي للملكية الخاصة، بينما كانت الشهل
وخاصة المراعي ذات صبغة مشتركة، وذلك على عكس
الوضع المألوف بباقي تراب الوطن، حيث يخضع الجبل
لنصه ملكية عمومية وتُشهر لهذه الملكية خاص

مثلت هذه القصور، عبر التاريخ، المخزن والملاذ للقبائل
المتجاورة بآيام السلم والحرب، وبغض النظر عن المزايا
الاستراتيجية والأمنية لواقع انتصابها فإنها شكلت عنصراً
معمارياً فريداً من نوعه ومركزاً عمرانياً جامداً لعموم القبائل
المتجاورة فيما يخص ملكية الأراضي المحيطة بالقصر
وأراضي المراعي المشتركة. أذكر من هذه القصور:

- قصر احراشمة (معتمدية تي خذاش) الذي تشتهر في

وفي انتظار المزيد من البحث والتحري في هذا
الموضوع، يبقى «القصر القديم» أو «قصر خليفة
الرباعي» بقرية مرمورية، وادي شو غرب مستغانم
وبوصيفا- للرباط ذي الصيغة العسكرية، أقدم
القصور، حيث يعود تاريخه إلى القرنين 18 و 19
بعد الميلاد في سنة 1850.

هجرية الموافق لـ 1092 ميلادية. هذا القصر
من عهد الخليفة بن يوسف بن تاشفين، وهو من
النقشة الجدارية الموجودة بسقيفته، وهو من
مستغانم، وساح مساحته حوالي

فصل إلى 200 غرفة وتمتاز بكثرة النقوش والزركشة،
وتكفلت وزارة الثقافة بصيانه وشروع في ترميمه منذ
سنة 1993

ويرجع أحد أقدم القصور، وقع رصده خلال البحث
الميداني الذي قمنا به سنة 2003، إلى القرن الخامس
عشر للميلاد (1478م-883هـ)، حسب النقشة التي
وجدناها بسقيفته، وهو قصر مُعاند الذي ترجع ملكيته
إلى قبيلة الكراشوة بولاية تطاوين (9).

- قصر مُعاند، يبعد 6 كم عن مدينة تطاوين
باتجاه الزهرة يليه معرج على اليمين يرحع نارح
بنائه إلى سنة 883 هجرية ذو طابقين، يحوي
على 92 غرفة و 10 عيران ونسقية ماء ويحدهو

- قصر الفرش (مكتبة غمراسن) الذي تشترك في ملكيته أربع قبائل محلية (غمراسن، قرماسة، عباسية شهبان) ويعود تاريخ هذا القصر إلى سنة 1318 هجرية الموافق لـ 1900م وبه 480 غرفة منها 120 غرفة محالة انتهىار. توجد به مصصرة زيتون ومحطة استراحة ومغارة للسنّوح وجواره معصرتان، بئر، مسجد وزاوية سيدي

- قصر الفرش (معمدية غمراسن) يقع جنوب مدينة غمراسن على بعد 6 كم منها باتجاه نطاوين.



2003 معهد المخطوطات والفحالة

جوانبها سجل التقسيم العقاري
داخل القصر والمضام التابعة له (معاصر زيتون،
ساقى، مساجد وهزوايا) إلى موازين القوى الخارجية من
حيث حجم القبيلة ونسبة امتلاكها للأراضي المحيطة به.
أما الغالبية من القصور فهي تحمل اسم القبيلة التي تنفذ
بملكيتها للأراضي المحيطة مثل قصر أولاد بوعيد، قصر
أولاد ذباب، قصر أولاد سلطان، قصر أولاد شبيدة.

ويكن تلخيص هذه المسألة في أنَّ هذه القصور تعطي الإشارة الأولى للرسم العقاري الفُني بهذه الربوع. فالقصر يحاكي التقسيم العقاري المحيط بالقصر، وقد ورد في تراث سيرة الأياضية كتاب «القسمه وأصول الأراضين» للشيخ أبي الحسن بن سينا وهو محصاه ربع ساحة في سنة الثامن عشر (1162 هـ)، وذلك في باب إنشاء القصر

ملكيتِه سبَّ قاتل محليَّة (خراشفة) أولاد بوبكر، أولاد مهدي، أبايد، عابسة، حرازقة) وأفردوا أنواراً من المغرب شاركوا في المعارك صدَّ قوَّات الاحتلال الفرنسي بهذه المنطقة وحازتهم القِيَّال المحليَّة بإسناد بعض الغرف الإهم كحرون وفاء وتقليد وسَمَّيتْ غُرف المغاربة. وقد ذكر عتار السوفي أنَّ الدَّاعين محمد وعبد الكبير بن جلون أصلي مدينة فاس المغربية قد شاركوا ثوار بني خناش في معركة «ارنيان» يوم 11 سبتمبر 1954 (...). أثناء مواجهات اليوسفيَّة لجيش الاحتلال الفرنسي تجمَّد ضمن ثوار بني

تلك المعارك ثلاثة مجاهدين جزائريين ومغربي حضروا
 مجمع ثوار جيش التحرير التونسي في قصر الخرافشة
 (10)، ويعود تاريخ هذا القصر إلى سنة 1206 هجرية
 الموافق لـ 1792م وبه مسجد وثلاثة صاقي وغرفة تتوسط
 الساحة الدائرية للقصر يشغلها شيخ المبدأ والقاضي.
 جُفرت تحت القصر أربعة معاصر زُتتو ضخمة وبحوار
 أقيمت سبع زوايا (ثلاث منها لبقيلة تربية - سيدي محمد
 لسود، سيدي الحضر، سيدي محمد بوش - سيدي
 للقطاوة باسم سيدي عمر بن شلى - سيدي
 سيدي ضو المغربي، سيدي محمد - سيدي
 أوية أخيرة باسم أبي (الحضر).

- قصر الخراشفة (معتمدية بني خداش) على بعد 10 كم من مدينة بني خداش في اتجاه واد الحليل يتكون من 180 غرفة وقد انهار مُعظمها.



7. $\frac{1}{2}$ of the 1000 are female, 500 are male.

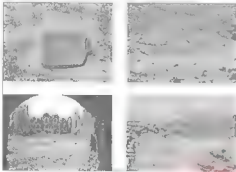
ولقد كادت بعض تجمعات القصور أن تتحول إلى «مدن قصورية» وخاصة بمنطقة الحربة (الزهرة حاليا) بجهة تطاوين، وقرية أم الثمر ومدينة مدين بجهة مدين، ومدينة مدين الحالية قامت على آثار أكبر مجمع للقصور بالجنوب التونسي. ويرجع تاريخ هذا التجمع القصورى إلى القرن السابع عشر على إثر تشكّل «حلف ورغمة»، وأواخر القرن السادس عشر، المتكوّن من مزيج سكاني اختلط فيه العنصر العربي بالعنصر البربري (زناة) بعد تمكّنهم من إحكام السيطرة على سهل «الجفارة» واندحار قبيلة المحاميد إلى الشمال والنوايل إلى الجنوب بالتخوم الطرابلسيّة. ولقد ساهم مجيء الولي «سيدي علي بن عبيد» بالقرن السابع عشر من المناطق الطرابلسيّة (14) واستقراره بجوار قصور التوازن على تشجيع باقي القبائل المكوّنة للحلف على الإستغناء عن قلعة حملون وقلعة شوش، حيث حصرهم في ولايتهم بالسيدي وبالعناصر حول زاوية التي قام بإنشائها فوق ريوّة بين وادين.

- آثار لقصر الترك على بعد 4 كم جنوبي مدينة
ضمراسن عبر طريق الفرش

صور، كمال العروسي، معهد الماطق القاحلة 2003

- آثار للتحصينات وبعض الحاويات التي استعملتها الجيوش المتحاربة أثناء الحرب العالمية الثانية بقصر بوهريدة (قبيلة الزرقان) على بعد 17 كم من مدينة تطاوين باتجاه الزمراء الذي بُني عام 1601.

ولعلّ هذا الرأي يجد ما يدعمه في ما ذهب إليه عد الصمد زايد بذكر تخریب قصر مُعاند خلال الحرب العالمية الثانية (19).

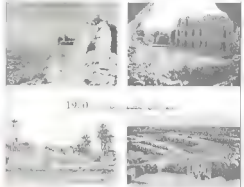


كمال العروسي، معهد المناطق الفاحشة 2003

والجيشي والإقتصادي داخل منظومة القضاء الحسي. شجعت السلطات العسكرية الفرنسية فروع بعض القبائل المهاجرة لها وذلك باقتطاع بعض الأراضي السهلية وإسنادها لها بشرط أن تتكفل ببناء قصر فيها. ووجدت بعض العائلات الضعيفة داخل قبيلتها فرصتها لتحسين وضعها المادي ومركزها بين القبائل من خلال توسعها الترابي داخل المجال الرعوي المشترك، الشيء الذي جعل القبائل ذات الشوكة والطاعة في تاريخ الفروسية تواكب هذه العملية من باب الحرص على نفوذها. ولقد أنشئت عديد القصور، جزاء هذه العملية، نذكر منها: قصر المزة لفرع من قبيلة العمارة بُني عام 1903، وقصور الشقائق لزررقان والكراشوة (1907)، وقصر الحميدية (1907)، وقصر الذبان (1907) وقصر بوقفة وقصر هنشير الفرس لفروع من

الفرنسي بتاريخ 12 ماي 1882 الذي أوصى بالهجوم على قصر مدين والقصور المحيطة للإستحواذ على المخزون المائي والعناني بهذه الأماكن (17) ولقد أشار أ. لويس في دراسته للمنطقة، إلى أنّ عديد

- صورثان لقصر الحوامع ببني خدش (2003)



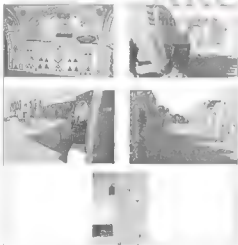
صور كمال العروسي، معهد المناطق الفاحشة 2003

القلاع والقصور قد وقع تخریبها من طرف القوات الفرنسية لنجدة أثناء حملاتها العسكرية (18). إن قمعها لثورة الواديرة (1915-1916)، حيث عوّضت قبة أولاد شهيدة وقلة تزعدت إلى النصف المدعى، وبعد ذلك - جدد لأحمد بن عويمة، عام 1916. إلى نكته لقوات المخاريط التابعة جيش الاحتلال الفرنسي. بعدما كان معقلا للمقاومة يلجأ إليه الثوّار ويعصدهم في ذلك مبعوثون من السلطات العثمانية بطرابلس (18).

ركّزت قوّات الاحتلال الفرنسي، منذ حملاتها الأولى، على حمل سكان هذه المناطق القبلية على الإذعان لسلطاتها من خلال الإغارة وتدمير بعض القصور، مثلما سوف تُوظف لاحقا خلال الحرب العالمية الثانية في معاركها ضدّ قوّات المحور بالجنوب الشرقي التونسي، من نوفمبر 1942 إلى مارس 1943 (معركة «خط مارت» العسكري الممتد من مارت إلى تطاوين)، حيث استعملت تحصينات لمواقع عسكرية من الطرفين

وتوضيح الملف العقاري لهذه القصور من طرف
سجلات المحصر يُعتبر أول خطوة على طريق الإقصاد
والترميم والصيانة المستدامة لها. وتدعو، من خلال
هذا المقال، لتضافر جهود الجمعيات المدنية والمؤسسات
الجامعية والبحثية والمهتمة بالتراث لإنجاز مخطط مدير
يصل بالموضوع حد العمل على تكوين ملف تقني،
علمي وإداري يهدف إلى إدراج مجمل هذه المعالم
ضمن منظومة التراث العالمي التابعة لمنظمة الأمم
م المتحدة بحسب بروتوكول وعبود (باريس)، إضافة
إلى رسم خارطة طريق تهدف إلى المزاوجة بين القطاع
العام والخاص وتعبئة الموارد البشرية حتى تُواكب هذه
المعالم سائر النهضة التي تشهدها بلادنا. وتُرافق هذه
العملية إعادة إنتاج مفهومنا للسياحة البيئية والثقافية
داخل هذا الفضاء بمقاربات فلسفية على المدى البعيد،
تجعل من هذا التراث رصيداً مستديماً ومتجدداً لقطاع
السياحة الداخلية والخارجية، وتحفظ للذاكرة الجماعية
أصالة على مدى أجيال.

فقد أولاد دباب وقع استغلاله من طرف مستثمر
عربي في مساحة التزل منذ سنة 2005



صور: كمال العروسي، معهد المناطق القسلة 2003

قبيلة الخليليات اللذين بُنِيَ عام 1910 (20)، وكان قد
تم بناء أغلب هذه القصور سهول الوعرة في التخوم
الحدودية. ويهدف هذا الإجراء لإحكام سيطرتها على
هذه المناطق وقطع الطريق أمام المقاومة التي وجدتتها
من السكان الرُحل لهذه الربوع وخاصة من قبل أولاد
خليفة، من قبيلة التوازين، تمهيدا لرسم الحدود بين
تونس وليبيا في 19 ماي 1910، بعد إحضار السكان
وفتح الأسواق الحدودية لسلها.

ومن عمليات التوظيف الحديثة لهذا المخزون
التراثي الهام الذي تختزله القصور بالجنوب الشرقي
التونسي إدراجها ضمن العناصر الرئيسية للتنمية
السياحية والتشيط الثقافي داخل هذه الجهات التي
هجرها أهلها وزارها السائح الأجنبي، وإذا بنا نستعيد
ذاكرتنا من خلال نظرة «الأخر» ...
ما يزال مُستلَبًا، يدخل الأسواق العالمية ليُخْرَج منه
بمفكرة للسنة الجارية مع التعليم على ما يجود به
فعله... إن هذه الفلسفة الحافظة التي تُعتمد
«للاخر» لا مُحاورًا له، هي التهم
لها سائر هذه الشاتت هذا الإجراء
الوعي بطبيعة العلاقات الإنتاجية المحلية
وذلك بالتركيز على الإنتاج اليدوي

أما من جهة أخرى، فإن من شأن
والرعي والملاحة والخزن والعمارة الملائمة، هو نفس
الإنسان. فقطاع الخدمات السياحية، وإن كان هامًا،
يجب أن لا يصرفنا عما هو أهم وأبقى، أعني بذلك
مهمة إنقاذ هذا الموروث المعماري والحضاري من
التلف والإندثار، وذلك بالانهماك الجدي في ترميم
بعض القصور المتداعية والمهددة بالإنهيار بطرق علمية
مدروسة من حيث استعمال مواد وطرق البناء التقليدية
والمحافظة على الطابع الأصلي لهذا المعمار بدون
تشويه لمميزاته. ويضرب مثل قصر زناتة القديم كمثل
على ما لا يجب القيام به في موضوع الترميم حيث
غُطّي الطلاء الرخوف والنقائش التي طُلّا ميّزت غرف
هذا المعلم التاريخي. إن الشروع في دراسة تصفية

- (1) التيجاني، 2005، ص 145.
- 2) Zaid Abdesmad, 2006, p. 23
- 3) Laroussi Kamel, juin 2008
- 4) Albergoni G, Pouillon F, 5 juin 1975, p. 354
- (5) محمد حسي، 1999، ص 290
- b) Zaid. A, 2006, p. 57
- II) Louis. A, 1975, p. 85
- 9) Laroussi K, 2008, p. 92
- (10) السوي عتار، 2001، ص 148.
- (11) ...
- (12) ...
- (13) ...
- (14) ...
- (15) Service des affaires indigènes, 1931
- (16) Martel Andre, 1965, p. 276
- (17) Combon Paul, 12 mai 1882
- (18) Louis A, 1975, p. 88
- (19) Zaid A, 2006, p. 226.
- (20) Laroussi, K, 2008, p. 99.

والشاعر في مواليد سنة ١٩٧٢ وكان الشاعر قد أنقذ
الطائفة من الشعب بخطابه وفتح مساحته بالأداعة التي سبقت

الحرف والصّنائع بمنطقة قصور الجنوب الشرقيّ التونسيّ

الضوّى موسى (*)

1 - مدخل تاريخي :

يقوم رزق المجتمعات البدوية

الفلاحة، ويذلّ الناس لكسب قوتهم
في مثل هذه الجهات التي يغلب عليها
الجاف والقليل الأمطار.

فمارس الناس حرفة الفلاحة

مصدر عيشهم الأساسي إلى زرع الحبوب

ورقامة مفتّين أثر الأمطار على ثديتها (1) باذلين أقصى
الجهد للحفاظ على القطيع الذي فيه حياتهم ومنه طعامهم
ولباسهم... وما كانوا يحتاجون للملابس الكثيرة ولا

للبطالة، ولا لاجتماعهم في المدن

ويعملون في الحرف اليدوية

وكان على المرأة أن تصنع يدها ما يستقيم به شأن بيتها

ويلتي حاجة أسرتها كما كان على الرجل أن يصنع بعض

أدوات بيته من حرفة شخص من مزرعته

تكن لديهم من المصنوعات إلا القليل على قدر حاجتهم

إليها ويقدر ما تقتضيه متطلبات عيشهم.

يتكوّن مجتمع أهل القصور من صنفين، فمنهم

عليهم الاستقرار بالجيال ولكنهم مع ذلك

من شيوخ يحثّون الكلا ومنهم من يغدب

عليهم بال ولكنهم يستقرون أيضا حول قصورهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

والتي كانت لهم

(*) باحث، تونس

المعش من أجزائه فالقصر لا يبنى دفعة واحدة بل يشتد على مراحل، ويختار الحارس من بين من يُرتضى من أبناء القبيلة المالكة للقصر أو الموالين لهم، يتحد له في الغالب داخل القصر مقرًا ومقاما.

ولا بد أن تتوفر في الحارس (أو العساس) حملة من الشروط لعل أهمها : الأمانة والقدرة وملازمة القصر. فلا يكون ممن عرفوا بسوء السلوك ولا من بين صفار السن ممن يظن أن تعليمهم نزوات الشباب ولا من الشيوخ الذين ضعفت أبدانهم كما يشترط فيه ملازمة القصر بالسكن أو بالجوار. وهو يتقاضى مقابل ذلك أجرة تكون في الغالب من جنس ما يخزن في القصر من الحبوب قمحا أو شعيرا أو من الزيت أو التين المجفف أو الصوف أو غير ذلك. . . والغالب أن يكون أجره صاعين شعيرا في الحول للعرقة الفارغة وربما تصاعف الأجر للغرف التي تحوي بعض المخزونات. كما يُعطى الخدم عند الحول على سبيل الإحسان والهدية شيئا مما يملكه أصحاب القصر.

عصر هام في الحارس فلديه دود مفاتيح القصر. فكل من كان له مفتاح من دود مفاتيح القصر كان له الحق في الدخول إلى القصر. وكان خان الأمانة وثبتت إدارته يغرم بإرجاع ما أؤتمن عليه فإن تغذر ذلك فعلى القبيلة التعويض، ويعتبر الحارس قادرا على القراءة والكتابة القبائل أن يكون الحارس قادرا على القراءة والكتابة



قصر الدوراب فوق قمة مينة

نهاية القرن التاسع عشر سعى إلى توطيد الناس وتثبيتهم في مجتمعات جديدة حول القصور حتى تيسر له مراقبتهم وغولهم من مجتمع رعوي منتقل إلى مجتمع استهلاكي مستوطن وأحدث بعض المدن مثل قصر (3) سقردان (1885) وتطاوين (1887) وجمع الناس في «أسواق» ثابتة ما لبثت أن تطورت المبادلات التجارية فيها (4). فاستقر البعض ورفض الكثيرون كل ما له صلة بالمستعمر من «استقرار وتعلم وتعاطي الصناعة والتجارة وامتنان الحرف فنهتيا من بعض السكان المقيمين من مارس بعض الحرف.

وما لبثت حركة التوطن والتدجين أن قويت ولم يقدر البدو الفقراء المستضعفون عن مقامتها. وأخذ المجتمع يميل نحو الإستقرار والتمدن ووجدت الحاجة لتطوير بعض الحرف والصناعات التي تستجيب لحاجة الناس في حالتهم الجديدة بما تتطلبه من الجودة والخلق. وتدرجت الحرف من حالتها البدائية التقليدية إلى حالة أكثر تطورا.

ولاشك أن دراسة هذه الحرف تعكس إلى حد ما حياة الناس وتكشف وجوها من طرق عيشهم ومجتمعاتهم في فترة محددة من التاريخ.

II - الحرف لدى مجتمع القصور :

2-1 : الحراسة

يعد موضوع الأمن أهم ما يشغل الناس في كل العصور ويعتبر توفير حياة آمنة للناس مطلباً أساسياً من متطلبات الحياة. ولكن هذه الغاية لا تدرك إلا بتوافر أسبابها. ويصعب إدراكها حين تقل ذات اليد في أرض قليلة المزرع جافة الضرع، تكون فيها اللعبة للأقوى شوكه والأكثر مهابة. ولذلك فقد احتفى أهل القصور بقلاعهم المنيع وأولوا أمر حراستها عنايتهم وشيدوا فوق القمم قصورهم وحملوا فيها من الحماة والحراس ما يجعلهم آمين في الرزق والأهل والنفس. وأوكلت حراسة القصور والقيام عليها لمن هو أهل لها وأقدر عليها.

يعتبر الحارس حال الشروع في بناء القصر وحضور

و ربما مارس السّائرون المهرة مهنة النّحت لصنع بعض الأدوات من الحجارة الصّلبة مثل خرزة المعصرة أو معلق المواشي، وهو عمل يتطلب حدّقا وصبرا كبيرين.

و لئن كان القصر ينسب في الغالب للقبيلة ولها تعود ملكيته (قصر الدّغاغرة، قصر بني بركة، قصور

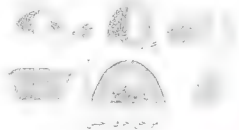
أو على قدر كبير من الدّكاء حتّى يميّز ما يؤمّن عليه ويودع لديه من الأمانات. وينوب «العساس» عند غيابه أحد أسائه أو زوجته. فإذا توفي قبل الحول تسدّد القبيلة لأسرته خلاص كامل الحول وتعيّن حارسا آخر. وقد بقيت أسماء آخر حراس القصور عالقة في الذاكرة، منهم: العربي الموم بقصر من قصور الجليليات الثلاثة وسبع بنوكي وبركر دحمة من قصر دحمة. وأحمد الصّغير بقصر الزّهراء (الحزنة سابقا) وعلي بن عمر العربي بقصر الدّغاغرة وغيرهم كثير.

2-2: البناء

لا يمكن لمن شيدوا هذه القصور الكثيرة في آلاف الغرف إلّا أن يكونوا بنّائين مهرة. لا يمكن أن تكون تقنيات البناء وموادّه إلّا متوافقة مع ما يتطلبه المحيط وما تفرضه طريقة العيش.

فقد سكّفت كلّ الغرف بطريقة الكمر (5)، وتأنّحت الأقواس والعرصات سندا لها مع جدرانها. عرصة من سمح بها حيز من الحيز. كما يدخل الغرفة من الشمس بنوافذ صغيرة جدًا تحدث مجرى هوائيا يساهم على تجديد الهواء بالرفة.

أما موادّ البناء فلا تخرج عمّا يوفّره المحيط الفتي بالحجارة، التي تقام بها الأسس والجدران وتحرق في أفران (6) مخصّصة ليصنع منها الجبس أو الجير بحسب مهارات تنقلها السّائرون لاحقا عن سابق وغيروا تقنياتها. كما يستعمل خشب النّخل وأعواد الرّيتون في إعداد الهيكل السّائد (7) و تستعمل التربة لتسوية استدارة الكمره وترسم عليها نقوش مختلفة تزيّن سقف الغرفة ورموز مختلفة، قد تكون لها مدلولات ومقاصد يعرفها راسمها... كما ترسم على التّراب قبل وضع طبقة الجبس كتابات مثل البسملة أو اسم الجلالة أو اسم الرّسول صلى الله عليه وسلّم، أو حتّى أسماء البنّائين وتواريخ البناء أو التّرميم أو غيرها.



لكن لا ينبغي أن ننسى أن هذه القصور كانت تبنى في مناطق جبالية، حيث كانت القبيلة تلتجأ إليها في حالات الحرب أو عندما يهاجمها العدو. لذلك كانت القصور تبنى على شكل دوائر أو نصف دوائر، مما يجعلها أكثر مقاومة للهجوم. كما كانت القبيلة تستخدم هذه القصور كقواعد عسكرية، حيث كانت تقيم فيها الحرس وتستخدمها كقواعد للعمليات العسكرية.

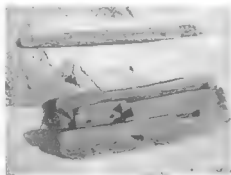


قرب صناعة الخبز



وقرة الحجارة بالجبال مثلت مادة أساسية في تشييد القصور

التي تنشر منها ألواح مسطحة تشد بأضلاع ومسامير من
أغود تربت القصة، وقبل سحب حديد الحبل يقع
القطعة في مكانها بعد أن يعضى سطحها بعوده
ولا يتركها إلا بعد أن يوضع لألواح أفقية من خشب
تسمى «الوجل» بيجتهد التجارون في إعدادها
بشكلها من خشب صخري في حشبه مزراح
من خشب صلب من مسامير لينة من
الخشب الداب لا حين يمدح مسامير
لا يمكن لأي مصنع آخر أن يفتح
بها عرفة، وتعد مفتح عبر كوة حمار عرفة



الوجل أو القفل والمفتاح الخشبيين



حجارة معصرة خشب



معدن حديدية من حديد



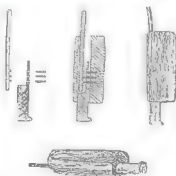
مقوش و رسوم مختلفة ترتب
سقوف الغرف

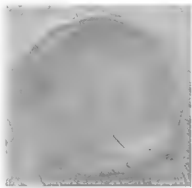


علامة بناء محمد بن علي الزرك
(وهو بناء شهير من الدوريات)

2-3 : النجارة

«الحجر الخضر» ومنه حجر سح وبعته. والحجر
حطب حشبه، والحجر عود من
وعلى حرفة الحجر التي كانت
عريف يعرف من مصنع الحجر
الحطب ما يصنع حده لاسر
وهي بذلك من أقدم الحرف التي عرفها الإنسان، وأ
ازدهرت ولدت لدى أهل القصور مع انطلاق أش
للقصور وذهب أعداد من حشبه صنع من حديد الحبل





قصر برقع

2-4 : الحدادة

مارست هذه الحرفة فئة من الناس دون غيرهم حتى عتب سبب شبه عظيم فعرفوا بالحدادة وصار لهم حظ نفوذ بلزوايات المتداولة أن ثلاثة من الحدادة قدموا من مصر إلى كاثوليك (كاثوليك) واستقر كل واحد منهم في قصر من قصر الجهة. أما سكان ما يعرف بقصر الحدادة فهم الذين يسمون الحدادة. إنهم كانوا يحترفون الحدادة وهم الذين يسمون الحدادة. وقد يكونون منحدريين من جهة الواح بين قمراسه وشنتي وهي تسمية حدادة (حدادة : الحرفة (8)

يتخذ الحداد غرفة له بناحية من القصر تتكسّد بها قطع من معدن الحديد وهذا دون تريب أو نصف أو ثلثه مفتوح وكم

و ينشئ صداعه في سكك حديد ومناطق بعض لأدب و عمدة حفر وساحل وحرف وسلاسل وأحلام وحمامس (9) ونحوه من آلاته القديمة كما يصنع صندلح بعد حين علاوة على بعض الأسلحة والحديد كما يسمون حدادون تعدل بعض لأدب معدنة مائة "التردير" (10) حتى لا تصد

أحدادون في معدنة بنصير مد جمعة الناس في مد ونحرف وحدث في تطويين حتى حارس مهدد حرفة يسقى صفة حدادة (حتى حداد)

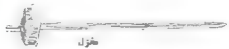
ولكن السيد أحمد بن مصباح الحداد مازال يمارس حرفته

كما يصنع التجار المهاريس ومقايض الفؤوس وأقناب الزواجل والمحارث وغيرها واختص التجارون اليهود في صنع القرايش والمغالل والغرابيل.

و يشهد على ذلك بيت أحد الشعراء :

يشتأهني يا وزرة المهلة

فربش من عبد يهودى مصنع



مغزل



قرداش



قرداش

وكثير من مدعى التحرف لأصناف الخلف الخشبية وترفعها ومعدنه بعض لتقع خشبة لأدب

و يعتبر حسب أدب لأفضل صناعه و به بعض مقلده مدخل بعض، كما يضع من حسب أشد بعضي فمعدن حدادة و به حفر به تحلف في أصل حتى لا يشتت و سبعين حسب أصل صنع لأدب و قد حدث به عمدة تسد على باب بعض من به حتى لا حكمة غلته لم يصنع به معدن ناشئة ومعدن حبوب ولا توجد بنصير عرف مسندة حسب لشغل كما هو حال معدن مثلاً و معدن أن حسب شجرة شغل فلا يصنع شيء من معدن شحوفه من الداحل وسرعة تسوّمه.

وأوتاد الخيام وفي موسم الحصاد تتعبد الماحل والتوارج ومع اقتراب عيد الأضحى تتخذ السكاكين، كما تصنع السطول والقنور النحاسية وغيرها... وهو بذلك أشط الحرفيين على طول العام.

و للحداد مواسم كثيرة تنشط فيها حرفته فمع موسم
أمطار الخريف تصنع سكك المحارث والمعاول والقوس



السيد الحسين بن محمد خداد
ورث الحرفة عن جنوده



السيد محمد الخداد يشهد جلما
بصفة (حر) الخدادة تطاويز



سيد أحمد بن مصباح الجناد
ابن جناد، القصور، قصر عور



صِفَاتِهِ: خَلِيلٌ كَانَتْ رَأْسُهُ

2-5 : التَّجَارَة

2-5-1 القصر السوق

لعل أول مركز تجاري بالجهة هو قصر بني مزكّة الواقع جنوب شرقي تطاوين، وقد عُرِف القصر فيما يبدو عميت تبادل تجارية بالمقايضة ثم عُرِف النقود.

الحمد لله الذي جعل في حجابي لاد
التي حجة اخرى كذا حجتك
(الحج) وغير ذلك من عباد الله

الجهة والتي تختلف عن «الوية الترسية» ومقدارها نصف الوية «ترسي». وقد ساعد وجود زاوية سيدي عبد الله بوحمد، مبنية للقصر أسفل وادي غرغار على حل ما يطرأ في شتاء من «عانت تجزّعن عمليات البيع والشراء فيها مع عدم قدرة بني عبد محمد بحمد على بيع ما لديهم من يوم الناس هذا». كما أنّ وجود القصر على طريق القوافل الصحراوية المارة عبر وادي زُرْغَانِي في اتجاه غدامس وبمجاورة كان واحداً من أسباب ازدهار التجارة في المنطقة.

وإذا كان قصر بني بركة يحمل إسم القبيلة المجاورة له فإن ملكية غرفه التي تتجاوز الأربعمئة تعود لكثير من القبائل المجاورة منها ما يصلح للمخزن ومنها ما أعد للتجارة. ولعل وجود قطع نقدية قديمة بأحد شوارع بني بركة (11) يؤكد ازدهار التجارة فيه دون غيره.



قطعة نقدية ضربت بتونس
في عهد السلطان محمود

ملاحظة: هذا التقرير هو من إعداد فريق العمل في
مركز الدراسات والبحوث في مجال التنمية البشرية
والموارد البشرية في جامعة القاهرة، وهو
مستند على المعلومات المتاحة في تاريخ إعداد التقرير.

2-5-2 الباعة المتحولون

1 - الشَّالِق :

لم يكن أهل القصور مستقرين طول العام فهم يقفون في حقولهم ورمعهم في وصول معينة بحث عن الكلال أو ممارسة أنشطة أخرى... وقد نشأت عن حركة التنقل حرفة الباعة المتجولين وهم الشلاله (واحدنا سلاله) وهو تاجر يحمل سلته على ظهره في سلة أو سلتين يضع فيها من السلع ما خف حمله كالإبر والماسيك والأبخره واللوزان والخواتم والتوناك والحزوز والحناء والأمشاط والمفاتيح العاجية السوداء، يطوف حيث يتجمع الناس في خيامهم أو غيرهم أو غيرها... يمدده عصب طويلة بحمل بها من الكلال ممدداً السلال

2-6 الصياغة

لم يعرف من العرب من مارس هذه المهنة وأعتقد أن الحالة الاجتماعية لسكان مناطق القصور لم تكن تسمح بازدهار هذه الحرفة فجمعت في الغالب مع غيرها من الحرف

ولكن إنشاء أسواق حديثة في بغداد وتطويع صناعة النسيج من استقرت الحرفة خلال القصور القروية أوجد الحاجة لتعاطي التجارة عموماً، وأمام رفض البدو الإقتراب من المستعمر واستكافهم من ممارسة التجارة حسب سلطته جاءت الحاجة للإستعانة بمن خبروا التجارة من المدن المجاورة لمنطقة القصور مثل الجربه والقواسية وبغداد وقد حشر بغداد فساد حشده في مهنة صياغة فغننوا الخلفي الفضيبة مما تزيين به المرأة من أسورة وفلاكل وسلاسل وأحلة وخواتم وغيرها كثير.

كانت نجمة داوود مرسومة في بعض الغرف كمناسبة دالة على مرور اليهود بها ممارسين ما اختصوا به من مهنة.

كانت في بغداد (التي) شاهد من قصده يصف مهنة صياغة النسيج في بغداد.

وَقَارَاتُ «شَوْعَه» قَدَّمَهُمْ وَنَقَشَهُمْ.

و «النَّارَاتُ» جمع «نَارَة» وهي حلقات مشبكة من حصة تلبس على أحد قرون المرأة من الأمام للزينة. وهذه الحصة من اليهود.

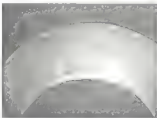
سعداً، حيث روي عن يهود بغداد أنهم يبيعون السلع على أقدامهم، وهو يبيع الصوفية منها، وهو يبيع السلع على أقدامهم، وأغلب حرفائه من النساء والأطفال، أمّا من يستنكرون عن الأمر معتبرينه من صغائر بلادهم من شأن الأطفال والنساء، كما أن لعنة الحرفة رافضاً من هؤلاء التجار بدافع الغيرة، أن يكون في اتصالهم بالنساء ما يتال من سوء

2 - البذال :

قد عرفت بعض القبائل بممارسة هذه المهنة دون سواها واكتسبت فيها خبرة كبيرة

3 - الدلالة :

وهي تاجرة متجولة تعرض سلعها في الأسواق من لاسد، بغداد، لا يصرحون في بيعها من بين النساء المسنات. هي تعرض البضاعة على التقدير وتقاضي على ذلك أجرة محددة عند التجارة بل تضطلع بدور اجتماعي من النساء والزجال على حدّ التواء فتمهد لربط علاقات الزواج الشرعية لمن يطلب منها ذلك من الشبان، وربما تولت المصالحة بين المتخاصمين من الحشيين



شلال عليه نجمة داوود



مجموعة من الخلفي الفضيبة



نجمة داوود سلف إحدى العرف

2 - 9 : المطين

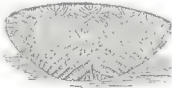
عرفت الذبورات وشنتي وقد أصبحت من قبضة
وكانت الذبورات أكثرها شهرة ولعل ذلك راجع لما تحويه
الذبورات من كميات كبيرة من الطين، فبعض جبالها
من الطين إضافة إلى توفر ألوان كثيرة
منها الأصفر والبني والأسود، تختلف حجم ذبورها
من بضعة سنتيمترات إلى عدة أمتار، والذبورية (تنبورت) وبقيّة
الذبورات بعد ظهور الخبز والكاثون
مجمّرت وغيرها... وهي في الغالب
سائبة، وقد اشتهرت على مرّ التاريخ بمسعود
ديرة التي مرّ بها قوبار (16) سنة 1916 وتحدث عن
فئها وحذقها بإخطاب، وقد عرّضت من إنتاجها مجموعة
مضبوطة منقوشة باردة لست أدري إن كانت مارالت
معروضة أو أنها محفوظة ضمن مخزونات المتحف.

مكتوبه التي كانت ماهرة هي ايضا في صناعة
من وقد نويت منذ ما يقارب العشر سنوات.

رَبِّتْ لِسَيِّدَةِ طَاطِةَ الصَّبَّارِي (71 سَنَةً) تَمَارِسْ



آية من الطين مرئية من الداخل
و من الخارج



أنية من الطين مزينة من الداخل و من الخارج



مکھنہ من احمد نظر

وقد تطورت صناعة الجلود مع استيراد الفيلالي (14) من غدامس منذ بداية القرن التاسع عشر. ووجدت الحاجة لمصنوعات أخرى

ظهرت صناعات حديثة حديثة ملونة ومطرزة بحب، البلاستيك البيضاء أو الملونة وعرف بعض الحرفيين ومهروا في صناعات كثيرة منها مكحلة الخشب (15) وحافظات النقود المثقبة والمربعة وأعماد الشوف وسرو حب وعبره.

كما تنصل بحرفة الاسكافي ساعة الحيد .
من بينها أدوات يحتاجها أهل هذه جهة مشر

المزود: وهو جلد جدي وهو
الزمام أولاً لتلوينه وتطريته ثم
لنصفيه الثانة واللون المائل للحمرة
الدقيق والسويق وحتى التمر والشرج

- الشكوة (للحليب) والتقاط (للماء في سفر) ويعالج كلاهما بالذئاع فقط.

- القربة : تكون أكبر من الشكوة والسماط ونصلح لحفظ الماء لئلا يفسد. وتعالج بالضريح (ورق الربتون) والملح واللبوش (أزهار الرمان الب

- العُكَّة : لفزيت والسمن. وتعالج بـ د (ماء التمر المخلّى) أولاً ثم بحشائش الجبل العطرة.

- القرفة : وهي وعاء جلدي كبير يصنع من جلد الحاموس وأشهرها قرفة فزان، وهي بمثابة الصندوق الذي تحفظ فيه المرأة أمعتها الخاصة من عطور ولبان ومرابيا وحناء وغيرها... وآخر من اشتهر بصنعها ونزقيها بمنطقة الرقة التومي البكاي.

وهي قطعة من عظم ضلعة جمل لا تتجاوز 15 صم طولاً. وترسم على القطعة بعض الرسوم أو الأشكال وتترك حتى تجف، ثم تحمي في موقد شديد الحرارة حتى يميل لونها إلى الحمرة... لتصير بعدها صالحة للاستعمال، ولمن أراد الزيت طلي القطعة بلون أحمر من الطين قبل «حرقها» ولعل بقاء هذه الحرفة قائمة زماً طويلاً يعود إلى عادة كانت سائدة بالدويرات وهو أن لحم العيد لا يؤكل إلا مطهواً في قدر جديد، ولذلك تستعد النسوة خلال الأسبوع الذي يسبق العيد للحديث وتعم الحركة وتتحوّل القرية عدتد إلى ورشة كبيرة لصنع الأواني الطينية.



أوان من الطين قبل «حرقها»



الأولى ثم تنتجها الطبيعة حول

ARCHIVE

جميع الحقوق محفوظة

القديم أو الحلفاء: منه تصنع القفاف والحصر والشوامي (لحصر الزيت) والمدايل (تحمّل على ظهور الدواب) والكتائب (مفردها كتيوت وتكون في الغالب كبيرة جداً لحزن بعض الحبوب) وغرابيل الزيتون وتقتل الخيل من الحلفاء وبعض أدوات الحراثة وحتى فحاح العصافير وبعض الدلاء.



إلى الآن هذه الحرفة ولكنها تكفي بصنع ما يحتاجه منزلها من الأواني الطينية، وقد تعلّمت على يدي خالتها فاطمة بنت إبراهيم الصاري.

وتمر صناعة الطين بعدة مراحل تبدأ بجلب الكمية المحتاجة من مقاطع الطين الكثيرة المنتشرة بالدويرات واختيار اللون المراد استعماله ويوضع الطين في الماء مدة أربعة أو خمسة أيام ثم يؤتى بكمية من التبن وهي مادة بزازة تدق وتطحن وتذر على الطين عند عركه حتى يتماسك ثم يشكل المصنوع ويسلم «بالسلالة»



السيدة فاطمة الصاري

10 المصفيرة



حرفي مزال كمارس مهنة لصمرة حرمي الزيتون يصنع أبيض من القديد شبي

منهم قدر ما يستجيب لحاجاته واتخذها آخرون حرفة ومورد رزق. فعرفوا بها ومارسوها وأورثوها أبنائهم.

المسوح : تم حرقه شديداً بفساد و بدمار
الكثيف ، وكان يقصر حبيب و حبيب

احتمسه : وهي معلوم أسبوعي يعطى للمؤدّب
كل يوم خميس نقداً كان أو غيره .

- الختمة : وهي هدية يعطيها الطالب للمؤدّب عن
ختم أجزء معينة من القرآن الكريم (13 ختمة في كامل

و للمؤدّب أدوار اجتماعية أخرى فهو الذي يكتب
الرسائل للغائبين ويقراً ما يرد منها على ذويهم وهو
الذي يؤمّ الناس في الصلاة ويفتي في بعض القضايا
الفقهية التي يعرفها . . . ويحظى المؤدّب باحترام الجميع
تقديراً لما في صدره من كتاب الله .

III - الخاتمة :

و قد أصبح ثاني مبنى قدر جد
بعض الناس ، إلى قدر حقيقته و جدته .
للقصور تحولا اجتماعيا كبيرا ،
و قد أصبح حاضرا حتى
بعد في السابق ترفا زائدا صار اليوم ضرورة
لذلك فقد تغيرت خريطة المهنة كما تغيرت
مهامها ، بانقرض البعض منها مثل حراسة القصر
وصناعة الطين ونجارة الأقفال الخشبية وتطوّر البعض
الأخر بدخول الآلة المساعدة على مضاعفة الإنتاج
وصارت بعض المواد الأصلية مصدر إلهام لحرفيين
آخرين فصنعوا من نسيج الغرارة والفليج المحافظ
والأحذية والحقائب ، كما استنبط آخرون من رسوم
التسبيح أشكالاً جديدة تحولت معها بعض الملابس إلى
محترفي عرض الأزياء وتزيين الصالونات ، وصارت
بعض الحرف المستحدثة مورد كسب جديد ومصدر
جذب للسياح و«على قدر عمران البلد تكون جودة
منتجاته» للتأقّق فيها حينئذ واستعادة ما يفتقد منها
بحث تنوّع دواعي الترف والثروة» (17) .



من عمارة القصور بقصر أولاد سلطان

- سعف التخل : ومنه تصنع المراوح والمظلات
والأطباق . .

- الضمارة أو الدّيس : ومنه تصنع الحصر وبعض
الشلال .

2- 11 المؤدّب

مر على سنين عديدة
عليهم فيه الحفل وتفتت الأمانة ود . . .
ترفا زائدا لا يسمن ولا يغني من حاجة
تعليم الصبيان بل إن «المؤدّب» كان يرافق بعض الضيفان
أثناء تنقلها في البادية .

و المؤدّب رجل له حد أدنى من التحصيل المعرفي
مع حفظ قدر من القرآن الكريم إن لم يكن كله . يتولى
تعليم الأطفال سورا من القرآن الكريم مع بعض المبادئ
الغربية لضرورية رتي تحفيظ بعض متون اللغة أو
الفقه ، يتلقّى الطلبة «الملة» ويكتبونها على ألواح خشبية
بمداد يسمى «الضمغ» يتحصّل عليه بحرق الصوف
وتحميصه ثم يضاف له شيء من الماء فيعطي مدادا بيا
مائلا للشواد ويستعمل للكتابة قلم من القصب .

يتقاضى المؤدّب مقادلا شهريا من كل طالب إضافة
إلى «علاوات» أخرى تتمثل في :

المصادر والمراجع

- سوسيو : الصناع عند ابن خلدون لـ محمد عبد المولى القنص (الجامعة الأردنية عمان).
 - لسان العرب لابن منظور
 - مع البدو في حلهم وترحالهم محمد المرزوقي.
 - الجنوب التونسي (ليون بوتكيار) مخطوط، تعريب محمد
 - مع ابن خلدون (أبو زكريا) مخطوط، تعريب محمد
 - ذو ن شعيب محسن، سائر شعبي، جمع وعقبه محمد بن موسى
 - خلدون : عبد : كتاب : نسبي، رقية كيرو ورضا الرقيق.
 - الكامن الكبير، قاموس فرنسي عربي.
 - EG GOBERT Revue IBLA, 1939, n°2 3eme année Tunis
 - عبد الله : شخصية مع : عبد : خلدون : نسبي : علي : خلدون : جامعة : خلدون : محمد : عبد :
 - مصطفى الصابري ونظامه الصابري وعلي الثاقب والحاج سالم بورحيس وعلي القطعي.

الله أمث و الاحالات

- [illegible]

قصور جبل نفوسة بين التهديم والصمود

مسعود أبو عبد الله (*)

والغلال، وقد صممت الغرف لتراعي متطلبات الحفاظ على المحاصيل الزراعية والمنتجات الحيوانية حيث زوّدت بغرف لتجديد الهواء داخلها، كما أن الشكل العام للغرف (انظر الشكل رقم 1) مصمم لتتوافق مع متطلبات

تعتبر القصور كانت تمثل المركز الذي تدار من
 القصر يلتقي فيه الأهالي لتدبير أمور حياتهم، كما تقام
 في القصر سوق للبيع والشراء، ويشرف على القصر
 شخص يلقب بالأمين يقوم بالإشراف على تخزين المؤن
 داخل الغرف الخاصة بالتخزين، كما يتم إعلامه من قبل
 الأهالي بكمية ونوعية الضائمت المراد بيعها (5).

لقد استعملت تلك القصور كحصون دفاعية لصُدِّ الغارات، حيث يتم اختيار مواقعها بدقة فهي غالباً ما تقام على جروف جبلية شاهقة. ويكون لكل قصر مدخل وحيد من جهة الحرف الجنوبي ويترك ممر ضيق للوصول إلى مدخل القصر.

إن اختيار هذه المواضع يساعد في عملية الدفاع، وتتم

قصور جبل نفوسة إلى بداية القرن 19 :

من الحياة، فقد اعتمد السكان على مياه الناصر
في أرجاء المختلفة وشيدوا بحارهم قراهم
التي أخذت طابعا معماریا خاصا
التي أخذت طابعا معماریا خاصا
التي أخذت طابعا معماریا خاصا

المعروفة بجبل نفوسة والممتدة من يفرن إلى وازن الواقعة على الحدود النيبية التونسية (1) حوالي 63 قصرا (2) يعود معظمها إلى الفترة الإسلامية المبكرة (3).

وينقسم الطراز المعماري لتلك القصور إلى نوعين الأول دائري الشكل والآخر مستطيل، ويأتي هذا التقسيم من حيث شكل الفناء الذي يتوسطها، كما تختلف أحجامها من قصر إلى آخر، ويتكون القصر في العادة من عدد كبير من الغرف موزعة على عدة طوابق، وهذه القصور تستخدم كمخازن لحفظ المحاصيل الزراعية وزيت الزيتون

(*) باحث، قونبر

نالت بناء على مشورة قائد الجيش بطرابلس أمير اللواء أحمد باشا حتى يتمكن سكانها من الدفاع عن أنفسهم وأموالهم ضد غارات قبائل ورغمة والهامة من داخل الحدود التونسية (8).

وفيما يلي إحصائية تبين أسماء القصور التي وقع هدمها وعدد الغرف التي كانت تحتويها:

أولاً: ما تم هدمه من قصور بمنطقة الزنتان

الرقم	اسم القصر	عدد الغرف
1	قصر سمرلو	160
2	قصر أولاد خليفة	200
3	قصر أولاد أحمد	240
4	قصر أولاد بالهول	234
5	قصر أولاد بالقاسم	240
6	قصر أولاد ذويب	100
7	قصر أولاد ترعن	1694

المصدر: محمد أحمد الطوير، مقاومة الشيخ
جور في تونس، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو
العثماني، ط1، 1988م، ص435.

ثانياً: ما تم هدمه من قصور بمنطقة الرجيات

الرقم	اسم القصر	عدد الغرف
1	قصر فيره	140
2	قصر تريف	110
3	قصر ندق	60
4	قصر فقي سعيد	220
5	قصر عمران	102
6	قصر نفقات	130
7	قصر وادي حسين	250
8	قصر سلامات	240
9	قصر ملح	362
	مجموع الغرف	1728

عملية الحراسة بالتناوب بين الأهالي، ومهمة الحارس هي الإنذار في حالات الخطر والإعلان عن الاجتماعات الطارئة وذلك بالقرع على الطبل.

إن تلك القصور كانت تمثل القلب النابض لقري ومدن جبل نفوسة، فهي المركز الاقتصادي والاجتماعي والدفاعي بالإضافة إلى كونها مهدا للثورات والانقذاضات التي شهدتها المنطقة، ومن أهمها تلك الثورة التي قادها المجاهد غومة المحمودي ضد الأتراك العثمانيين الذين بسطوا نفوذهم على المنطقة على مدى خمسة قرون. لقد اتحد المجاهد غومة المحمودي من قصر بن نيران الواقع بالقرب من مدينة بقرن مقرًا قاد منه معظم أنشطة المقاومة ضد العثمانيين (6).

تهديم القصور في العهد العثماني والإيطالي:

وعندما أدرك الأتراك العثمانيون أن تلك القصور تشكل خطراً على نفوذهم في ليبيا، فقد بدأوا في تدميرها. ذلك ما بين عامي 1843 - 1844م. و
بعض الوثائق والمراسلات التي تعود إلى العهد العثماني، حيث ورد في نص التقرير الذي يمتد إلى
والتي طرابلس إلى الباب العالي حول ما تم هدمه من
قصور بالجبل الغربي بتاريخ 1260هـ (1844م).

في نفس من القرن حين جرى من قبل
توجد قصور قوية البناء وهي منذ القديم مكاناً وملجأ
للفساد والمفسدين والعصاة من العربان وأهالي البلاد. ففي
السنة الماضية (1259هـ) حينما فتحت الجبل المذكور شرعنا
في هدم القصور المذكورة وأخذ الأسلحة الموجودة فيها
ولكنه بسبب من الأسباب لم تكمل القضية المذكورة،
وأدى بقاء قسم من القصور المذكورة بعد ذلك إلى عصيان
العربان المذكورين لهذا وجب من قبلنا حسم المسألة
كما ينبغي وتحرير القصور الباقية من أساسها وأخذ
الأسلحة الموجودة في أيدي العربان كليا (7). وتبعاً
لذلك قام الأتراك في العام 1844م بهدم باقي القصور
بمناطق الزنتان والرجبان والرجيات والحراية وفساطو
والريامية والحلاثة وتركزت القصور الموجودة بقضاء

المصدر: محمد أحمد الطوير، نفس المرجع، ص 436
ثالثاً: ما تم هدمه من قصور منطقة الرجان

الرقم	اسم القصر	عدد الغرف
1	قصر إبراهيم	110
2	قصر تركي	130
3	قصر جابر	140
4	قصر عفران	120
5	قصر علي	102
6	قصر ريتون	112
7	مجموع الغرف	742

المصدر: محمد أحمد الطوير، نفس المرجع، ص 436
رابعاً: ما تم هدمه من قصور منطقة الحراية

الرقم	اسم القصر	عدد الغرف
1	قصر حراية	1
2	قصر عذبة	1
3	قصر دة	1
4	قصر مريش	1
5	قصر ساديس	1
6	قصر م. قصار	1
7	قصر مزينة	1
8	قصر زلي	1
9	قصر غرب	1
10	مجموع الغرف	10

المصدر: محمد أحمد الطوير، نفس المرجع، ص 436

الرقم	اسم القصر	عدد الغرف
1	قصر أولاد مسعود	100
2	قصر أولاد مسعود	100
3	قصر أولاد مسعود	100
4	قصر شيخ موسى	100
5	قصر دة	100
6	قصر حمدية	100
7	قصر م. غرب	100
8	قصر دة	100
9	قصر دة	100
10	قصر دة	100
11	قصر دة	100
12	مجموع الغرف	1200

المصدر: محمد أحمد الطوير، نفس المرجع، ص 438

سادساً: ما تم هدمه من قصور منطقة الريانة

الرقم	اسم القصر	عدد الغرف
1	قصر عوايدة	1
2	قصر حلالية	1
3	قصر أولاد سيد حسين	1
4	قصر أهل العين	1
5	قصر أولاد عبد العزيز	1
6	قصر دة	1
7	قصر مكنية	1
8	قصر أولاد دة	1
9	مجموع الغرف	1100

المصدر: محمد أحمد الطوير، نفس المرجع، ص 440

سابعاً: ما تم هدمه من قصور منطقة الخلانة

الرقم	اسم القصر	عدد الغرف
1	قصر أولاد منصور	100
2	قصر أولاد حسين	100
3	قصر أولاد دياب	100
4	قصر أولاد الصغير	110
5	مجموع الغرف	410

المصدر: محمد أحمد الطوير، نفس المرجع، ص 440

لقد أسفرت العمليات التخريب التي قام بها الأتراك عن طمس معالم معظم قصور جبل نفوسة، وشمل التهديم 54 قصراً كانت تحتوي على أكثر من 10 آلاف غرفة. ولم تصمد أمام عمليات التخريب والتهديم إلا خمسة قصور وهي قصر بالوت وقصر الحوامد وقصر أولاد محمود وقصر المجاورة وقصر كابو، وذلك للأسباب التي ذكرناها سابقاً.

وقد قمنا بزيارة قصور بالوت وكابو والحاج. ورغم أنها تعرضت لعمليات تخريب أثناء الغزو الإيطالي للبلاد فهي اليوم بحالة مرضية وذلك بفضل عمليات الإصلاح والترميم التي قام بها الأهالي بالتعاون مع مصلحة الآثار وبعض الجهات الأخرى. وفيما يلي نبذة مختصرة عن هذه القصور الثلاثة التي قمنا بزيارتها.

قصور صامدة

1 - قصر نالوت :



قصر نالوت من الداخل

تعرض قصر نالوت للقصف من قبل الجنود الأتراك بعد سقوط حكم الأسرة القرمانية عام 1835م وقد تسبب ذلك بأضرار كبيرة للقصر مما اضطر الأهالي لإخلائه، ثم أعيد ترميمه في أواسط القرن التاسع عشر، إلا أنه تعرض للتخريب أثناء الغزو الإيطالي في بداية القرن العشرين، وتداعت بعض أجزائه فيما بعد إلى التدمير الطبيعي. وفي ثمانينات القرن العشرين بدأ العمل بالتعاون مع مصلحة الآثار بترميم أغلب الأجزاء المتبقية. قامت جمعية أصدقاء البيئة والتراث بترميم المآزر - من عمادات برصية (10)

2 - قصر كاباو :

بني قصر كاباو على الحافة الشرقية لوادي الشيخ (11)، ويعود تاريخ تأسيسه إلى بداية القرن الثاني عشر الميلادي، وهو من الطراز الدائري الشكل تتوسطه ساحة استخدمت لعقد الاجتماعات وسوق للبيع والشراء.. ويتكون القصر من ستة طوابق اثنين منها تحت الأرض، وهو يضم 360 غرفة، ويتم الصعود للطوابق العليا بتسلق الأوتاد المثبتة بالحائط. وفي وسط الساحة توجد حجرة يبدو أنها خصصت لحارس القصر الذي يطلق عليه لقب الأمين. ويحيط بالقصر عدد كبير من المنازل وقد ذكر الشماخي أن عددها حوالي خمسمائة وأن سكانها فقهاء ومن بينهم كان يتم اختيار قاضي المديرية وذكر أنهم يملكون عددا كبيرا من الماشية وأشجار الزيتون والتين (12).

يقع هذا القصر على عيبين المدخل الرئيسي لمدينة نالوت، وقد شيد على حافة جبل يرتفع عن سطح البحر بحوالي 640 متر، وهو يعد من أقدم القصور وأكبرها بجبل نفوسة، حيث يعود تاريخ تأسيسه بشكله الحالي إلى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي (9)، بني قصر نالوت على مساحة من الأرض تقدر بـ 1700 متر مربع وهو مكون من أربعة طوابق في أغلب أجزائه، وسبعة طوابق في أجزائه الأخرى ويحتوي على 400 غرفة كانت عبارة عن مخازن لمحاصيل زراعية مثل الزيتون وزيت الزيتون والحبوب والفواكه المجففة وبعض المواد الغذائية الأخرى وكذلك الأدوات والأسلحة. وهو يصنف من الطراز المستطيل الشكل.



قصر نالوت من الخارج

يقع مدخل القصر في الجهة الشمالية الشرقية وبلغ ارتفاعه حوالي 2.10 متر وعرضه 1.10 متر ويتميز بعدم وجود ساحة تتوسطه، إذ استغلت في بناء مجموعة من الحجرات، ويتراوح ارتفاع الغرف ما بين متر ومتر ونصف، وعرضها يختلف من غرفة إلى أخرى ولا يتجاوز عرض أكرها مترين، ويتميز بعدم وجود سلم متكامل للصعود إلى الحجرات العليا، ويستخدم عوضا عن ذلك أوتاد خشبية مثبتة في الجدران يتسلقها من أراد الصعود.



مدخل قصر الحاج

1188 متر مربع له مدخل وحيد من الجهة الشمالية الغربية. من ثلاثة جوانب متسمة و 114 من الحرس المحاصر الرابعه لآخري، حيث تم تزويدها بفتحات لتجديد الحرس، باب متسع من حاد وحار قد وجد بالقصر طابق تحت الأرض مقسم إلى ثلاثين مازاك. وبتميز القصر بوجود سلم ثابت ستحده لنعهد إلى الطابق الثالث وهو موصول بممر دائري لتسهيل الوصول لكل الحجرات.



قصر الحاج من الخارج

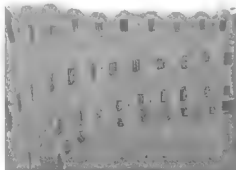


قصر كابو من الداخل

3 - قصر الحاج:

يقع قصر الحاج على الطريق الرابط بين طرابلس وبالوت ويبعد عنها بمسافة 150 كيلومتر، وهو يتربع على هضبة قليلة الارتفاع عند قدم الجبل، شرف مباشرة على سهل الجفارة. قام بيناته الشيخ عبد الله بن محمد بن هلال غانم المعروف بأبي جطلة في منتصف القرن الثاني عشر، واستخدم في بنائه المواد المحلية المتمثلة في الحجارة والجبس وجذوع النخيل والزيتون. وسمي بقصر الحاج لأنه كان مقصداً لعابري السبيل واستراحة للحجاج.

وهو مبنى دائري الشكل تبلغ مساحته الإجمالية



قصر الحاج من الداخل

خاتمة :

والمقاصد السياحية لما تحمله من عجائب البناء وفنون
المعمار خصوصاً بعد أن سجل ماتبقى من تلك المعالم
إعجاب السياح بشكل متقطع النظر، لذا وجب
العمل على إحياء ماتبقى منها في إطار التنمية
المكثية المستدامة.

إن هذه القصور المتبقية تشكل تراثاً معمارياً وبنياً
يجسد نمط الحياة لسكان جبل نفوسة خلال فترة
تاريخية امتدت عبر مئات السنين، وهي اليوم تحتاج
منا إلى وقفة جادة لأجل أن تكون ضمن الواجهات

المصادر والمراجع

- إبراهيم سليمان أشماخي، قصور ومسالك جبل نفوسة، نشر وتحرير محمد حمام مشوروات المعهد الملكي
للتراث الأمازيغي، الرباط، 2004م
- محمد أحمد الطوير، مقاومة الشيخ عومة المحمودي للحكم العثماني في إيالة طرابلس
الغربية 1834-1858م، مشوروات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ط1، 1988م.
- سعيد علي حامد، من تاريخ نالوت، الميراث مدونة تعنى بمستقبل العمارة والحرف الفنية في ليبيا،
www.libya.blogspot.com
- طارق السنوسي، قصور جبل نفوسة، www.libyan-tourism.org
- هنريكو دي اعسطي، سكان ليبيا، الجزء الأول، ترجمة محمد حليفة محمد التليسي، الدار العربية
للكتاب، 1974

ARCHIVE

- (1) هنريكو دي اعسطي، سكان ليبيا، الجزء الأول، ترجمة وتقديم حليفة محمد التليسي، الدار العربية
للكتاب، 1974، ص.
- (2) محمد أحمد الطوير، مقاومة الشيخ عومة المحمودي للحكم العثماني في إيالة طرابلس الغربية،
1834-1858م، مشوروات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ط1، 1988م.
- (3) سعيد علي حامد، من تاريخ نالوت، الميراث مدونة تعنى بمستقبل العمارة والحرف الفنية في ليبيا،
www.libya.blogspot.com
- (4) طارق السنوسي، قصور جبل نفوسة، www.libyan-tourism.org
- (5) إبراهيم سليمان أشماخي، مرجع سبق ذكره، ص169، 168، 171.
- (6) محمد أحمد الطوير، مقاومة الشيخ عومة المحمودي للحكم العثماني في إيالة طرابلس الغرب
1834-1858م، مشوروات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ط1، 1988م.
- (7) نفس المرجع السابق، ص441.
- (8) سعيد علي حامد، مرجع سبق ذكره.
- (9) نفس المرجع السابق.
- (10) إبراهيم سليمان أشماخي، مرجع سبق ذكره، ص169.
- (11) نفس المرجع السابق، ص169.

الحلقة المفقودة في تاريخ العمران بجبل دمر من خلال قصور معتمدية بني خدش

الهاشمي الحسين (*)

1- مدخل :

وعلى ضوء ذلك فإن نسبة القصور إلى الصحراء
بجبل دمر، أما نزوله القسري إلى السهول فقد فقد
بكون قصرا متيقا مشرقا على فضائه الشاسع
بل قد صار أقرب ما يكون إلى الزينة، أو ما
يطلق عليه "رحبة نعمة".

في مثل هذه الملاحظات نلاحظ
ليداني تقسيم الأنشطة العلمية لجمعية صيانة القصور
بجبل دمر إلى مرحلتين: المرحلة الأولى هي خدش صه شريفة كملّة
اتتهينا فيها إلى مسح أكثر من سبعين موقعا (70) أثريا
تجاوزت فيها القصور الخمسين (50) قصرا بين مندمج
في العمارة العامة، ومتفصل عنها، وتجاوزت فيها القلاع
خمس عشر (15) قلعة. لقد عاينا بذلك وجها آخر
لم توفه كل الدراسات المنشورة عن القصور بالجنوب
الشرقي بعد حقّه من التعريف والوصف والتحليل.

وإذا كنا لا ننكر قيمة ما كتبه الأب أندري لويس
(1) وعبد الصمد زايد (2) وغيرهما من الباحثين، طيلة
أربعة عقود من البحث، عن بعض القصور في منطقة بني

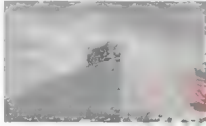
درج الباحث في تاريخ بعض
اعتبار القصور ظاهرة عمرانية
شبه الجبال في مجمل خصائصها
فمن حيث حجمها، هندستها،
على بلاد رحبة، وليس في دمر
عليه بالقصور الصحراوية والقصور

وإذا ما جاز هذا التقسيم الجغرافي للقصور حسب
موقعها التضاريسية، فإنه ليس من المنطقي أن نصل
الحديث عن القصور الجبلية ابتداءً على حجمها
منطقة جبل مطماطة، وجبل دمر، وجبل نفوسة،
ولا أن ننسى ما بينها من اتصال حضاري متين. بل
قد يكون من المدهش أن يكشف الباحث الميداني
القصر جبلي النشأة والإشعاع، وأن القصر إذا ما فارق
صخور الجبل فقد كل سماته الخصوصية التي تجعل
منه قصرا، حتى لكان القصر والتّسر أخوان في المنعة
والصّعوبة والتّحرّز.

(*) باحث، تونس

2 - تقديم معتمدية بني خدّاش :

تقع معتمدية بني خدّاش إداريًا ضمن ولاية مدين وتبعد عنها 32 كم غربًا تحدّها من الشمال معتمدية مطماطة ومن ولاية قايس ومن الجنوب معتمدية غمراسن من ولاية تطاوين ومن الغرب معتمدية دوز من ولاية قبلي ومن الشرق معتمدية مدين. وهي من المعتمديات القلائل التي تضمّ في قضاها أشكال التضاريس الثلاثة الجنوب الشرقي من صحراء الظاهر إلى سهل الجفارة مرورًا بسلسلة جبل دمر حيث تتصبّ أعلى قمة بالجنوب الشرقي (قمة كاف مريج) بـ 38 مترًا، وهو ما حدّد تحت بارتفاع 642 مترًا. وتحتوي على مجموعة من المواقع الأثرية.



صورة من جبل دمر من وادي التقي آخر شمال معتمدية بني خدّاش

وجبل دمر كما ذكره كلّ من ابن خلدون في كتاب العبر، ومحمد حسن بقوله «القصور الجبلية»: تموضعت أغلب هذه القصور على سفح جبل دمر الممتد من بني خدّاش إلى حدّ جبل نفوسة» (3).

وتما يتشأ جبل دمر من وادي التقي آخر شمال معتمدية بني خدّاش ويمتدّ حتّى جبل نفوسة مرورًا بالشريط الجبلي الخلفي لولاية تطاوين. وتقطع الجزء الممتدّ منه داخل معتمدية بني خدّاش على طول يقارب 40 كم وفي عرض يقارب 30 كم، ثمانية (08) أودية فحلة يصبّ اثنان منها غربًا في قرعات بوفليجة، وهما وادي الخلوفا الظاهري ووادي بن خشب، ويصبّ ستّ منها في البحر المتوسط وهي من شمال المعتمدية

جدّاش- موضع الدّراسة- فإنّنا نرى أنّ هذه الدّراسات قد اقتصرت على تلك القصور المشرفة على الطّرفات الجبلية، والتي يتيسّر وصولها بالسيّارات، وغالبها من القصور العائدة إلى فترة ما بعد القرن السادس عشر -آحرفرات تطوّر القصر بالمنطقة وأصنعها عمارة-، وهي قصور لا تساوي في القيمة والعمق التاريخي، ولا تعادل في الازدهار العمراني قصورا أخرى عويصة المسالك تخفي في أودية التّزلّية ومُفرّ والتّقي وأريّان ووادي بن خشب ووادي مانيط. وتحتمي بكتن تلك الشّعاب أو هي متوجّه لقمم جبالها الشّاهقة من مززن إلى تجحّت إلى السّوميّة والشّقيماء والكاف المعزول.

من هذه الشّعاب وعلى سفوح تلك القمم تخفي كنوز حضارة مدنيّة وسيطة لجبل دمر، وهي لا تزال غائبة عن أذهان الباحثين في تاريخ القصر بالجنوب الشرقي بشكل كبير.

ومن أجل أن تعرف عمارة هذه المرحلة أهلها بها قرونا من الزّمن، اعتمدت لدى الباحثين في التاريخ المحلي والوطني، ولدى المهتمين بالأدب، فقد أوليناها في هذا البحث اهتمامًا كبيرًا. نشره ضمن هذا العدد المختص من سلسلة «البحر» أن نحقق به ثلاثة أهداف رئيسية:

1 - التعريف بمخزون أثري بكر يستحقّ الدّراسة الأكاديمية العميقة لكشف أسرارها أكثر.

2 - تسليط الضوء على بعض الجوانب الأثرية من تدمير سريع قد لا يحيط بها هذا العدد من قبل من

3 - تسليط الضوء على عدة شواهد من القصور بالحسين، شرقي، إضافة إلى معيّنات مدينيّة دينيّة منتشرة في المحيّي من حضارة القصر في أصعب المناطق الجبلية وأعوصها.

ولعلنا بذلك نعيد القصر إلى مهله بدراسته ضمن مراحل الاستقرار بجبل دمر، وقد تشكّلت واكتملت من معايشة الإنسان للأوعار قبل مغامرته في اختراق السّهول وخوض غمار البحار.

والتجارة، فالبلد بذلك مركب عمراني نام عبر الأجيال والعصور، بل هو شهادة التطور الحضاري الطبيعي في رقي طرائق التعمير ودرجاته عبر مراحل التطور التمديني لقرون من الاستقرار الطويل في الجبل .

وقد لاحظنا أنّ كلّ هذه البلدات-القرى اجتمعت قد اشتملت على قصر يترتّب فوق القمّة مطلاً على حواف المنازل الحفرية عنه، وهي عبارة عن صفوف من المغاور لا تبعد عن القمّة كثيراً وإن تنحدر عنها لتنتشر في جنبات الجبل .

١٠ - سند عن هذه القاعدة غير بلد مقر (عدد 16 ضمن القائمة) لأنّه البلد الوحيد المشيد على جنبات الوادي ولم يشيد عند مستوى مرتفع من الجبل . ومع ذلك فقد أبى أهل وادي مقرّ إلا أن ينصبوا في القمم المطلّة على الوادي قصيرين مهتمّين هما قصر للمقرّين شمال الوادي وقصر مولصور جنوبه . وزادوا قصرين سفليين هما قصر



صورة رقم 02: واجهة داخلية لثلاث غرف بقصر مولصور في وادي مقر وقد دنت سليمة

إنّ مثل هذا التلازم بين البلد والقصر ليثبت نتيجتين مهمّتين في تطوّر العمارة بحيل دمر أو لاهاها أنّ القرية سابقة للقصر في التعمير والاستغلال المتعدد الوظائف، وثانيتهما أنّ القصر جزء من معمار أوسع هو هذه القرية الجبلية ومهمته تنحصر بالأساس في إكمال دورة العمارة

إلى جنوبها، وادي التقي وادي مقرّ وادي الحلوّف اجفاري وادي الغابة وادي ورجيجين وادي الخيل . وترتبط بهذه الأودية أودية وشعاب فرعية كوادي عين العنة ووادي البرليّة ووادي مانيط .

وعلى ضفاف هذه الأودية، وبين مصاب شعابها وقمم جبالها، تشكّلت عمارة جبل دمر قرونا طويلة، مستغلة ما جادت به عيون الماء الجبلية، وما وقّرت من مساق محدودة. وتطوّرت هذه الحضارة في تكيفها مع فضائها الصّعب، وفي حسن تصرفها في مواردها التنموية الشّجيرة حتّى شكلت بذلك مخزوناً ثرياً زائراً سنعرض إليه بشكل إحصائي في العنوان الموالي .

3 - المخزون الأثري لجبل دمر بمنطقة بني خدّاش :

أمدّتنا الدّراسة الميدانيّة للمجال :

مفتّحاً شئنا أن نكشف الكثير من الغطاء الجبلية وحينا والمستخفة حيث آخر، وليس المجال مجال نصيبا فيه إذ يكفي الجرد الإحصائي الواسع . حسب نتائج الدّراسة الميدانيّة حسب لاونيه خدّاش : من حضارة س . ب . لقمم الشّامخة متعة بقصورها، تظّل حضارة أودية . بني منشها واستمرارها وإشعاعها، ثمّ إنّ أفولها وليد جذب لأودية كما سنين ذلك في العنوان الثامن . وقد رتّبنا هذه الأودية من شمال الحبل إلى جنوبه حتّى نيسر للباحثين تمثّل التّوزيع الجغرافي للمواقع الأثرية .

4 - القصر تاج العمارة الوسيطة في جبل دمر :

أحصينا في الجدول المّتب ضمن الملحق رقم 01 ما عدده 29 بلداً، والبَلَد مصطلح محلي يطلق على القرية الحدية المعامرة والجامعة بين التّكن المتور في الصّخر والبناء المخصّص لأغراض التّخزين والدّفاع والتصنيع

فالأولى ذات شكل هندسيّ مثير وقد رسمت بالقصر الكبير لبني برزل وهذا نصّها:

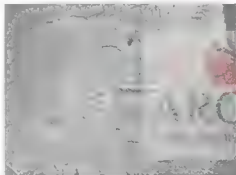
بسم الله الرحمان الرحيم

رفع هذا القوس زيد رحمه

يوم التلات عام 9 قرن [809 هجري]

أما النقشة الثانية فهي نقشة نصيّة بلسان القلم وقد عثرنا عليها بجدار غرفة داخل مغارة ببلد طيباء في وادي التقيّ وهذا نصّها

الحمد لله رب العالمين	بسم الله الرحمان الرحيم
هذا . . . في عام	وصلى الله على محمد
أربعة وتسعة	
مئة	



صورة نقشة تاريخية لغرفة بالقصر الكبير
تحتوي على نصّي تعود إلى سنة 904هـ / 1499م

جلّي إذن أنّ القصر قد مثل خلال مرحلة العصور الوسطى تاجا به دقمت العمارة التوطيبيّة استقرارها بجبل دمر ومنه مستمد نفوذها على المجال الحيوي لها، بل ومنه سينطلق إشعاع البلد على بقية المناطق القريبة في الصحراء غربا وفي السّهل شرقا، حتى يدرك البحر في توفير المدد العسكريّ والحاجيات الأساسية لجزيرة جربة. فليس غريبا عندها أن يصبح القصر مركز الإشعاع الحضاريّ بهيئته على طرق التجارة الصحراوية من جهة، وباستفادته من مرامي التجارة

من الحفر الخالص إلى الحفر المزوج بالبناء انتهاء بالبناء الخالص ذي الطوابق والأرصعة والأسوار والمحارس

وإنّ ما يبرز هذا التنوع أكثر هو الكلفة الماديّة الباهضة في نقل المياه ومواد البناء من أعماق الوادي إلى قمم الجبال، وتلك الجهود المضنية في تطويع القمم الصخرية حريزة لا مسكب حسدة السّاء. فكأنّما أراد الإنسان أن يقهر منعة الجبل مرّتين، ينقر البيوت في صخوره الصلبة، وينشد القصور على قممه الشاهقة. وتلك معجزة بناء لا عن فخرا لدى أهلها عن فخر الفراعنة بأهراماتهم. لذلك روّقوا جدرانها ورثّوها بالرّسومات الفخريّة والآيات المستبشرة ورسموا عليها تواريخ التشييد إيمانا منهم بتحدّي قسوة الزّمان بعد قهر صموده المكان.

ولقد تابنا في هذه القصور المتدمجة ضمن بلداتها جملة من النقوشات التاريخيّة تعود إلى القرون الثامنة والتاسعة والعاشر من التاريخ الهجري أي إلى المنتدّة من القرن الرابع عشر إلى القرن الخامس عشر والسادس عشر ميلادي ومن أهمّها: بلد 777 هجري [1375م]، القصر بـ 809 هجري [1406م]، وقصبة بـ 826 هجري [1416م]، وبلد الرّوأي 826 هجري [1499م]، طيباء 904 هجري [1499م].

وقد اخترنا في بيان ذلك نقشتين مشتين حصرتمش

محتفشت



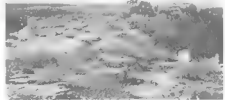
صورة رقم 03، نقشة تاريخيّة لغرفة بالقصر الكبير
تحتوي على نصّي تعود إلى سنة 809هـ / 1406م

البحريرة عبر التواصل مع جزيرة جربة بشكل خصوصي ومباشر، وذلك ما سحاول بيانه في العنوان الموالي.

5 - القصر إشعاع الحضارة الوسيطة في جبل دمر

يلو أنّ هذا الإشعاع الواصل بين طرق الصحراء ومرافق البحر في نشاط تجاريّ حيث سيلعب فيه جبل دمر، جزيرة جربة الأدوار المهمة إذ كان هذا التواصل قد بدأ أقدم منذ بداية العصر الوسيط، والذكور محدد حسن يذكر في دراسته بعنوان «القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط»، وفي معرض حديثه عن أبي ميسور يسجا بن يوجين اليراسني أنّ هذا القرني الوهمي قد لعب دورا مهما في ربط التجارة الصحراوية بالتجارة البحرية فيقول دوهو من بني يهراسن إحدى قبائل الجنوب الإفريقي المستقرة بجبل دمر، فقد كلفه مشائخ نفوسة في إحدى سنين المجاعة باشتراء الطعام من الجزيرة لرحصه، و... إلخ إحدى القوافل التجارية إليها (4)

وبعد ذلك بخمسة قرون، ورعي التغييرات سياسية بقدم بني هلال من الشرق إلى الغرب، الإشعاع التجاري لقصور جربة من ذلك ظاهرة القصور التي تصعد بؤى غربا والطريق القنصية المنطلقة من تونس ومخاض حدة جبل شرقا. ولأنّ الاستقرار كان بأعماق الجبال فقد تفرّعت عن هذين الطريقين طرق داخلية توصل بقصرين تجاريين مهتمين طيلة القرن التاسع هما قصر بني برزل الكبير وقصر قسبة مانيط.



الصورة رقم 05: منظر عام للشاطئ الأمية بتصب قصر بني برزل. مدينا ويرر السور المحيط بالامتداد الضخمي

لقد شيّد القصر الكبير لبني برزل على امتداد صخري مستطيل عند قمة جبل منبسطة وامتدّ سوراه على طول 500م بعلو يندرک المترين ويتراوح عرض هذا السور بين 40م و20م. وكلّ هذه المساحة قد سوّرت بجدار سميك تتقدّمه ثلاثة أسوار من جهة الشرق. وقد راد بنو برزل فتصّبوا في القفّة المتقدّمة على القصر قلعة منيعة وحفروا الطريق المسيّج تحتها ليصل القصر من الجهة القبليّة حيث تتدرّج الطريق الحلزونيّة حتّى تحطّ الأحمال بساحتين إحداهما أمام القصر والثانية خلفه وقد انتصب القصر بغرفه ذات الطاقير بينها وهي غرف عديدة تكتظ بها ساحة المستطيلة فقد بلغت الثمانين (80) غرفة. وقد بدت غرفا ضيقة فذليّتها لانتجاوز 6 أمتار عمقا و03 أمتار عرضا. وقد عرفت الساحة الداخليّة للقصر المقاسات التالية فطولها من الغرب إلى الشرق 36م وعرضها من الجنوب إلى الشمال 13م.

هذا المدخل التريسيّ منصر قد نشد من جهة الشرق ومقاسه 2.30م ألساعا من خارج ثمّ ضيق فصار 1.30م من الداخل وعرضه 3م وعمقه 2.5م

هذا المدخل منصرف من جهة الغرب ومقاسه 2.30م ألساعا من خارج ثمّ ضيق فصار 1.30م من الداخل وعرضه 3م وعمقه 2.5م

كتبها علي بن سلامة رحمه الله

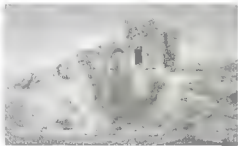
بنها نوح بن رحومه رحمه الله

في يوم لثنين من شهر الله شوال

إنّ معمار هذا القصر وموقعه بين جملة من البلدات وعددها 05 والقلاع والمراقب وعددها 03 وإشرافه على واحة الخلوّف وادي البرزلية وشعبة زمور، كلّها شواهد تثبت قيمته التجارية وتنميه جوهرة التعمير ومصدر إشعاع الجبل في عهد تعمير بني برزل له خلال القرنين الثامن والتاسع هجري/الرابع عشر والخامس عشر ميلادية..

وفي نفس تلك الفترة كانت تنمو شرق شعبة بني

القابلة للفراسة وخاصة غراسة الزيتون، وثانيها توفر
حطب خشب الشعاب المخترقة للسهل، وثالثها
تراكم خبرة بشرية لعشرات الأجيال المستوطنة بالمنطقة
في عمارة الأرض وحسن استغلالها وليس ذلك بغريب



صورة رقم ٥٧، منظر عام لجامع عوالة الحفري
بمنه صومعه (1000هـ/ 1600 ميلادي)

سوي أقدم جامع-جامعة باجعة وهو جامع
صومعه إلى سنة 560 هجري، وقد

رسمي سنة 811 هجري
ثم كان تشييدهم لهذه القصة سنة 819 هجري.

إن هذه القصة، المشيدة بعد الجامعين الحفريين
بسنين، هي عبارة عن تطوّر عمراني متوازن. فقد امتدّ
الاستقرار السكاني في المفاور حول ربوة القصة مساحة
1 كم طولاً و0.5 كم عرضاً. وانتشرت المنازل صاعدة
مع الجبل مئات الأمتار دون أن تشكل حائلاً متلاصفاً
بل استغلت تفرعات الشواقي الصغيرة ونقرت بينها
بيوتاً متناثرة. ثم كان اختيار الربوة لحفر حائلاً من
النمازل في جنباتها الشمالية والغربية والجنوبية وقد
طلبت جدرانها وقومت أفواهاها واعتنى أهل القصة
مقصورات الثوم داخلها وبالحنابة لتخزين المؤن كما
حشنت مداخلها. ثم شُيّجت بإحكام بناء الصير.

برزل وعلى بعد 4 كم في ربوة مشرفة على سهل دمر
الحصيب إمارة المناطيين، وقد حوّلت الزرع التجاري
إلى صنوع الصناعات دة تعمير يمكن اعتبارها تاج العمارة
بجبل دمر خلال العصر الوسيط كما سيّين ذلك في
العنوان الموالي.

6 - من القصر إلى القصة: الإمارة المناطية تاج العمارة بجبل دمر

تنصب ربوة القصة في الجزء الشمالي من سهل
دمر وهو عبارة عن امتداد سهليّ تحت كاف منزلون شرق
وجنوباً تقيمه شعبة منزلون شرقاً ووادي رخالة جنوباً
ويمتدّ هذا السهل من الشمال إلى الجنوب 8 كم حتى
يدرك قصر الجوامع ليمتدّ من الشرق إلى الغرب مسافة
6 كم حتى يصل ربوة بني خداح. ولكنّ عرصه يضيق



الصورة رقم ٥٨، منظر أمامي لصورة القصة
ويظهر فيه مدخلها وأفاضل استراحة سائها بعد إقدام القصر

في الجهة الشمالية من قمة منزلون حيث شيدت قصة
مسيط ليقصر على 3 كم.

يتميز هذا السهل بخصوبته ويعدّ من أقدم المناطق
في استقرار الأمازيغ بجبل دمر وهو الجزء الوحيد الذي
مازال يحافظ على تسمية دمر. وسرّ خصوبته توفر ثلاثة
عوامل مساعدة على ذلك أولها اتساع نسي للمساوحات

قوساً داخلياً مفضياً إلى ساحة القصر. لقد شُتِبَ القصبه بحجارة منحورة أكثر ضخامة من حجارة ساء القصر وبِدت العناية بِمِثَالَةِ أسسها واصحة إذ يعلو البناء 6 أمتار ويقوّس المدخل ثم ترتفع من الدّاخل مدارج صغيرة لتصب الزيت الحامي من كوة نازلة على كلّ عدو يحاصر القصبه أو يسعى إلى دخولها عنوة.

جلّي إدن أن نظام الهندسة المعمارية لهذا المعلم مستوحاة من بناء الرّباطات والقصاب بالسّاحل التّونسي وأنّ ارتباطات أهل جبل دمر بالسّاحل قد كانت وثيقة



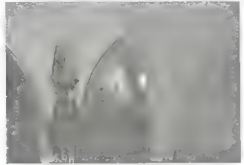
111a: بعض النقشة المؤرّخة لتشييد القصبه

سجّرها ولأنّهم لمكانت لذلك القصبه، عمدة هريدة نقشتها للملّة بحزّه الشرقي من قوس المدخل على لداخل ناربع التشيد التالي

بي هذا المعلم في يوم الخميس السادس عشر من شهر ذي القعدة عام 819.

وتحت راية هذه القصبه استقرّ استقرار أهل دمر زما حتى كان الجفاف المرحّل لهم عن عمارتهم والمنهي لأخصب مرحلة وأزهرها في تاريخ الجبل.

ويصع الدكتور فتحي ليسير في أطروحته الجامعية نغم ورغمة سنة مفصلة هي 1548 السّنة التي افتتح فيها الأتراك الطّريق التجاريّ السّهليّ عبر الجفارة وصار الطّريق نحو طرابلس معوّضا لطريق غدامس (5) فازداح الجبل عن الحركة التجارية النشيطة بين تونس والصحراء خاصّة وبين المغرب والمشرق عامة. وذلك ما عجل بكساد



صورة رقم 111: منظر داخلي للجامع الأرضي حوب قصبه مايط-11:أهجري/1408هـ

وربطت هذه الجهات الثلاث بداموس داخليّ يمتد عشرات الأمتار فيخترق الزّيوه وعند الجهة الجنوبيّة، وفي أطراف الحفر شرق



صورة رقم 112: حاف المزلّ السّما تصب فوقه القصر تنظّمه القصبه

شيدت معصرة زيتون. وبعد هذه المرحلة من التعمير الهجريّ تمّ تخطيط الزّيوه قصرا بطابقين يميل شكله إلى الاستطالة في مساحة 40 طولاً و20 عرضاً وجعل مدخله غريباً فاحتوى بذلك 60 غرفة للتخزين توسّطها ساحة شبه مسوّاة.

وبعد الانتهاء من تشييد القصر اختيرت المساحة المرتفعة أمام المدخل لتخطيط القصبه وتشيدها، وصار المدخل

الثاني لا. علي بن منصور يوسف الزموري عام 1297
لثالث لا. اسلمة

وقد يُستغرب أن يكون اسم يوسف الزموري موجودا
بقصر سيادة واستقلال لقليلة الجوامع على غرتين
بتاريخ 1278 و 1297 لكن الجواب عن هذا السر سيكشف
في نفس الوقت تاريخ قصر أولاد مهدي، فقد عثرنا
في غرف علوية من هذا القصر على الكتابة التالية

بسم الله الرحمن الرحيم
سعد بن صعون (ووضع آثار رجليه)
يوسف الزموري (ووضع آثار يده)
أولاد موسى بن محمد



صورة داخلية لقصر أولاد مهدي

... زغاية... من محمد بن غانم رحيم...

جلتي إذن أن يوسف الزموري بناء ماهر في تشييد
القصور وتخطيطها وكان يتنقل في هذه الفترة بينها
موزعا خبرته بين مختلف المجموعات الزغاية في
الاستقلال بقصورها، مساهما مساهمة كبيرة في تحقيق
إعادة الإعمار للمنطقة أفرغت قرنا ونصف القرن قبلها من
خبرة العمارة الإيبانية

ولعل الاحتراس من رد فعل أهالي قصر بني خداش
لدى مجموعة الخراشفة جنوب الجبل هو ما قد حول
وجهتهم نحو الاستفادة من خبرة بنائي غمراس، فقد
عثرنا بمحصرة حجرية تحت القصر على ما يبين ذلك في
النص التالي:

ذكر لنا شيخ الخراشفة أن قصرهم قد دُيّر...
بناء قصر بني خداش، فكان ما بيني منه النهار يهدم
بالليل من قبل الفاتمين على قصر بني خداش، حتى لا
يقي غير القصر الواحد الموحد.

غير أن هذه التركة الاستقلالية المتخفية سرعان ما
غلبت على تلك المجموعات المتحالفة بعد قرن من
الزمن، فإذا كان قصر الحلوفا مثلا قد أنشئ بتحالف
بين مختلف المجموعات العابرة للوادي نحو الظاهر
والجفارة، فإن قصر أولاد مهدي، قصر جامع...
أساسا من قبل مجموعة غربية...
إلى ذلك قصر الخراشفة، وسيخلى المحاضرة و...
بوعبيد عندها عن قصر بني خداش، ويقيمون قصورهم
الخاصة، بل إن زُمور التي تعد أقرب الشعب إلى بني
خداش ستستقل بقصورها. لقد كان القرن 13 هجري
19/ ميلادي قرن استقلال العروش بقصورها. وقد
وقفنا على نقاش بأسقف الغره وحدها بنصرى
أولاد مهدي والجامع، وهي تورع...
تواريخ التشييد ومنها

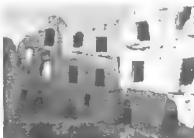
هذا بيت حسن بن علي بن بوع...

- هذا ملك امحمد بن عمر بن بن...

- يوسف الزموري سنة 1278

ب- سم الله

صالح بن حمد بارودي سنة 1287



صورة عدد 12: منظر داخلي لقصر أولاد مهدي

نُوصِيكُم يَا سَائِكِينَ لِرَاضٍ بَعْدَهُ
 رَهُ عَيْتٍ فَتُحْ
 نُوصِيكُم يَا سَائِكِينَ لِرَاضٍ بَعْدَهُ
 رَهُ عَيْتٍ فَتُحْ
 وَلِنَقْصِ نَصْرَهُ وَيُحِبُّ نَصْرَهُ وَيَقْصِ نَصْرَهُ

نُوصِيكُم يَا سَائِكِينَ لِرَاضٍ بَعْدَهُ
 وَلَا تَقْرَطُوا فِي لَسَدَيْنِ

ملخص الوصية: صيغت هذه الوصية باللسان الدارج المحلي وتجمع لفظاً عربياً وآخر أمازيغياً وملخصها أن عملية الجلاء عن جبل دمر لم تتم إلا بعد صلاة 500 طالب بالجامع الأرضي وتقييب 500 من حرائر نسايتهم فوق حاملهم ليرتكوا الموطن الجبلي نحو برار بعيدة لم تحدد في الوصية، لكن نصها قد التفت إلى تخزين الحيرة وتبرير دواعي هذا الجلاء بالجفاف والحراد وريح العربي الحادة من جهة وبصعاب الحياة من جهة ثانية، وتهيئة الوصية إلى فئة مردودية مهن حيث في العناية بالتخيل وفي الضميرة من جهة وإدراك من متزوج صامد في وجه الجفاف من جهة والماعز وأسود نباتي هو ثقل من جهة، فأوصت بهما، نهاية النص

2-8- الفصل الثاني :

لقد تداعت أسس استقرار جبل دمر بانهايار الإمارة المانيطية، فتسارعت القرى السبعه صمها إلى التشتت، وصار أهلها يهجرونها خفافاً وثقالاً، لزيادة مأساوية المشهد حدة، عندما يتفرق إخوة الأملس شتاتاً مهملاً بين الطرقات، وتنشأ عندها الحكاية من رحم الجبل الجريح، لتختزل آلامه. إذ تذكر الرواية الشعبية قضيتين هما من أكثر القصص تراجيدية، تحضر فيهما المرأة والشيخ. وهاتان القستان تؤلّفان معا تراجيديا «الجلوة» كما يطلق عليها محلياً سيما، وقد شاعت أدبيات مغادرة المواطن كرها، وصار جبل دمر مدرّساً في بناء الاقتصادية

والاجتماعية، ورفع الهاريون من قحط الجبل شعاراً غرّب
 تُعَشُّ بِشَرْقٍ تَتَحَّى. ثم انتشرت تلك الأمثلة المفرقة
 حين دمر من محروته الذميراني بقولهم:

نَبِي طَارَ فِي أَوَّلِ الْمَشَوَرِ يَحْصِلُ النَّجَاءَ وَيُعِيشُ
 وَاللّٰهُ قَدْ لَأَوْهَامَ الدَّارَ لَأَوْهَ بِأَجْنَةٍ لَأَوْهَ بِالزَّيْشِ

تقول الحكاية الأولى إن أميراً من أمراء قصور جبل دمر المتبعة قد اشتدت الأزمة بأهل إمارته وطال الجفاف عليهم، وقد هجر سكان القصور المجاورة لهم الأوكار تبعاً، فصار أهل بلدته عازمين على الرحيل عنها، ولم يكن على ذلك الرأي لهم موافقا، فأحضر زوجته وابنه وابنته ليلة الرحيل. كان الفتى شاباً قوياً جليداً، وكانت الفتاة صبيّة فائقة الجمال، وقد قاربت العشرين من العمر.

جمع الأمير أفراد عائلته وقال: «الليلة يرحل أهل جبل دمر من موطننا، وقد قرّرت قراراً لا أراكم إلا مطيعي» فقال: «وما هو قرارك فنحن أهلك وعيالك، وأول ما نأكله» كشف عن أربع كؤوس من السمّ عند عيشهم، تناول حالاً كؤوساً ونسفي في أرضها بؤس، فالغربة ذلّ وعذاب ولن تنمو الشجرة في غير تربتها، وصت كأسه في جوفه، فخر ميتاً ولم يرب منه فخر ميتاً بالسمّ إلى جانبه، وقعلت ذلك روحه نفسه.

لكن الفتاة الشابة تردّت، وفزعت للمشهد، أهلها يتهاون أمامها صرعى! فتركت كأسها وخرجت مولولة حيث عثرت على القافلة مستعدة للرحيل فصحبتهاد دعة الأسى لا تفارقها.

سارت القافلة بالتجمع الهمل بين قيافي بعيدة، وتفرق أهلها ينسل في كل موطن منهم بعض المختلفين، حتى أدركت أحياء وعاء عرب مرّحلين في شمال إفريقية، هناك مكثت تلك الفتاة، بنت الأمير الذميري المدللة، بين تلك الأحياء تخدم الحرائر فتكنس البيوت وتعدّ اليد للقمّة العيش.

ومرّت بعض الأيام والبلاد خالية من سكّانها، حتّى استيقظت الفتاة طيّباء ذات ليلة على ديب ديب، وشبه
 به بعض العصف السور من عصر لربيع، تنقل وقد
 انهكهم حيوان بريّ في سواه، انقضت حده فأنه
 حتّى هو د وحش محب لا عهد به، عسى رب
 يكون حذو وكثيره، قال «لا نحدي سبي له الودد
 ذكر الغزال... قرّبي منّي السلاح الناري، وثبتني الحجة
 التصويب حتّى نظفر به» وأطلق الشّبح الصّريّر النّار من
 سلاحه فأصابه إصابة قاتلة. عندها فرحاً بذلك وقطع
 لحمه وشويه. وما إن تناوله الشّبح حتّى استعاد بصره
 فأندش قائلاً باللسان الدّارج:

اد عصف ليل صدقني رحيمة وسعني ديب
 وحش وكبري سمعته في هربته في أرواح حسنة

١٠٠ اعصم العذبة:

حيوة فرنسا المدحجة بالسلاح والمعرّزة بقائل المخزن
 ترحم من حملة جامي وفيلوبار ما بين شهري ماي
 ١٩٤٠م بعد الدّورعة من ديس ومن قصّة
 ربيعاً به في سروش ورغمة الهدية من أراضيها
 إلى الشّرق فقامه بقرّ جامي الانتقام من قبائل الحوايا
 بطريقة استفزازيّة قطعت الزّباين بسهل دمر وفي
 طريق العودة عرج جامي على قصر الجوامع التابع
 لعرش الحوايا وكان في نظر الفرنسيين من العروش
 المتمرّدة الحاملة للسّلاح. فأمر بحرق المحاصيل وقطع
 الأشجار ونهب محتويات الغرف قبل أن يلتحق بمجنين
 من جديد (7).

4-8 - الفصل الرابع :

معاول الحفر الشّهيّة لدى الحفّارة الحوايا تجتمع في
 شكل حضائر هدم وتنظيف، وتشد جميعها لسنوات
 متتالية خلال عقد السّتينيات من القرن الماضي. فهدم
 القصر ذو السّبعة طوابق، قصر بني خدّاش، ولم يبق
 منه غير غرف قليلة شاهدة، أو بعض الصّور التي

طلت بها المّة، فلم تجد لطعم الحياة لفة. فقد
 زادت ذلتها واشتدّ عناؤها عندها تقدّمت إلى فارس
 من فرسان الحيّ ومذت نحوه أوامر التقارب وظلّت
 تراوده حتّى وقع في شرك حبّها، فأغرته بالمال وحدّته
 عن ثروة ضخمة من الدّهب الخالص تركها والدّها
 الأمير ووعده بها كلّها إن أعادها إلى قصر والدّها
 الخالي بجبال دمر..

دفع الطّمع وحبّ القراء الشّريع هذا الفارس إلى
 المغامرة فأردفها خلفه صهوة حصانه، وسار بها أيّاماً
 وليالي حتّى أدركا القصر الخرب الموحش. فدععت بابّه
 وقصدت غرفة والدّها ففتحت صناديقه المملوءة ذهباً
 وقالت لفارس: «ذاك جزاؤك» ثمّ سارت به إلى الغرفة
 التي سمعوا به فيها صدأ، مسكّت دسّ سبي
 لدّه ودبّ له صبيّت عال: «نشرّب كاميّ وُزُقْد مع
 دسّ ولا نغدر أبداً نسايمي» ودفعت للكأس إلى
 حمده، فالتفت بأهلها في انتحارهم الجماعي.

وإذا ما قرّرت بنت الملك المنتحرة أن تعود فخرس
 في الموطن تربة عن ألم الجرب، تأس به الفارس
 صم، سدّ ذي نفس له شدّة في الرّبط
 جدّها، أصلها الثّابت، قائما به مقيم.

حدّث الزّواوي عمّار الصّدّيق قال: «ما سمعناه عن
 أبائنا وأجدادنا أنّ أرامت الجفاف وعسر الوقت كانا
 يلتمان بالنّاس في مساكنهم الجبلية، فلا يرى الجار لجاره
 نارا تنقد لطهي طعام، وعندها «يهيج» من الخلق الصّحيح
 التسليم ويكث الصّعيّف الحائر في مسكنه يتنظر موته،
 فكانوا يطبّون مدخل البيت عليه ويتركون له فرجة هواه
 وإبصار حتّى ينتهي به المطاف ميتاً في بيته-قبره».

ومن جملة من وقع لهم ذلك شيخ أعمى في إحدى
 قصور جبل دمر ينحدر من قبيلة قويس، طيّن الفارزون
 من الجفاف في جلوتهم عليه داره، وتركوا له بقايا أكل
 وغادروا القصر لكنّ حفيدته طيّباء قد رفّت خاله فقرّرت
 المكوث معه والموت حدّوه. فأبدلت الحائط الطّينيّ باباً
 خشبيّاً كانت تغلقه كلّ ليلة قبل المنام.

احتفظت بها وثائق المؤرخين. ونظمت ربوة الخدائش كليا من كل مقوماتها الأثرية لتحويل المغائر وسدّت المغاور. وانتهى بذلك رسم الحضارة فيها.

8-5- الفصل الخامس :

بقايا القصور الميعة في قممها، وفي العقد الأول من الألفية الثالثة، تتن وتوَجّع في صمت اليائس، فمقاطع الحجارة تُنصب تحت الطبقات الصخرية المثبتة عليها أصلا، وغرفها وجدرانها قد انهالت عليها معاول النّش عن الكنوز فأزداد عبث الإنسان بهذا المخزون وحشية وتدميرا، حتّى تكاد المنطقة تفقد آخر مخزون أثريّ يمكن أن يستدلّ به الباحثون ويستفيد منه المسترون، سيما وجهود الترميم والصيانة لم تتجاوز طورها التشخيصي- التحريسي

9 - كيف تعود الرّوح الى القصور والجبل مدمر؟!

لاشك أن تدخلات وكالة جهات إعادة الرّوح لقصر الحلوّف وبصرى المقدّم زمرور وبعض قصر بني خدّاش، «بني مشاريح الشراكة ضمن برنامج «جسور وقصور» ما زاد هذه الموارد تنمية، لحرصها المتواصل على تسريع وتيرة الترميم والصيانة. لكنّ وتيرة التدمير بفعل الزّمن أسرع من وتيرة التعمير، خاصة إذا كان هذا الترميم لا يخضع إلى استراتيجيّة واضحة المعالم، بقدر ما تتحكّم فيه عوامل ظرفيّة هي إلى قوّة التأثير ومثانة العلاقات أقرب من الحسّ التنمويّ الاستراتيجي، ذاك الحسّ الذي يراهن على إعادة تعمير الجبل انطلاقا من تفجير طاقاته التنمويّة، ومن استغلال موارده الطّبيعيّة، ومن الاستفادة من الخبرة المحليّة في تطويع المكان للإنتاج الاقتصاديّ المتنوّع ذي الخصوصيّة المميّزة.

إنّ ما يختفي عن برامج إعادة الإعمار والتّوطين أنّ

القصر لا يعمّر في ذاته، وإنما يعمّر بغيره، بمجاله الحيويّ حوله، وإذا ما قُصّرت مصادر المياه والتربة والكساء التّباتي فانغردت الأرض بسبب انخراط التسبيح المجتمعيّ في مشروع الإنتاج الرّعويّ المكثّف. فما الذي يبقى بعدها قابلا للتعمير. بل ما الفائدة من أن نرّم قصورا مجالها الحيويّ متهار كليا؟؟

لعلّه قد أن الأوان إلى أن نعيد النّظر في اختياراتنا التّنمويّة المحليّة، لقد شارفتا، بعد أربعة قرون من انهيار تجربة القرى الجبليّة، مرحلة كارثيّة اهارت فيها الجسور وتعرّزت فيها الصّخور. فأني قيمة عدّها لترميم القصور؟

إنّ القصر -رغم كلّ مجهوداتنا- سيظلّ هيكلا مختنقا ما لم يستنشق نفس الحياة من فضائه الأوسع، وما لم يمدّ ذراعيه حوله عبر مسالك المبادلات التي ألفها وتغذّى من رعاها قرونا طويلة.

نجد أنّ هذه القصور المرتمة قد اتّخذت لنفسها مند منعزلة عن التّوطين الإسكانيّ الحاليّ، «تحت إشراف إدارة يدون إنسان فاعل داخلها، لا يحدّث أنّ الرّائى المواقع القريبة من السّكان اليوم، حتّى تكتسب حياتها من نشاطهم داخلها؟ ثمّ نلتفت إلى المواقع الأبعد بعد نضج التجربة. لأنّ دمج المواقع البعيدة عن المساكين في الحراك الاقتصاديّ عمليّة مكلفة وقليلة المردوديّة

وعيه فتكون الانفضاء إلى البلدات، قرى العصور الوسطى، أجدى وأنفع في الصّيانة من التّركيز على القصور الحديثة المنعزلة بطبيعتها عن كلّ حراك اجتماعيّ نشيط باستثناء نشاط الحزن.

وفي هذا المجال قد يكون تركيز الجهود على قصر بني خدّاش وتفعيله أمّجّع في وضع نواة انطلاق صلبة للمحرك التنمويّ الموطّف لثّرات الدماريّ في أنشطة السّياحة الثقافيّة والبيّنة.

جرا و همية متجّر هذه المعالم إلى التّخريب المتعمّد،
فتقتضى على الحاضر والماضي معا .

وجليّ أنّا قد تعمّدنا في دراستنا هذه الجمع بين
الاستفادة من المراجع العلميّة المختصّة، والاستفادة من
الحكاية الشعبيّة، والتّعويل على البحث الميدانيّ إيماناً مناّ
بأنّ ظاهرة القصور أكبر من أن يدرسها باحث أو يلتمّ بها
اختصاص بحثيّ محدّد، ولعلّها أنسب المجالات البحثيّة
لتعمّد الاختصاصات واجتماعها. لأنّ عالم القصور
بالجنوب الشرقيّ عامة يستدعي باحثين في مختلف
الاختصاصات الدّقيقة اليوم، إنسانيّة وعلميّة. وذلك ما
يمكن أن يتحقّق بوحداً البحث الجامعيّة.

وإنّ أسلوب هذا العمل بمقتراح بحث وحدة القصور
بجامعة مختصّة من جامعاتنا حتّى تقدّم مادّة علميّة دقيقة
فيها البحث في تاريخيّة القصر وأبعاده الحضاريّة
والتّحصيليّة. ونسعدكم بغيره
غائب في دراسة معمار القصر بجبل دمر.

الوجه الغائب أو الحلقة المفقودة في عمارة القصور
بجبل دمر، كما اتّكشفت من خلال دراستنا للمخزون
الأثريّ بمنطقة بيتي خدّاش عديدة الملامح، فهي بداية
لنصف الحصريّ جداً، الذي يقع وسط ساحة من حجود
متصّرة، وهي أحياء عديدة لا تدنيه بهذا المخزون وما
تستدعيه من دراسات معمّقة. لعلّها تعرف الطّريق إليه
قبل أن يعرف طريقه إلى الاندثار الكلّي، وهي ثالثا
ذلك التّشكّلت في جهود الترميم والصّيانة وما يحتاجه
من وضع لاستراتيجية ناجعة في مقاربة المسألة تعاد
وحلق، وهي رابعا وأساسا تلك الوقفة النقدية التي
تحتاجها الدّراسات المستجّدة حول القصور بالتّعويل
على البحث الميدانيّ وربط المجالات ببعضها البعض،
فلا يعقل أن تقطع قصور جهة عن أخرى ولا أن تختار
وتصنّف أو تتحدّد بمقاييس تضاربيّة محدودة، وهي
خامسا ذلك الوعي الحقيقيّ الذي يحتاج إلى
بين متساكني تلك البلاد، بأنّ كثر القصور الخفيفي كامل
في عمارتها وعمق حضارتها، ولم يكن مطمو

ARCHIVE

100 90 80 70 60 50 40 30 20 10 0

3 m
100
10
1



المصادر والمراجع

1 المراجع باللغة العربية

- ابن خلدون (عبد الرحمان)، كتاب العرب، دار الفكر بيروت، ط 1، 1988
 - الجليلي (سليمان بن أحمد)، علماء جربة، تحقيق محمد قوجة دار العرب الإسلامي، ط 1، 1998
 - سعيدي (عبد الحليم)، جربة، دار النشر الجامعي، 1990
 - محمد بالشّيح بنجاح، مكتبة الضامري، عمان، ط 1، 1992
 - بن وردو (الهادي) وأحمد توفيق وحفد حسن، قانون المياه والتهيئة المائية بجنوب إفريقية في العصر الوسيط، مركز النشر الجامعي، 1990
 - جمعية عباية جربة، أعلام من جزيرة جربة، مجموعة محاضرات، الشركة الدولية للنشر، ط 1، 1995
 - حسن (محمد)، المدينة والبادية في العهد الحفصيّ، مركز النشر الجامعي، 1992
 - حسن (محمد)، الفنايل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الزّياح الأربعة للنشر 7
 - (صفي)، جربة، جردة، جربة، دار النشر الجامعي، 1990
 - عمر مرقون
 - (بن) بكر زكرياء، كتاب الشجرة وأخبار الأئمة، تحقيق عبد الرحمان أبو، الدار التونسية للنشر

2-المراجع بالطبعة القديمة

- Abdesamed Zaied Le monde des ksours du sud-est tunisien. Beit el haïma 1992 1ère édition

— (جوش و زلالہ) —

André LARAT le monde des noirs - éditions du centre national de la recherche scientifique 1975 116 pages

- ١- حسن محمد الخنيصي ج ١ ص ١٢٠ وقد اقتصر على ذكر ثلاثة قصور هي قصر الجوامع وقصر الخرافة وقصر بني حارس.
- ٢- عبد السلام زاروق، *Le monde des knout de soufisme*, Beirut, 1997, p. 146.
- ٣- من صفحة ٩٠ إلى صفحة ٩٩ وقد ذكر (٨) قصور هي قصر الخالوف وقصر أولاد مهدي وقصر الحرية وحرة مرمرن وخربة رمور وخربة بلد البير وحرة الحشورية وقصر بولصوار. ولم يصف غير القصور الثلاثة الأولى مكتتباً بالإشارة إلى اعتماده على غيره.
- (٤) حسن محمد المدينة والبيانية في العهد الخنيصي ج ١ ص 277-284.
- (٥) حسن محمد-القبائل والأديان المغربية في العصر الوسيط، دار الريح الأربعة للنشر ص 164.
- (٦) حسن فتحي مع وعده لمرحلة ذكر ١٥١١، كنهه دلاب وحوم لإحياءه في المخرج ج ١ ص ٢١3-٢١٤ مرقون شهدت سنة ١548 غفوا كبيرا في نسق حركة القوافل بين غدامس وتونس بعد انتقال طريق هذه التجارة من غدامس إلى طرابلس=
- (٧) أعلام من جزيرة حربة-مجموعة محاضرات من تنظيم جمعية صيانة جربة 28 و29 جانفي 1994 ص 24-2٥.
- ٨- حسن فتحي مع وعده لمرحلة ذكر 191١، كنهه دلاب وحوم لإحياءه-نسب المروج ج ١ ص ٨3-٨٤، عمل مرقون.

القصور الجبلية في الفترة الاستعمارية ودورها في الحركة الوطنية

عنار السرفي (*)

أنواع القصور :

تصنف القصور إما حسب موقعها أو حسب
وظيفتها :

من الناحية الوظيفية فهناك قصور جبلية شيدت على
تلال أو جبال أو في غابات أو في
سهول أو في مناطق مسطحة أو في
مناطق جبلية خفيفة.

ومن الناحية الوظيفية فهناك صنف من القصور
جمع بين ثلاث وظائف وهي السكن والحزن والحماية
من غارات الأعداء وحملات النهب. وهذا النوع
من القصور والتي تسمى «البلد»، يمكن أن تصنف
صنفها بلد ششني والدويرات وقرماسة وبلد الزواي
ويولسوار، وبلد غمراسن الفجيج والمقرن. وهي قصور
قديمة في الزمن إذ وقع تشييدها من طرف الأمازيغ حين
تقهقروا نحو الجبال للاحتباء من الغزو الروماني ثم
البيزنطي الذي استولى على سهول الجفارة، وأجبر
البربر، السكان الأصليين للبلاد، على التقهقر نحو
المرتفعات الجبلية الأكثر أماناً.

لدراسة القصور الجبلية بالجنوب الشرقي
لتونس، من البديهي أن نستعمل هذا الموضوع
بتحديد المجال الجغرافي الذي تنتشر فيه هذه
القصور الجبلية ذات الطابع المميز والتي بنيت
عددها المائة قصر.

تتمتع هذه القصور بخصائص جغرافية
من جهة الأغراض فضلاً إلى حدودها الممتدة
إلى الجنوب، ويحاصر هذه المنطقة شريط
البحر، أما عرب فتشرف منطقة بني مسعر حسب
القصور على هضاب الظاهر ومنطقة العرق الصحراوي.
وهي منطقة جبال وأوعار وهضاب ووهاد وأحراش
وشعاب وأودية موسمية، كوادي الخلتوف ووادي ابن
خشب ووادي الفرش. لذلك فهي منطقة صعبة المسالك
وخاصة في الفترة الأولى لدخول المستعمر. أما مناخها
فهو شبه جاف، معدل نزول الأمطار أقل من 150
مم / في السنة، وتتميز الأمطار بعدم انتظامها الفصلي
والسنوي، إذ تسجل التهاطلات أحياناً كميات تتجاوز
المعدل السنوي في أيام قليلة، مما يجعلها منطقة المنحرف،
نظراً لطبيعة تضاريسها الجبلية.

(*) باحث، تونس

هذه القراءة لأسباب تقهقر الأمازيغ نحو الجبل تعارضها قراءة «أندري لويس» الذي يرى أنّ هذا التقهقر قد تزامن مع الزحف الهلالي على إفريقية. هذه القراءة لثلاثة بدعها تارة أحد قبلة ذات أصول صحاحية وإحالة قدس، بين فيسوس غريسي، وحدوث مع رحل هيلاني هم (قسمة سي. ب. وفيه حيرة)

كما نجد قراءة ثالثة ترى أنّ اجتماع البربر بالمرتفعات يعزى لأسباب اقتصادية حتمتها العوامل المناخية. إذ أنّ أراضي الشّعاب الجبلية رغم ضيق مساحتها هي أكثر خصوبة ووفرة من أراضي سهل خضرة، التي تغلب عليها طبقات كلسية تقلص من قدرتها الانتاجية، في حين تمكن الجسور والخواجز الترابية (الطواهي) من استغلال كميات المياه المخزّنة لريّ التّربّاتين وكروم التين وزراعة الحبوب.

ويمكن اعتبار عاملي تأمين الحماية وتأمين الغذاء قد اجتماعاً لتهجير الاختيار الأمازيغي لسكنى الجبل والجمع بين نمط العيش المستقر والانتجاع.

أما قصور التفوح والسهول فهي قديمة جداً وبقيتها على الخزن والنتاء المعاد، والبناء من حجارة وطيفة السّكن في فترات وحيرة. بقصر الحلتوف من منطقة بني خدّاش.

وحسب التصنيف التاريخي لهذه القصور يمكن أن تصنّف إلى ثلاث حقبة تاريخية: القصور البربرية القديمة: «البلد» والقلعة، وقصور الفترة الإسلامية، والقصور الحديثة.

عمارة القصور :

تتخذ أغلب القصور في انتشارها الأرضي شكلاً مستديراً أو مستطيلاً أو مربعاً. وتختلف القصور في مكوناتها حسب مواضعها، حيث يتكوّن القصر (البلد) من جزء محفري يحيط داخل الجبل، ويؤلف هذا الجزء الحجرات المدة للسكن، أما الجزء الخارجي فيتكوّن من حزام من البساتين تؤلف مياج البلد وبعض الغرف

لمعدة للخزن. وفي هذا النوع من القصور توجد السرايب (وهي عبارة عن منافذ تحت الأرض تتخذ لمباغنة المهاجمين، أو للانسحاب من مواجهة غير متكافئة مع الأعداء). وتتضمن هذه القصور مواجل لحزب مياه الأمطار.

هذا النمط من القصور يوجد بقرماسة وشنتي والدويرات وبني بركة من ولاية تطاوين، وبلد غمراسن والزّواي والمقرون وبولسوار مقر من منطقة بني خدّاش. ومن توابع هذا النوع من القصور القلعة، وهي عبارة عن حصن للمراقبة تتموقع على قمة الجبل يندجأ إليها الأهالي في حالات الحرب.

أما قصور التفوح المتواجدة أحياناً في مواقع منبسطة من الجبل، أو على ضفاف الأودية المانقة له أو على بعض البرى المتصلة به، فهي قصور العروش شيد أغلبها في العهدين الحسيني أو الحفصي، وإن أقيم بعضها على بقايا من معالم قديمة، مثل قصر الجوامع من منطقة بني خدّاش والذي ينقسم إلى جزئين، جزء داخلي ضارب في التدهور إلى حطب سابقة للفتوحات الإسلامية، والجزء الخارجي المسمى حطب دوس حطب.

ويتكوّن هذا النمط من القصور من مجموعة من الغرف المصنوعة من الطين والحجارة، والتي تتكوّن من ثلاثة إلى ستة طوابق. وتتمسح الغرفة الواحدة مساحة تقريبية بعشرة أمتار مربعة. وقد تتجاوز بعض الغرف هذه المساحة إذ تتجاوز طولها الأربعة أمتار. وهي غرف مقوّسة الشّقوق. وللوصول إلى الغرف العلوية يتسقى المالك مدارج بسيطة أو أعمدة خشبية مثبتة بأحجار أو حبال أو حلقاً من الحديد.

وتتمتلك كلّ عائلة من العرش غرفة، وقد يمتدّد الميسورون أكثر من غرفة واحدة في القصر. وأمثال هذه القصور منتشرة في مناطق بني خدّاش وغمراسن وتطاوين مثل قصر أولاد دّباب وقصر أولاد سلطان وقصر الحدادة وقصر أم الثّمر وقصور مدين وقصور بني خدّاش وزقور والحلتوف وقصر الحراشقة والمحاصة

جهة الشمال الغربي (منطقة إفريقية) للحصاد مقابل جزء من المحصول (وهو ما يعرف بظاهرة «الهطاية»).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ بعض القبائل قد اضطرت
للجلاء عن قصورها، كجلاء قبيلة (مطوس) عن
موطنها، حيث تحصوا أسباب هجرتهم في وثيقة كتبت
على جدران قصرهم: ربح التوالي وعلتوق المخالي
وهات يا جبالى.

العنصر الأول (ربيع التوالي) أي قساوة الطقس جراء رياح التسموم اللافتحة والمحرقه.

العنصر الثاني (علوق المخالي) أي تعليف خيل المخزن.
العنصر الثالث (هات يا جبالي) إشارة إلى الضرائب
حديثة التي تفرض على سكان الجبل.

كما تمّ جلاء العائلة البرّادية عن قصور دمر، وانتقلت عائلات منها إلى جربة كعائلة بن غربال وبـ
 رستاق. ويبدو أنّ نفس الأسباب التي جعلت أهالي
 يتركون موطنهم قد أجبرت بعض أهل دمر على

أرضك صابها أجذب أرحل لأرض المتعة والطرب،
يقول الشاعر المبروك حمدي:

بحول الاستعمار منطقة القصور :

لم يجد الاستعمار مقاومة شديدة في الجنوب الشرقي، غير أن الأمن لم يستتب، مما جعل المستعمر يعتبر هذه الربوع منطقة مستعصية، لذلك أعضدها للقانون العسكري. ورغم الطوق العسكري وحرمان أهالي وروعة من الحكم المدني فإن المستعمر لم يتمكن من السيطرة على منطقة الجنوب الشرقي إلا سنة 1889 أي بعد ثماني سنوات من انتصاب الحماية.

ومنذ بدء المواجهات مع المستعمر شعر سكان قصر
مدنين وأم التمر والكريكية (قصور السهول) بالخوف
عن المخزون من المؤونة فنقلت كميات هامة من القمح
والشعير والزيت إلى قصر بني خداح اعتقاداً أنه أكثر
أماناً من أن تطوله أيادي المستعمر. غير أن هذا الأخير
خطط بدهاء لدخول قصر بني خداح. فاعتزم زمن

تطاوون ثم الدوريات قلعة ششني وانتهى به الترحال في قصر بني بركة. والملاحظ أن هذا الجغرافي قد اتخذ لتقله بغلة وكان محاطا بحراسة مخازني. ولم يمر بقصر بني خدش ربما لظروف أمنية.

- دراسات مكتب الشؤون الأهلية بمدنين: هي جملة التقارير الأمنية التي كانت تصدر عن مكتب الشؤون الأهلية والكولونال «تاردي».

- دراسة الكابتن مكار والتي صدرت سنة 1937 وقد تناول فيها هذا الضابط بالدراسة قبيلة الحوايا وقدم معطيات تفصيلية حول توزيع السكان بين القصور ومناطق انتجاع مختلف العروش. وأرفق الدراسة بخرائط تفصيلية وصور تمثل اليوم مرجعا نادرا حول منطقة بني خدش في بداية القرن العشرين

انتجاع الحوايا بالظاهر في فصل الربيع للرعي والحصاد، لذلك لم تجد القوات العسكرية المستعمرة عند دخولها قصر بني خدش أية مقاومة تذكر وعائت فيه فسادا وأضرمت فيه النيران فاحترق بما فيه من متاع وموثة.

كما قام المستعمر بدراسات ميدانية لاكتشاف القصور والتعرف على مجتمعاتها بغية التمكن من السيطرة عليها. ومن هذه الدراسات نذكر:

- دراسة إمين مكار والتي نشرت سنة 1906. لقد قام هذا الجغرافي سنة 1903 بتكليف من المقيم العام الفرنسي بتونس «بيشون» برحلة لاكتشاف قصور الجنوب. فقام برحلة انتقل فيها من قابس إلى مطماطة ومنها إلى توجان. ثم واصل رحلته نحو مارت ومنها قصد قصر أم التمر فقصر مدنين. ثم انتقل إلى غمراسن ومنها نحو قصر

جدول توزيع السكان حسب مكار لخلافة الخزور سنة 1936

عدد سكان	المشيخة	الجملة
2 41	اللمالة	
	الجدادة	
3 069	أولاد بوعيد	
	المحاضرة	
2 066	الجياه	
	قصر الجديد	
	قصر كركرية	
	قصر أولاد يوسف	
1 11	حومع	
	قصر حومع	
1 617	حومع	
	قصر حومع	
	قصر الحلوف	
	قصر بني خدش	
906	المكارزة	
	قصر بني خدش	
2 544	أولاد مهدي	
	قصر أولاد مهدي	
	قصر البيولي	
13 769	الجملة	

المصدر: مقال كاتان مكار 1937.

في ثورة المرازيق (1943 - 1945) وهو أحد شهداء إعدامات السجومي سنة 1951. وقد قال فيه الشاعر
ضو الأبيض مرثية جاء في مطلعها:

وينه زعيم الغلابة الذي كان عالي ومسمى
عبدالله ومعه رفاقة أولاد يداروا عالمة.

وقد استعملت السلطات الاستعمارية البلق الأرضي
لقصر بني خدّاش سجنا لكل من شق عصا الطاعة في
وجهها، ومن بين سجنائه المجاهد الطاهر المهدي تهمة
ملك السلاح والتدريب على استعماله.

كما استعمل قصر الخلفوف كمحشد لجميع عائلات
من اللعالة لممارسة ضغوط نفسية على أقاربهم من
الجزائر

واستعملت القصور في مناسبات عديدة لحشد
الأهلي ليلحث عن المجاهدين، من ذلك: عملية حشد
خلالها من قصر بني خدّاش وقصر المحاصة لاعتراض
المرازيق المنتحدين إلى القطر الليبي بعد معارك
الجزيرة. كانت غلبة حشد الضلّاء من
الجزيرة. حرم وحبوب نحت
عن المجاهد محمد الله الغول الفار من قبضة القوات
الإستعمارية بعين العبة، حيث وقع عليه القبض من
طرف الإستعمار الإيطالي بمنطقة الصيعان بليبيا. ثم وقع
تسليمه للقوات الاستعمارية الفرنسية التي كانت تروم
إعدامه بموطة دوز.

ومن ذلك أيضا عملية حشد قامت بها القوات الفرنسية
في صافنة 1953 قصد تمهيط المنطقة بحثا عن المجاهد
مصباح الجربوع الذي أصيب بجراح بليغة بمركبة ميتر
حيث جند للفرص أهالي قصور بني خدّاش وأولاد
مهدي والخراشفة في صبيحة يوم 15 من أوت 1953.

كما تمت عملية استنفاة انطلاقا من قصر بني خدّاش
ومظماطة في ربيع 1957 لاعتراض مجموعة الطلاب
العربي السوفي ومن معه من ثورة الحركة اليوسفية.

ويتضح أن المستعمر أولى عناية فائقة لدراسة هذه
القبائل والعروش في توزيعها الجغرافي وامتاعها إلى
القصور حتى يتمكن من السيطرة عليها.

مجتمعات القصور والسلطة الاستعمارية:

إن المضايقات الإستعمارية في كل من القطر
التونسي والليبي قد حتم هجرات وهجرات مضادة بين
سكان القطرين. فإثر تعيين القايد «فطوش» على منطقة
ورغمة والذي عرف ببطشه وظلمه واضطهاده لسكان
المنطقة، قُررت عائلة المكي الحضاري أن تهاجر قصر
الحماضة لتسوطن بقصر الحاج بليبيا مدة خمس وثلاثين
سنة. وتركت هذه العائلة آثارا شاهدة عليها بالمكان إلى
اليوم منها شعبة الخوايا بقصر الحاج.

ومن جهة أخرى هاجرت عائلات ليبية إلى جبل
دعر إثر الاحتلال الإيطالي لليبيا من ذلك هجرة عائلة
عيسى الثالثي من قصر نالوت إلى قصر بني عيسى
وكان عيسى الثالثي قُررتا بقصر بني خدّاش، عرف
بـ «عبد الله» من
وكان المجاهد محمد الدغ
الخلفوف وزور وبني خدّاش وأولاد مهدي وأهلي -
فيجد الدعم والمساندة إثر اختفائه بعد الغارات التي
يشنها على المستعمر وأعوانه.

كما كان المجاهد بلقاسم بن ساسي يلجأ إلى
قصر الخلفوف أين كوّن صداقات مع مجموعة من الرعاة
والصيادين، كما ربطته علاقة بالنطل عمر القرد للملومي
فصاحبه في بعض وقائمه صد المستعمر وأعوانه. ولهذا
المجاهد قصة بضالية رائعة انطلقت من قصر النخلة.
وهي موضوع رواية للأستاذ محمد العيادي العوني.

واستغل المستعمر الفرنسي القصور كمنافي من ذلك
نفي عائلات من المرازيق إلى قصر الخلفوف إثر حرب
الودارنة (1914 - 1915) من بينها عائلة الغول.
وكان يومئذ الطفل عبدالله الغول يبلغ من العمر خمس
سنوات. فترعرع بين أطفال اللعالة وكان له شأن عظيم

القصور والمقاومة الوطنية :

ضمت قصور الجنوب الشرقي مجموعة من التجار الوطنيين الذين ساندوا الحزبين القديم والجديد، وذلك بالتعبئة ونقل المعلومة وترويج بطاقات الإنخراط. ورغم منع المستعمر لأي نشاط سياسي بالمنطقة العسكرية فإن بعض رجال من أهل المنطقة قد كوّنوا شعباً دستورية كانت تعمل في سرية.

وفي إطار الإعداد للمعركة المصيرية سنة 1952 تكونت بقصور الجنوب الشرقي هيئة سرية لدعم المقاومة المسلحة أسندت رئاستها للعناضل محمد بن ضو البويكري ضمت ممثلين لها في كافة قصور الجنوب الشرقي :

قصر بني خلدش : الشيخ محمد بن خليفة المحضاي
ومسعود بن بلقاسم المكارزي

قصر الخلوف : رحومة البكوش ومحمد بن

قصر أولاد بوعبيد : موسى شحم وأبناؤ

قصر المحاضة : خليفة بن خليفة

قصر زمطور : علي بن بلقاسم

قصر أولاد مهدي : مسعود بن بلقاسم
صالح المهادوي

قصر الجوامع : أحمد بن محمد الجباهي

قصر الجديد : محمد بن علي النارودي

قصر غمراسن : محمد الأمام وحسن شلفوح

قصر تطاوين : القطوف والصادق بالكامل وبوزيد
الرواري

قصر مدين : عبد الله الحامعي وعمر بن المبروك
البارودي

قصر بن قردان : ضو ومنصور ضيف الله.

وقد انخرط أغلب القصور في المقاومة الوطنية وتشكلت النواة الأولى للمقاومة فصمت مجموعة من المقاومين منهم :

الميلود بن خليفة البوعيدي (قصر الحير)

مصباح بن صالح الجربوع (قصر المحاضة)

مبروك الكمتر (قصر بني خلدش)

عبد الله الجليدي (قصر بياضة)

سعيد فرشينة (قصر أم الثمر)

ضو المديني (قصور مدين)

منصور المديني (قصور مدين)

وتوسعت هذه المجموعة فشكلت خلافا جديدة مثلت أهالي أغلب قصور الجهة. وتشكلت قيادات فرعية ضمت حوالي 70 مقاوما في منطقة الأحرار قبل تسليم السلاح سنة 1954

وكرر فعل عن حركات المقاومة والتمرد التي أبدتها قصور الجنوب الشرقي قامت السلطات الاستعمارية بحملة انتقامية وقمعية من ذلك التكنيل بقصر أولاد مدين سنة 1914 - 1915

وقد تم إلقاء القبض على مجموعة من المقاومين في هذه الحملة

بصوت الوفاء صارحتي

يا قصر نترجاك ما تقمحي (ما تخيب رجائي)

يا قصر خوذ بخاطري وأنصحي

إذا نصحتني بنصحتك أنال إ قادة

يا قصر بنحرجك سامحي

بنترشذك بما جرت به العادة

يا قصر ما تحلى

يا قصر نسالك جاويني

يا قصر نبحث للهدف قريبي

اليوم جيت عابر نطلب في شهادة

أغلب مجالات الدعم المذكورة. وقاطعة حرم المجاهد مصباح الجربوع التي عانت صحية أبنائها ترويع المستعمر وتهديداته وتجويعه ومحاصرته. وكذلك فاطمة حرم علي بن محمد المحضوي التي عملت على ترميض المجاهد مصباح الجربوع إثر إصابته بمعركة جبل ميطر.

وتعزيز بنت منصور الصّيد التي كانت تنقل التمويل من قصر بني خدّاش إلى مواقع قريبة من رجال المقاومة وميروكة حرم عمار بن محمد المحضوي والتي لعبت دورا محمّرا في نقل الأخبار لرجال المقاومة، وتأمين المراسلات بينهم.

خاتمة .

قد كان انحراط قصور الجنوب الشرقي شبه كلي في الاستمرار للمعركة التي خاضتها الحركة اليوسفية ضد الاستعمار الفرنسي في شهر مارس 1957 حيث شهد الجنوب الشرقي مع مصوغين في سبب حروب وفي قصور الجنوب الشرقي وقع الاستمرار بنفس الحماص للانخراط في معارك الجلاء عن الصحراء.

وهكذا قدّمت أغلب قصور الجنوب التونسي شهداء في معارك التحرير، وهو شرف يناله المجاهد في سبيل تحرير وطنه، وهذه الحماص لم تكن بشرية فحسب بل طالعت العمران أيضا، فهضمت قصور كثيرة منها قصر بني خدّاش وقصور مدين. واليوم يبدو ضروريا إعادة الاعتبار لهذه القصور باعتبارها شواهد على معركة التحرير والنضال الوطني من أجل الاستقلال وقد يكون من الوفاء للشهداء والمناضلين تحويل بعض القصور المتبقية، مثل قصر بني خدّاش، متحفا لتاريخ الحركة الوطنية بالجنوب الشرقي.

يا قصر من وقّاش صورك مبني
وأش عشت في معرك هتاء وسعادة (1).

وإثر أحداث سوق الأربعاء (جندوبة) التي قتل فيها السيد خميس الحجري كاتب الدولة للشؤون الخارجية، أصدرت الحكومة مرسوما يقضي بمنح تمكّكات الجيش الفرنسي (2)، فوقع استنفار لتجنيد مجاهدين يعترضون الدوريات الفرنسية بقصر بني خدّاش ومدنين وأمّ التمر، فوقعت مواجهات كان أعنفها بين فريق من الثوار كمنوا بطريق غمراسن وفريق من الجيش الفرنسي يقوده الكتبان ربي. كما وقع كمين آخر بين مجموعة من المجاهدين يتوهمهم المجاهد مصباح الجربوع وقوة عسكرية قادمة من قايس تجاه قصر بني خدّاش، وبعد مواجهة بمنطقة البحيرة واصلت هذه القوة زحفها وحاصرت قصر بني خدّاش يوم 12 جوان 1952 (3).

مساهمة المرأة في دعم المقاومة الوطنية

لقد ساهمت المرأة في هذه المنطقة بحلّل لا بأس به لدعم المقاومة الوطنية، يمكن التمييز بين ثلاث أدوار:

- رحي الدقيق والبسيطة وعرالهما كرجال المقاومة.
- إخفاء الأسلحة والذخيرة، ونقلها من مكان إلى آخر.
- علاج جرحى المقاومة وتمريضهم.
- نقل التمويل الغذائي الذي يتبرع به التجار الوطنيون من الأسواق إلى مواقع المقاومين.
- تضليل المستعمر وأعدائه أثناء عمليات التفتيش والبحث عن رجال المقاومة.
- إعداد الطعام للثوار، ورتق ملابسهم وعسلها.
- وتميّزت مجموعة من النسوة في هذا المجال من بينهن فاطمة حرم رحومة البكوش التي ساهمت في

المصادر والمراجع

- عمار السوفي 2001: بني خدّاش وجيرانها عبر الحركات النضالية (من الحركة التمردية إلى المقاومة اليومية)، تونس 240 ص.
- عمار السوفي (2006): عواصف الاستقلال، مطبعة الرشيد تونس.
- فتحى ليسيير 1998: قبائل أقصى الجنوب التونسي تحت الإدارة العسكرية الفرنسية، حج ورعنه موحـ 1981-1989، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زعم 44 ص.
- محمد العبادي العمري 2006: قصر النخلة (رواية)، دار سحر تونس.
- محمد المرزوقي 1972: صراع مع الحماية، الدار التونسية للنشر، تونس.
- محمد المروقي 1976: دعاء على الحدود، الدار العربية للكتاب، تونس.
- محمد المروقي 1988: الدّغياجي، طبعة ثالثة، مكتبة المنار تونس.
- محمد وعني المروقي 1979: ثورة المرازيق، دار بوسلامة، تونس.
- Louis André 1975: Tunisie du Sud: Ksars et villages de crêtes - CNRS Paris (Publications du Centre de Recherches et d'Etudes sur les Sociétés Méditerranéennes, Série: Etudes Tunisiennes, 370p).
- Macquart-Lamiré 1965: Chez les tribus du Sud Algérien, Bulletin de la Société de Géographie d'Alger, pp450-468.
- Macquart-Lamiré 1967: Les tribus du Sud Algérien, Bulletin de la Société de Géographie d'Alger, pp251-297.

ARCHIVE

الهولاقشن والإحالات

- (1) أنظر النص الكامل لهذه القصيدة في هذا العدد من مجلة الحياة الثقافية ص 144.
- (2) جريدة الصباح، 1 جوان 1957.
- (3) جريدة الصباح، 12 جوان 1957.

قلعة نفيق النواة الأولى للتعمير بغمراسن :

مقاربة تاريخية أثرية من خلال رحلة التجاني والذاكرة
الشعبية والمسح الأثري السطحي (Archéologie Extensive)

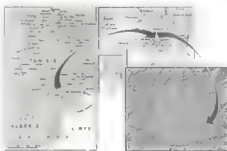
محمد الهادي عرابي (*)

1- المصادر والمراجع :

عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، 706 - 708 هـ، مؤلفها أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، قدم لها العلامة حسن حسني عبد الوهاب، نشر الدار العربية للكتاب تونس 1981 وصاحب الرحلة هو : عبد الله أبو محمد التجاني المولود بحاضرة تونس بين 670 و675 هـ الموافق لما بين 1272 و1276م في عائلة مخزنية في خدمة الدولة الحفصية، وقد كان مؤلفاً من بين كتبة ديوان الإنشاء في الإدارة الحفصية مع والده وجملته من أفراد عائلته.

1- رحلة التجاني

تونس - طرابلس 706 - 708 هـ مؤلفها أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، قدم لها العلامة حسن حسني عبد الوهاب، نشر الدار العربية للكتاب تونس 1981 وصاحب الرحلة هو : عبد الله أبو محمد التجاني المولود بحاضرة تونس بين 670 و675 هـ الموافق لما بين 1272 و1276م في عائلة مخزنية في خدمة الدولة الحفصية، وقد كان مؤلفاً من بين كتبة ديوان الإنشاء في الإدارة الحفصية مع والده وجملته من أفراد عائلته.



الموقع الجغرافي

(*) باحث، تونس

- في أي منظومة سكنية من السكن الريفي في العصور الوسطى ؟

قلعة نفيق :

1- الموقع :

إن قلعة نفيق تحتل مصطبة من الكلس منفصلة عن الكويستا الأولى لجبل دمر وتسمية قلعة نفيق لا نجدها إلا في نص التجاني في حين أن الذاكرة الشعبية لا تحتفظ بهذه التسمية كما لا نجد أثرا لها في الوثائق الخطية التي تمكننا من جمعها، ويسمى سكان غمراسن الحاليون «جبل سيدي عرفة».



من طبيعيا الموقع فإن عبارة نفيق تأتي حسب اعتقادنا من جذر «نق» الذي أعطى فعل نق ومه الإنفاق أي التزود بالنفقة أو المؤونة، ومن هنا نستنتج أن قلعة نفيق كانت مخزنا لسكان الأرياف المجاورة يحفظون فيه نفقتهم من المواد الغذائية وبقية ممتلكاتهم الثمينة.

وهكذا تصبح قلعة نفيق موزعا محصنا لحزن المحاصيل الزراعية (grenier fortifié) أو أخادير كما يسمونها في جنوب المغرب الأقصى.

إن هذه المصطبة تمتد حوالي 18500 م² وترتفع حوالي 330 م فوق مستوى البحر وحوالي 80 م عن مستوى حوض الوادي وهو موضع منزل تحيط به منحدرات صخرية (falaises)، والملفد الوحيد لهذا الموضع هو مرب صاعد من الجهة الغربية شديد

في المناطق القريبة : تحصينات عسكرية ، ضيعات فلاحية، منشآت مائية يرجع تاريخها إلى العهد الروماني.

وقد تنامت أهمية هذا الموضع خاصة خلال العصور الوسطى إثر الفتوحات العربية الإسلامية حيث أصبحت غمراسن عاصمة لكامل الجنوب الشرقي التونسي كما احتضن هذا الموضع تشكل كتفديرالية ورغممة.

وليحتمي البربر المستقرون بهذه الربوع من الفاعين العرب ومن الغزو الهلالي استوطوا القمم الجبلية وأنشؤوا وطوروا سكنا دفاعيا محصنا في كامل جبل دمر، وتحولت منطقة الجبل إلى ملجأ للسكان البربر أمام الغزاة العرب ونشأت عدة قلاع على المرتفعات وعلى حواشي الكويستا ويؤكد التجاني ذلك في رحلته بقوله: «ومسافة غمراسن تحتوي على قلاع كثيرة أشهرها قلعة نفيق بكر النون وتشديد الغاء وقلعة حميدون، وكان منزلا في فضاء متسع بين هاتين القلعتين . وقلعة نفيق أحصنها وإليها يلجأ جميع أهل البلد إذا حل بهم عدو أو وصل إليهم جيش

و هكذا فون قلعتي نفيق وحميدون شكلا النواة الأولى للمدينة العصرية.



مصطبة قلعة نفيق

- فماهي الخصوصيات الأثرية لقلعة نفيق ؟

- وفي أي صنف من السكن الريفي المحصن في الغرب الإسلامي تندرج هذه القلعة ؟

الإنحدار ومن الجوانب الأخرى منحدرات عمودية. وقد تعرضت هذه المنحدرات لعوامل التحرية المختلفة مما أدى إلى إنهاء جزء كبير من حواشي المصطبة. ويصف التجاني هذا الموضوع قائلاً: «... قلعة نفق أحصتها وإليها يلجأ جميع أهل البلد إذا حل بهم عدو أو وصل إليهم جيش وهو جبل مرتفع في السماء قد سهلت فيه طرق ضيقة لا يسلكها السالك إلا على غرر وقد تدرب أهلها على سلوكها فهم يتنازون فيها تنازي العصم، وكذلك غنمهم وإليهم يسلك البعير منها مسالك لا يستطيع الأدمى سلوكها إلا بالحيلة... ».



باب القلعة

صور القلعة

مسجد صغير : يشرف هذا المسجد مباشرة على حوض
الترادي ويحتل طرف المصطبة الجنوبي على مساحة لا تتجاوز
50 م² وهندسته المعمارية بسيطة إن لم نقل ساذجة (انظر
التخطيط والصورة) والتجاني يذكر هذا المسجد : فكتت
قد رأيت في أعلى قلعتهم موضعا سموه مسجدا وليس
يصلي فيه إلا رجل غريب من أهل زوارة سكن عندهم.
وهذا المسجد تم الحفاظ عليه وقام أهالي غمراسن بصيافته
وهذا المسجد من عتي ذلك إلى يوم الناس هذا. وهذا المسجد
من عتي زاوية أو مزارق يسمى سكان غمراسن
مسجدا عتي وقفية مشهورة في العهد
العثماني لمسه بن عتبة وعقبه محمد بن محمد بن
أبو زحيم (716 هـ/ 1316 م - 803 هـ/

ب - التخطيط والمعالج :

إن المصطفية تحمل عدة معالم :

- قصر جماعي محصن في حالة انهيار وانذار لم يتبق منه إلا أسس البناء وبعض الجدران وشكل هذا القصر متشابه مع حرف زحاح فتح باب رئيسي يفتح من الجهة احدى من جملته من الغرف تحيط بقاعة من حيزه صناديق تحت الأرض من احد الجوانب وهو مشقوب من بعض النواحي كالحف

في موك



المسجد المشرف على حوض الوادي

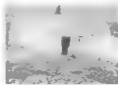
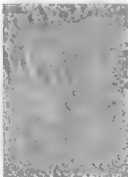
يوجد هذا المسجد قبالة الباب الرئيسي للقلعة على مسافة 31 م منه أما مقاييسه : الواجهة الشمالية 40،8م، الواجهة الجنوبية 40،6م، الجانبين الشرقي والغربي 9،5م لكل منهما.

إن هذا القصر المخزن يحيط به سور سمكه متر. ونعتقد وجود أربعة أبراج مقامة في الأركان الأربعة من القصر (انظر المخطط والصور). أما الغرف فمقاييسها مختلفة. إن هذا القصر بموضعه وأسواره المحصنة وجملته غرفه وساحته الوسطى بالإضافة إلى وظيفة الخزن كان يستغل



كما أن الهندسة المعمارية المتشقة والمساحة صغيرة
ومواد البناء البسيطة ووجهة المحراب تؤكد أن هذا
المسجد يذكرنا بمساجد جزيرة جربة ووادي مراب
في الجزائر حيث كان المذهب الاياضي سائدا.
وهكذا يصبح من سكار غمراس حلل للفقر 11
كانوا ينتمون إلى المذهب الخارجي الاياضي المخالف
للمذهب الدولة الحفصية والمخالف أيضا للمذهب
التجاني نفسه، ولذلك ينهم التجاني أهالي غمراس
ضدهم من جهة في حينهم من الإسلام، لا لاسه فقط
بل من يعرف للصلاة إسما ولا يقيم لها

سيفتقد هذا مسجد بني حمزة
السطح المزعج من الجبس وتكون هذه الرسوم من
الله، محمد، بسم الله، وتجسيدا لأرجل
وأيدي وعديد الرسوم الهندسية المتشعبة تعبر قراءته نظرا
للحالة السيئة التي عليها نتيجة تراكم مادة الجير.



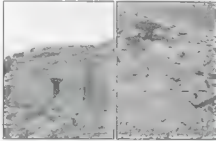
ويفتح المسجد في الاتجاه الشمالي باب صغير علوه متر واحد وعرضه 0,55 م أما الحداد المحيط بالمسجد فسمكه 0,60 م وهو مبني بالحجارة والجبس أما وسط المسجد فهو يتكون من رواقين منطوين بقباب مبنية بالحجارة والجبس وكل رواق عرضه متر ونصف على 7 م طول على 2,5 م إرتفاع وتفصل بينها 3 فتحات على شكل مثلث قاعدته 1,60 م.

وقبالة الباب نجد محراباً مفايشه 145 م على 145 م ويتجه هذا المحراب جنوباً. وهو مالا يتناسب مع اتجاه المحارب العادية للمساجد أي الاتجاه الحقيقي القبلي وهو أن يكون خصوصاً في المساجد القديمة على عتباتها منبسطاً على الأرض وليس على منبر. حتى على نحو الذي هو في هذا المسجد من باب حرمه وليس من باب المسجد لا يرى ساكني هذا الجبل إلى الحقيقة من الإسلام إلا الإسلام وهم يتحللون مذهب النكارة من الخوارج البربر ويعتقون ذلك أن سكان غفران حسب شهادة التجاني وهو خوارج أباضية نكارية أي يختلفون مذهباً مع أهل السنة المالكية وهو المذهب السائد في العهد الحفصيّ.



– المعالم الأخرى :

للسكن أو للمراقبة لأن التواجد في هذه الملاجئ وخاصة منها المفتحة على الشرق تمكن من مراقبة حوض الوادي وهو المنفذ الوحيد إلى موضع غمراسن المحصن طبيعيا من جهة سهل جفارة من حيث يحد الغزاة على البلدة.



الملاجئ الصخرية الموطنة للسكن والحراسة

– كما نسجل أن المصطبة التي تحمل القلعة وبقية المصطبة على شبة جبلية جردت من الغطاء النباتي وتربط عن سائر المزدية إليها من جهة الشمال : (انظر هذا في

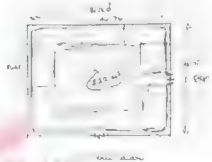


المحوة الاصطناعية المحفورة لفصل المصطبة عن بقية الجبل

– من ناحية الشمال لهذه المحوة الاصطناعية (المرشح) الفاصلة بين القلعة وبقية الجبل نسجل وجود حائط من حجارة يذكّرنا بما يعرف بالجدران الحامية Clausura برابطة أو ما يعرف في المغرب الأقصى «حد حجر». وهي حاجز إضافي لحماية القلعة (وهذا الحاجز حسيما يتراءى لنا من خلال وفرة شطابيا الصوان حوله هو حاجز قديم جدا ولعل تاريخه يرجع إلى ما قبل التاريخ أو التاريخ القديم).

– في الجهة الغربية من المسجد نسجل وجود آثار برج قد انهار ولم تبق منه إلا الأسس وهذا البرج يراقب المنفذ الوحيد للقلعة المتأتي من مسرب يرتقي من الجهة الغربية للمصطبة.

– وفي شمال القلعة نجد بناء آخر مهما يحس 222 م2 وبابه يفتح إلى الشرق وهو عبارة عن قلعة صغيرة (انظر التخطيط).



– حط المصطبة من كل جهة – من جهة الكبيرة يفتق كل المنافذ المؤدية للقبيلة. وهذا السور محصن ببرج في الحاشية الشمالية للقلعة والواجهة الشمالية لهذا البرج لازالت قائمة على مستوى 3 أمتار إرتفاع وهي تشرف من الناحية الشمالية على فجوة اصطناعية تفصل القلعة عن بقية الجبل (9).

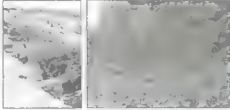


الأسوار المحيطة بالمصطبة

– على حافتي المصطبة نلاحظ وجود ملاجئ صخرية محفورة في الجبل بفعل العوامل الطبيعية على مختلف الواجهات. وقد تم منذ أزمنة غابرة توظيف هذه الملاجئ

عائلية أمام أحواشهم الحفرية في شكل غرف بالحجارة والجبس على شكل الغرف التي كانت تكون القلعة لحزن مؤوتهم في كل أمن وعلى عين المكان، وهكذا أهملت القلعة الملجأ وهو مايفسر وضعها الحالي.

و مع هذا التطور تحول السكن الحفري إلى سكن أكثر تعقيدا حيث طلت الغيران تشكل السكن بمعناه الكامل بينما الغرف المضافة أمام السكن الحفري أصبحت تشكل مكان الحزن.



حي وعدان

كما انشئت الواة الأولى للتعمير من قمة الجبل

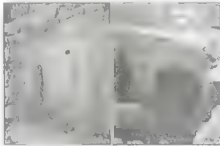
من مراحع محففة --- حتى

من مراحع محففة --- حتى

من مراحع محففة --- حتى

من مراحع محففة --- حتى

من مراحع محففة --- حتى



مسجد حمى

معصرة ويون

وتحت ضغط النمو الديمغرافي مع استقرار الأمن والسلم الناجمة عن الولاءات والتحالفات التي قامت

من حول المصطبة في مستوى منخفض يمتد سكن حجري هام يحيط من كل الجهات شرقا، جنوبا وغربا بالمصطبة. وهذا السكن الحفري يصفه التجاني في رحلته قائلا : «تؤدى تلك الطرقات إلى بيوت منحوتة في الجبل بعضها فوق بعض يسمونها الغيران. وأكثر جهاته عامرة، الجهة الشرقية وتليها في ذلك الجهة القبيلة وفي اجهة الغربية أيضا مساكن قليلة إلا أنها الآن غير مسكونة والسور كثيرا ما تاري إليها تتصاف عليها ...»



السكن الحفري «الغيران»

و يؤكد المسح الأثري السطحي ما قاله التجاني منذ سبعة قرون. إلا أننا نسجل أن هذا السكن قد شهد تطورا هاما منذ القرن XIV يتجسد فى الجوانب التالية:

- إثر التثاقف والإنصهار بين السكان البربر الأصين والقبائل الأعرابية الهلالية التي أشار التجاني إلى تحالفها مع هؤلاء السكان ومعد تجاوز مرحلة الصراع والمصادم بين العنصر العربي والبربري حصل إنصهار وإندماج وثاقف وموالة أدى إلى وضع حد للإلتجاء إلى القلعة مما جعل سكان الموضع يتخلون عنها ويهملونها خاصة لصعوبة الوصول إليها وفي هذه الظرفية الجديدة فضل سكان غمراسن ومن انضم إليهم إهمال القلعة الملجأ وبناء قصور

أوالسوار وتخترقها مذائب متسربة إليها منه وليس في تلك البقاع ما يرتاح إليه الخاطر سوى هذه الأبطح ويوضع منه أحساء مياه عذبة ترد عليها نعمهم وعلى هذه الأحساء نخل كثير يتخالون في أثمانه إذا تبايعوه بينهم» (11).



قمة حمدون

في خلال نص التجاني يتضح أن النواة الحصينة - عمارين كانت منحصرة في قلعة عميقة ومحتلة من الأخرى المذكورة والموصوفة سابقا. لموجود على سفح الجبل والذي توسع التجاني يذكر نواتا عمرانية - قبة نعين وهي بقعة حمدون - تتخذ قبة مصطفية ثابتة مقابلة للمصطفية التي تحمل قلعة نعين ويعصدهم حوض الوادي.

ويقول التجاني في هذا الصدد: «وكان مرتب في فضاء متسع بين هاتين القلعتين» (12). وهذا الفضاء هو المجال الذي تحتله الواحة التي تم وصفها سابقا.

- فيزيدنا الكشف الأثري والذاكرة الشعبية حول المقابر حيث يتضح أن هذه المقابر تحتل مساحات شاسعة بين القلعتين ويمكن أن نذكر: مقبرة شعبة البلد ومقبرة البشر ومقبرة سيدي سالم ومقبرة معي حمدون في حوض في سفح بقعة حمدون.

إن هذا البحث يبقى سطحيا جدا ويتطلب مزيدا من التحقق والتدقيق ولا يمكن تحقيق ذلك إلا تنظيم حفريات أثرية.

بين السكان الأصليين الذين أسلموا وتعربوا تدريجيا وبين الأعراب الذين إستقروا وتصارهروا مع البربر واتصهروا فيهم نشأ مجتمع جديد وتوسع مسيح لعمري على حافة الجبل وأصبح يحتل مساحات كبيرة سواء حول الجبل الحامل لقلعة نعين: في حي زغدان وحي بوغالي والبشر. أو أيضا على حافة الجبال الغربية: وخاصة في شعبة البلد وشعبة العوينة.

وفي القرون الموالية والعصر الحديث (القرون XVI, XVII, XVIII, XIX) واصلت المدينة انحداها في الاتجاه حول الوادي: وتحتل اليوم المدينة العصرية حوض الوادي.



مدينة عمارين العصرية تحتل حوض

- في عهد التجاني أي في القرن XIV كان السهل أو الحوض الفيضي للوادي وفي عمق الشعاب يشكل المجال الزراعي للأهالي. وكان سكان عمارين يمارسون في هذا المجال الحصب نسيا الزراعات السقوية لتأمين وتوليف الحاجيات الغذائية. ويقول التجاني في هذا الصدد وتحف بهذا الجبل مزارع فيها نخل كثير لا يرى أحسن من رطبه وبها آبار ليست بالكثيرة يسقون منها بالعرايز. وأكثر مزارعهم الذرة التي يسمونها القصب وسبب قلة آبارهم مايعانونه في حفرها من شدة الأرض وصلابتها حتى أن الرجل ليحك في حفر البئر العام والعامين بحسب كبر البئر وصفرها وقوة اعتمادهم في ري الأرض إنما هو على ما يتحدر من سيول تلك الجبال في وقت الأمطار، فإنها تجتمع في أبطح حصياء مناسبة وثرة يضاء كافورية تحرق بمزارعهم إحداق السور

ج - تاريخ الموقع

من المعالم في الأندلس (14) فإن هذا النوع من العمارة يجب أن تتوفر فيه الشروط الأساسية التالية .

- أن يكون في موضع مختلف عن المجال المستغل فلاحيا وبعبارة عن السكن .

- أن يتميز بتحصينات طبيعية هامة كأن يحتل مكانا مرتقعا تحيط به منحدرات صخرية وعرة

- يجب أن يكون الموضع فسيحا بحيث يتحمل إيواء كل سكان المجال المحيط بالقلعة وهو ما يدعو إلى اختيار مصطبة صخرية منخفضة

- إضافة إلى ذلك لا بد من مراعاة سهولة الوصول إلى الموضع بالنسبة للسكان وممتلكاتهم وماشيئهم .

- توفر مخزون كاف من الحبوب والماء .

- توفر مستحلب مياه

* إن موضع القلعة يوجد على مصطبة صخرية منخفضة ، وبشرف هذه المصطبة من جهة الشمال ، وفي وسطها من جهة الجنوب ، إلى عهد قريب ، بحالا فلاحيا لا يختلف في شيء عن لبساتين الأندلسية وعن الواحات الرومية .

* الحماية الطبيعية : إن تضاريس هذه المصطبة المرتفعة عن محيطها المجاور بـ 30 مترا يشكل تحصينا طبيعيا ويجعل الوصول إلى الموضع يكاد يكون مستحيلا .

* المساحة : إن مساحة المصطبة فسيحة نسبيا تغطي حوالي هكتارين مما يمكن من إنشاء عدة معالم وبتترك فضاءات مفتوحة هامة .

* الوصول إلى الموضع : إن المنحدرات الصخرية المحيطة بالمصطبة تكاد تكون عمودية ومع ذلك استطاع الأهالي إنشاء مسلك على الحائط الغربي يؤدي إلى القلعة وفي هذا الصدد يقول التجاني : « ... وهو جبل مرتفع في السماء قد سهلت فيه طرق ضيقة لا يسلكها السالك إلا على غرر وقد تدرب أهلها على سلوكها فهم يتنازولون

يذكر التحاني الموقع وإقامته فيه فيقول : « فكانت مدة الإقامة بها أربعة أشهر وثلاثة عشر يوما التي هي بحساب كمال الشهر وتقصه مائة وواحد وثلاثون يوما » . ويضيف التجاني : « ثم ارتحلنا صباح يوم الثلاثاء السادس من ذي القعدة (706 هجري) فلم نزل نسلك بين هضاب متسعة وشعاب متبعة إلى أن وصلنا إلى موضع إقامتنا منزل غمراسن . ويضيف في سياق آخر « وارتحلنا منه ظهر يوم الأحد الثامن عشر من شهر ربيع الأول (سنة 707 للهجرة) » .

و يتضح أن قلعة بقيق وهي النواة الأولى لمدينة غمراسن وقد شيدت قبل القرن الثامن للهجرة .

- نجد أيضا معلومات أخرى في نص التجاني تمكنا من تاريخ أقدم لإنشاء هذه القلعة . فهو يؤكد « ... وفي الجهة الغربية أيضا مساكن قليلة إلا أنها الآن غير مسكونة » .

(13) ، مما يعني أن القلعة ومحيطها أقدم بكثير من بؤرة التجاني بغمراسن أي بداية القرن الثامن الهجري

وللتدقيق تاريخ القلعة وتعمير الموقع ، ولأسباب وحفريات شاملة للموضع ، وكذلك شطايا لصلا ودلالة

للمعمار وطرق البناء وموادها ومقارنتها بما يوجد في جيب نفوسة بليبيا ومواطن أخرى في جنوب المغرب الأقصى والجزائر ، وكذلك شرق الأندلس تمكنا من التوصل إلى أن تعمير الموقع قد تم منذ عصور غابرة وتؤكد كذلك استمرار هذا التعمير عبر العصور المولوية . وهذه الفرصية يمكن إثباتها اعتبارا إلى أنه غير بعيد عن قلعة بقيق اكتشفت محطات ما قبل تاريخية توجد فيها رسوم جدارية يرجع تاريخها إلى العصر النيوليتيكي .

III - الإشكاليات التي يطرحها هذا المعلم:

هل إن هذا المعلم هو عبارة عن ملجأ/ مخزن (grenier refuge) ؟

حسب الأثري أندريه بازانو الذي درس هذا النوع

وبالإضافة إلى ذلك نسلح استغلال الملاجئ الصحرية التي حفرتها عوامل التعرية على جوانب القلعة تم استغلالها كمراكز مراقبة وحراسة تم غلقها بناء يؤكد استعمالها.

ومن الناحية الشمالية وراء الفجوة الفاصلة بين المصطبة وبقية الجبل نسلج وجود جدار من الحجارة يشبه الكلاوزورا الرومانية أو «حد حجر» في المغرب الأقصى. ويشكل معلما دفاعيا متقدما.

و هكذا يتضح أن قلعة نفريق كانت محصنة بشكل كامل من الطبيعة بالارتفاع ولكن أيضا نتيجة المجهود الكبير للأهالي الذين لم يتركوا أي طريقة لحماية قلعتهم.

إن غياب مواصل الماء داخل أسوار القلعة يشير إلى أن تزويد القلعة بالمياه يتم انطلاقا من الآبار السطحية الموجودة في حوض الوادي والتي يذكرها التجاني: «... و بها ... ليست بالكثيرة يستقون منها بالفراغيز (...) وسبب قلة أنارهم ما يدعونه في حفرها من شدة الأرض وصلابتها حتى جل يمسك في حفو البئر العام والعامين» إشارة إلى أن الكبر لتوصل إلى الماء (أكثر من 50 مترا).

الحصانة

إن قبة عبيد كما يصفها التجاني وحسب المعلومات التي يوفرها لك المسح الأثري السطحي انطلاقا من الذاكرة الشعبية يمكن أن تتلوح ضمن منظومة التعمير والتهيئة والسكن التي ازدهرت خلال القرون الوسطى في هذه المنطقة الجبلية من جنوب إفريقية : جبل دمر .

إن هذه المنظومة المعقدة والتي تتكون من عناصر مختلفة: القلعة المدجأة السكن الحفري والمستعلات الفلاحية المروية في حوض الوادي هي منظومة متكاملة تأقلمت كليا مع طبيعة هذا المجال الوعر (طوبوغرافيا، مناخيا وأمنيا ...).

يمكن أن نفترض أن قلعة نفريق هي المرجع العمراني لما نشأ بعدها من قلاع ملاجئ في كامل القرب الإسلامي انطلاقا من إفريقية إلى المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى إلى شرق الأندلس .

فيها تناري العصم وكذلك غنهم وإبلهم يسلك البعر منها مسالك لا يستطيع الأدمي سلوكها إلا بالخيالة.

• والمسلك الرسمي للقلعة موجود إلى اليوم وإن أصبح أكثر صعوبة نظرا لإهماله وقلة استعماله. وللوصول إلى القلعة يتطلب ذلك حوالي ربع ساعة.

التحصينات الاصطناعية :

إن الجدار الخلفي للغرف المكونة للقلعة الملجأ يشكل سورا سمكه متر واحد وهو مختلف عن بقية جدران الغرف المقطرة بـ 40 سم كما نلاحظ في الأركان الأربعة لنقلعة 4 أبراج.

على حافة المصطبة نسلج وجود سور ثان بني بالحجارة الكبيرة وهذا السور الخارجي يغلق كل المنافذ المؤدية لنقلعة.



عن المنفذ إلى المصطبة

في الجانب الشمالي نجد برجاً عاليا يشرف مباشرة على فجوة اصطناعية حفرها السكان لغزل المصطبة عن بقية الجبل، وجدار هذا البرج من الناحية الشمالية لا يزال قائما على ارتفاع يبلغ 3 أمتار.



البرج

(1) رحلة التجاني، تقديم حسن حسني، عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، طرابلس تونس، 1990، ص 204-184

(2) M. de BAZZANO 1988 L'architecture en Espagne et le monde de la culture en Espagne, Barcelone

(3) أبو زكريا اللحياني شيخ الموحدين والأمير الحفصي الذي رافقه التجاني في هذه الرحلة
(4) M. de BAZZANO Musées d'Al-Andalus Habitat médieval et structures d'occupation dans l'Espagne orientale, Madrid, 1992, Casa De Velazquez

(5) رحلة التجاني، ص 185

(6) M. de BAZZANO 2009 L'architecture des Almohades de Gubbio, in VIIIth International Symposium 2009, Capo di Ponte 28 ottobre-2 novembre

(7) رحلة التجاني، ص 186

(8) M. de BAZZANO 1996 Les Almohades, Monuments et Espaces, VIIIth Almohades International Symposium, Publications de la Faculté des Lettres de la Manouba

(9) M. de BAZZANO Musées d'Al-Andalus Habitat médieval et structures d'occupation dans l'Espagne orientale, Madrid, 1992, Casa De Velazquez

(10) M. de BAZZANO L'architecture des Almohades, in VIIIth Almohades International Symposium, Publications de la Faculté des Lettres de la Manouba

(11) رحلة التجاني، ص 186

(12) رحلة التجاني، ص 187

(13) رحلة التجاني، ص 188

(14) M. de BAZZANO L'architecture des Almohades, in VIIIth Almohades International Symposium, Publications de la Faculté des Lettres de la Manouba

(15) M. de BAZZANO L'architecture des Almohades, in VIIIth Almohades International Symposium, Publications de la Faculté des Lettres de la Manouba

(16) M. de BAZZANO L'architecture des Almohades, in VIIIth Almohades International Symposium, Publications de la Faculté des Lettres de la Manouba

(17) M. de BAZZANO L'architecture des Almohades, in VIIIth Almohades International Symposium, Publications de la Faculté des Lettres de la Manouba

(18) M. de BAZZANO L'architecture des Almohades, in VIIIth Almohades International Symposium, Publications de la Faculté des Lettres de la Manouba

(19) M. de BAZZANO L'architecture des Almohades, in VIIIth Almohades International Symposium, Publications de la Faculté des Lettres de la Manouba

(20) M. de BAZZANO L'architecture des Almohades, in VIIIth Almohades International Symposium, Publications de la Faculté des Lettres de la Manouba

(21) M. de BAZZANO L'architecture des Almohades, in VIIIth Almohades International Symposium, Publications de la Faculté des Lettres de la Manouba

(22) M. de BAZZANO L'architecture des Almohades, in VIIIth Almohades International Symposium, Publications de la Faculté des Lettres de la Manouba

(23) M. de BAZZANO L'architecture des Almohades, in VIIIth Almohades International Symposium, Publications de la Faculté des Lettres de la Manouba

(24) M. de BAZZANO L'architecture des Almohades, in VIIIth Almohades International Symposium, Publications de la Faculté des Lettres de la Manouba

(25) M. de BAZZANO L'architecture des Almohades, in VIIIth Almohades International Symposium, Publications de la Faculté des Lettres de la Manouba

(26) M. de BAZZANO L'architecture des Almohades, in VIIIth Almohades International Symposium, Publications de la Faculté des Lettres de la Manouba

(27) M. de BAZZANO L'architecture des Almohades, in VIIIth Almohades International Symposium, Publications de la Faculté des Lettres de la Manouba

(28) M. de BAZZANO L'architecture des Almohades, in VIIIth Almohades International Symposium, Publications de la Faculté des Lettres de la Manouba

(29) M. de BAZZANO L'architecture des Almohades, in VIIIth Almohades International Symposium, Publications de la Faculté des Lettres de la Manouba

(30) M. de BAZZANO L'architecture des Almohades, in VIIIth Almohades International Symposium, Publications de la Faculté des Lettres de la Manouba

المقاربة التاريخية لقصور الجنوب الشرقي : مثال قصر زناتة

علي الثاني (*)

تطاون يشرف على قرية المزطورية نسبة إلى بني مستيرن البربرية (1).

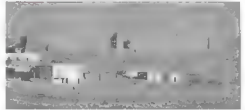
- الموضع. يتموضع قصر زناتة على ربوة مسطحة
جبلية - يشرف على واد يراق أحد
روافده.

- التسمية. بلوغ المعلم يتم بناء قصر عمر
سقايا في سنة 1011 - أربعة بنى فضاء من رتمه وقصر
أولاد «بلطان» في مستوى وسط قرية المزطورية يقع
في «صعود سحار في أحد قصر
الدغاغرة ثم الاتجاه شمالا حيث نجد القصر.

- الطريقة التاريخية: بني القصر في القرن الخامس
الهجري (2) وهي طريقة مميزة في تاريخ إفريقية حيث
غيرت - بناء قرب نواح هجري مدثر في «دي دوما»
هزمت أركان البلاد وبداية القرن الخامس الهجري الذي
افتتح بولاية طويلة للمعز بن باديس 406-454 هـ فكان
الازدهار الاقتصادي من ناحية والتطاحن القبلي (بين
زناتة وصنهاجة) والمذهبي (بين الشيعة والسنة) من ناحية
ثانية إضافة إلى مجيء القبائل العربية: بنو هلال وبنو

- اسم المعلم: قصر زناتة ويطلق عليه محليا القصر
«القديم».

- مدلول التسمية: زناتة اسم القبيلة البربرية المعروفة
بانتقالها في المغرب الإسلامي من المغرب الأقصى إلى
المغرب الأوسط ثم إلى إفريقية في إطار «إراعات
القبيلة والمذهبية، أما التسمية المحدية إلى
وجوده بمساحة تحوي ثلاثة قصور - حوض «دغاغرة»
الحديثة وهي قصر الدغاغرة جنوب زناتة - في
شماله وشماله أيضا قصر أولاد عون!



واجهة قصر زناتة

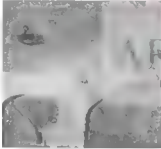
- الموقع: يقع قصر زناتة على خطي 32° و 50'، 90
شمالا و 10° و 28'، 08 شرقا على بعد 10 كلم جنوب

(*) باحث، تونس

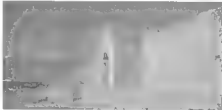
• مكونات المعلم :

- الوحدات الأساسية : يتميز قصر زناتة بمدخل بارز يشبه مداخل الرباطات (6) ويتضح إنشائها إضافة الجزء البارز عن المدخل الأصلي المتناسق مع الجدار الخارجي الشرقي مما أحدث سقيفة بين القوس الأصلي والقوس المضاف وهو ما يسمح بتجهيز المدخل ببابين خارجي وآخر داخلي، كما أن نقيشة التاريخ يمكن تأويلها على هذا النحو إذ تقول في سطرها الأول عملت هذه السقيفة ما يعني إمكانية رفع تاريخ القصر إلى ما قبل 486 هـ في طبقة الأرضي.

الإضافات : الجزء الأصلي للقصر هو الطابق الأرضي بدون الجزء البارز للمدخل إذ بني الجدار الخارجي قبل بناء الغرف بشكل جماعي (7) كما اتضح لنا من خلال عدم توافق التقسيمات للجدار الخارجي مع فضاء بعض الغرف ثم وقع اقتسام الفضاء المنحصر داخل هذا السور الخارجي



المدخل البارز مع السقيفة الخارجية



المدخل البارز بالجدار الشرقي والبناء المتراص لدعم الجدار في جزئه الجنوبي

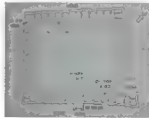
سليم في 443هـ 1051م لتأديب الزيريين الصنهاجيين الذين تنكروا للفاطميين فكانت مدن الطوائف مكبريات المدد بافريقية (3).

كما شهد جنوب إفريقية اندلاع الصراع أيضا بين أناصية زناتة وصنهاجة فأصبحت المجموعات الزناتية محاصرة من عدة جهات، الزيريون في الشمال والهلاليون في الشرق وصنهاجة اللثام في الغرب مما اضطر بعض الزناتيين إلى الاتجاه للمناطق الجبلية وبعض الواحات، وفي إطار عمليات مد وحرر نشأت بالمغرب الأوسط والأقصى وإبريقه في تعدد عمدة الارتداد لبعض القبائل من المغرب الأقصى باتجاه المغرب الأوسط وإفريقية مثل قبيلة رياح وزناتة جعل فرعا من زناتة تحده نحو حمال جنوب شرق إفريقية منطقة التماس من ناحية بشرقية كملاذ ونسب هذا القصر على ما يبدو في منتصف القرن الخامس الهجري عندما أصبح جبيل دمر عرضة لغارات البدو (4).

- تاريخ المعلم : لم يرد ذكر قصر بل عثرنا على ذكر بئر زناتة لدى المشتق (5) عند الحديث عن الطريق من الناحية الجبلية وتؤرخ نقشة كريمة لهذا الخامس الهجري (486 هـ) وهو ما يعني بناء القصر هذا التاريخ كما سنرى عند تناول مدخل القصر

- الوصف :

• تخطيط المعلم : عيّل شكل تخطيط قصر زناتة إلى الترتيب بمدخل يتجه إلى الجنوب الشرقي (القبلة) تتوسطه ساحة مسيجة.



تخطيط المعلم

بعد الانقسام شرع في بناء غرف الطابق الأرضي قبل 486هـ ثم أضيف إليه الطابق الأول والجزء البارز من المدخل والسقفة

النقائش والزخارف: تتخذ النقائش والأقواس موضعا مناسباً لها وقد جاءت النقائش التاريخية إلى جانب ذكر المبدأ وصاحب الدار والمزخر... إضافة إلى الزخارف الخطية والنباتية والهندسية والجمجمة والخفصة (8) ... وقد وردت كل هذه الزخارف والنقائش بشكل بارز وفق الطريقة المعروفة وقتذاك، مع العلم أنّ تكرر النجمة السداسية في العديد المواضيع والمواقع لا يعني البتة أنّ للمعمار على ملك يهودي كما يذهب إلى ذلك العديد من الملاحظين لهذه الزخارف إذ ندحض هذا الترجه بصفة أثرية حيث يقترن تواجد هذه النجمة السداسية إلى جانب الآيات القرآنية واسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم في هذه المساحة كما يمكن سطر إليها بمنظار ما بعد نشأة الكيان الصهيوني أو أنّ الزخارف تمت على يدي يهودي كما هو الشأن للحلي نرجس بالجهة، فكل هذا الحلي يحوي الجمجمة السداسية كما لا يصحّ إن قلنا إنّ كل السكان الذين لا يكرهون النجمة الثمينة والسداسية في مساحات مسهولة رسمهما هندسيا مربعا من مساحات مربعة متديلا على عكس جمجمة حمزة بن عبد المطلب في الاتجاهات أثناء رسمها والعودة بالخط إلى نقطة البداية.

- موضع النقشة: باطن العقد الخارجي الجنوبي للمدخل

- نوعية الخط: خط نسخي بارز خال من الأخطاء

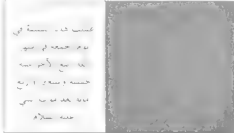
- عدد الأسطر: ستة أسطر

وانطلاقا من النقشة الثانية بالعرفه الرابعة يمين المدخل يتأكد بناء القصر خلال القرن الخامس الهجري

- موضع النقشة: باطن القوس الشمالي للعرفه عدد 4 يمين المدخل

- نوعية الخط: خط نسخي بارز خال من الأخطاء

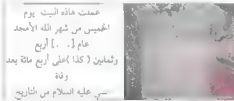
علا السطر الرابع على أربع مائة.



نقشة تاريخ السقفة (طلت النقشة بالعرفه على حالة عدم سنة 1474 حسب ما تبرزه الصورة في كتاب أنديري لويش)

- عدد الأسطر: خمسة أسطر.

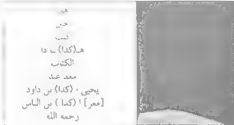
- موضع النقشة: باطن العقد الجنوبي لمدخل الخارجي.



- نوعية الخط: خط نسخي به أخطاء، السطر الرابع والسطر السابع والسطر الثامن.

- عدد الأسطر: تسعة أسطر

- موضع النقشة: باطن القوس الغربي لمدخل العرفه بالجدار الجنوبي.



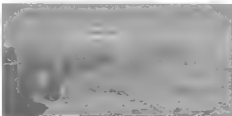
حيث المبدأ باطن العقد الجنوبي لمدخل الخارجي

مواد وطرق التشييد :

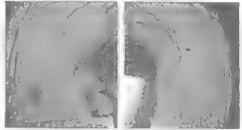
مواد البناء : (استعملت الحجارة الضخمة والمتوسطة بأسفل الجدران ثم حبي صغير حجمه مع أربع صيرة منه، مع سبعة من مادة حسن الأقران كحلاط (Mortar) وليقة (Endut)

طرق البناء : أما طريقة البناء فاعتمدت طريقة التشييد وفق ما يسمى الأوبس كوادراتوم (OPUS QUADRATUM) (9) في الحدار الخارجي للقصر مع اعتماد التتبع في كل الغرف والأفواس عند المداخل واعتماد الإسناد للجدار بالركن الجنوبي الشرقي. أثناء البناء تركت حجارة ناتئة كأكتاف للصعود إلى غرف الطابق الأول الذي لم يق من غرفه سوى بعض الأجزاء من الجدران التي تميزت بسمكها أكثر من 30 سم بأسلوب التشييد لغايات متعددة منها إتمام بناء الجدار الخارجي، إذ بهذه الطريقة يمكن أن يقوم عدد من البنائين بالعمل بعدد أقسام الحدار في نفس الوقت ومن ناحية أخرى وضع دعامات في الساحة الخارجية وهو ما لم يقع الاتجاه إليه نتيجة هذه الطريقة. وقد لاحظنا أن الجدار وهو متماسك يمكن أن يكون عرضة لحدوث انهيار فيكون للجزء لا للكل فتكون عملية البناء السهلة وأسرع وبأقل التكاليف.

لاحظ بلوغ هذه الأضلع 4 م وتم في الأركان مع العلم أن عدم التطابق بين أجزاء الجدار يتراوح بين 0،09 م و 0،10 م وذلك بغاية دفاعية باستعمال الشباب متمش مع الروابي أركان إطلاقه باتجاه الأعداء والحماية منه.



آثار ما تبقى من الطابق الأول والركان بالركن الجنوبي الغربي من الساحة



الحرة العربي من قوس المدخل الجزء الشرقي من قوس المدخل

نوعية الخط : خط نسخي بارز به أخطاء. السطر الأول هنا والسطر الثاني ابن والسطر الثالث ويقا.

عدد الأسطر : ثلاثة أسطر.

نص النقشة : هـ (كذا) هذا بيت

المعز (كذا) ابن يفسر

ويقال (كذا) وبه ذ [...]



زخارف حطية وهندسية مع تكرار كلمة الحق



زخارف هندسية بقو غرفة بالحدار الغربي

مستويات الحفر حيث من المفروض أن يتواجد الجامع لا
كما بينَ أيوب (11) بأن الغرفتين رقم 4 و5 يمكن أن
تلعبا دور الجامع وهذا مستحيل لأن المساحة والارتفاع
والشكل لا يسمح أيّ منها بأن تؤدي الغرفتان ولو حزبتا
دور الجامع (12).

- المقابر: امتدت المقبرة على المنبسط الشمالي القريب
من الجدار الشمالي للقصر.

- الطرق والمساكن: القصر على الطريق التجارية
القديمة عبر واد زندق والتي سميت بالطريق العداسي
في فرعها الشرقي.

- المنشآت المائية العامة: البئر بالناحية الجنوبية بقرت
في طبقة كلسية صلبة إضافة إلى غنى منطقة المزطورية
بالآبار السطحية التي ربما كانت مستغلة واستعملت الآن
في الزراعات السقوية.

ملحقات خاصة :

- حداث ذات استغلال مشترك : عثرنا على
مستوى أحفري في الرتبة من الناحية الشمالية وعلى
مستوى آخر في «الحوزة» شمال شرقي القصر نعتقد
أنه لم يقع استغلاله.

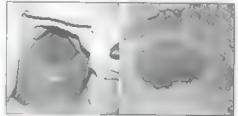
- ملحقات ذات استغلال فردي : امتدت الغيران في
مستوى أخفض من مستوى أرضية القصر (13) تحت
الطبقة الكلسية السميكة ارتبطت بالقصر عبر أنفاق تحت
أرضية تفضي إلى الغرف أو ساحة القصر.



من ساحة القصر

كما لاحظنا أثاريا من خلال حزام حجارة قليلة
السمك أن الجدار الخارجي لطايفي القصر لم يبنيا دفعة
واحدة لا كما ذهب إلى ذلك عبد الرحمان أيوب الذي
رأى أنه من الممكن أن تكون تقاسيم الجدار الخارجي هي
حدود الملكية (10).

- طرق الحفر: العمودي في المطامير و بداية الأنفاق
ثم الحفر الأفقي في الدواميس والغيران المحيطة بالقصر
من الناحية الجنوبية والجنوبية الشرقية ..



مطموور بغرفة الجدار الغربي بقف (دوموس) في مستوى

- الترميمات: نذكر من أهمها
التي أجريت بتمويل من الدولة ولكن ما يجدر بالإحاطة أن هذه
القصر رغم الأهمية التاريخية التي يفرد بها بالجهة فإن
الترميم لم يكن بالمستوى العلمي المطلوب إذ لما طالت
عملية الترميم وقع إنهاء هذه الأشغال بشكل مفاجئ إذ
أصبحت المدينة به الأشغال وليس ما يسفر عنه الترميم
فكانت التضحية بغرفتين بالجدار الغربي وإدخال الآلة
الجافرة وشاحنة لرفع كل تلك الأنقاض وهو ما أطلقنا
عليه «المكننة للترميم السريع».

- وضعية المعلم الحالية: وضعية حسنة لكنها مشوهة
علميا.

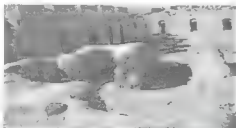
- الاستغلال الحالي: مغلق.

- ملحقات المعلم :

- ملحقات عامة.

- الجوامع: لم نثر على آثار الجامع خارج القصر في

وكما يمكن للقصر أن يلعب دوراً عسكرياً حمايماً ودفاعياً
إذ القصر محصن ولا يمكن دخوله سوى من المدخل
الذي أضيق إليه أحد السورين. حصن القصر
بمخسور بصفة عامة حكمية فهو من أحد حصونه في غرب
الفتح وتعين وحاصره من جنوب (4)



مشهد الترميم بالركن الجنوبي الغربي

إضافة إلى الدور الأمني والحمايى للاتفاق الرابطة
بين بعض الغرف والساحة من جهة والغيوان المحيطة
بالقصر بالإضافة إلى وظيفة الربط مع بقية القلاع
الأخرى شرقاً القلعة وتثبوت وبني وشين وتازغدانث
، تاز وشمالاً تونكت وقطوقة و بني بركة وبرورمت
أما الوظيفة السياسية فنظراً لاهية القصر وتشيده
بعمارة برسمه يكن أن يكون مقصداً دولياً
لقبيلة زناتة على الأقل في قفرتها الأولى عند التفتك
السياسي الذي عرفته إفريقية وتعدد الكيانات السياسية
والصراعات القبلية والمذهبية

بالركن الجنوبي الغربي تركت فتحة لتصريف مياه
الأمطار .

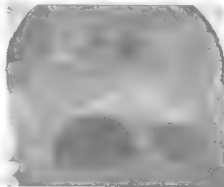
كما تمت الجسور في شكل مستغلات فلاحية أحكمت
استغلال كميات الأمطار .



- وظائف المعلم :

للقصر وظائف متعددة أهمها

تتمثل في دورها كمنطقة
محصنة لا يسمح لأحد بالدخول
دون إذن من الحاكم ، كما أنها كانت
محصنة من قبل القبائل
السكان بالمنشآت مثل الجامع ومعاصر الزيتون والسوق.



تقسيم إحدى الغرف قصد الحزن

على نظير ولكن الزمان لم يرحمه فألت أجزاء منه إلى الخراب، فلا الترميم أسعفه بالدقة العلمية بوضعه في منزلة المكافئة لأهميته التاريخية والتراثية ولا الذين تناولوا القصور بالدرس قدّروه حق قدره، بل منهم من لم يتأوله بالمرّة من أمثال عبد الصمد زايد في كتابه «عالم القصور الصحراوية». وهذا ما جعل مجمل قصورنا تشكو عجزنا وقصورنا.

لهذا القصر أهمية تاريخية لمحافظته على تأريخه نقاشيا وتاريخه معماريا في ظل صمت المصادر الأدبية عن هذا النوع من المعمار في مثل هذه الجهة، فجاء قصر زنانة يروي تاريخه بما حافظ عليه من معمار وتخطيط شبه فريد بالجهة مع تأريخ لم نثر له إلى حد الآن

المصادر والمراجع

- أيوب (عبد الرحمان)، «من قصور الجنوب التونسي: القصر القديم»، النقاش والكتابات القديمة في الوطن العربي، تونس 1988
- الإدريسي، المغرب العربي من كتاب برقة المشتق لإدريس (في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي)، حققه ونقله إلى الفرنسية محمد... ..
- الثابتي (علي)، عمارة القصور بطنس لأحسن... .. في الفترة الوسيطة، ش. د. م تحت إشراف الدكتور محمد... ..
- حسن محمد... ..
- حسن محمد... ..
- الموقع والمسالك والمخالات، الطبعة الأولى بتقاري - ليبيا 2004
- الشماحي (أبو العباس أحمد)، كتاب التبر، دراسة وتحقيق الدكتور محمد حسن، أجراء دار المدار الإسلامي، 2009
- الرواري (محمد)، القصور والفلاخ بالجنوب التونسي، دراسة... .. وتاريخية (ش. د. م)، إشراف الدكتور تاجي جلّول، كلية الآداب متوبة 2004.
- Guide J Gandini, Pistes du SUD TUNISIEN à travers l'histoire, édition 2000
- Louis (A), Tunisie du sud Ksours et villages des crêtes, Paris 1975
- Zaid (A), Le monde de Ksours du sud-est Tunisien, Tunis 1992

- (1) حس (محمد)، المدينة والبادية في العهد الحفصيّ، تونس 1999.
- (2) حس (محمد)، الجغرافيا التاريخية لأفريقية، دار الكتاب الحديثة المتحدة، جاتني 2004 ص 30.
- (3) الشماحي (أبو العباس أحمد)، السير، دراسة وتحقيق محمد حسن، المدار الإسلامي، مارس 2009 ج I ص 28-30.
- (4) نفسه، ص 40.
- (5) الإدريسي، المغرب العربي من كتاب برقة المشتاق، حققه ونقله إلى الفرنسية محمد حاج صادق، بلجيكا، ص 162.
- (6) الرّوازي (محمد)، القصور و القلاع بالجنوب الشرقي التونسي، دراسة أثرية وتاريخية (ش، د، م)، إشراف الدكتور ناجي جلول، كلية الآداب منوبة 2004 ص 25-38.
- (7) حس (محمد)، الجغرافيا التاريخية لأفريقية، دار الكتاب الحديثة المتحدة، جاتني 2004 ص 72.
- (8) André LOUIS . TUNISIE DU SUD KSARS ET VILLAGES DE CRETTES . Paris 1975 P 100.
- (9) الرّوازي (محمد)، نفسه، ص 25-38.
- (10) الشماحي (أبو العباس أحمد)، الجغرافيا التاريخية لأفريقية، دار الكتاب الحديثة المتحدة، جاتني 2004 ص 30.
- (11) أيوب (عبد الرحمان)، أم قصور الجنوب التونسي، قصور العتيقة، لفافش والكتاب القديمة في الوطن العربي، تونس 1987 ص 4.
- (12) الثاني (علي)، عمارة القصور، ش، د، م تحت إشراف الدكتور محمد حسن، دار الكتاب الحديثة المتحدة، جاتني 2004 ص 74.
- (13) André LOUIS . TUNISIE DU SUD KSARS ET VILLAGES DE CRETTES . Paris 1975 P 100.
- (14) حس (محمد)، الجغرافيا التاريخية لأفريقية، دار الكتاب الحديثة المتحدة، جاتني 2004 ص 72.

قصر بني بركة : سوق وصندوق

منصور بوليفة (*)

1 - الموقع : 32°، 53، 25 / شمالا

ربما يختلف هذا القصر عن القصور التي تنتشر في منطقة ورغمة عموما. إذ كان مؤسسة اقتصادية واجتماعية وسياسية في ذات الوقت. فهو من عهد الناس. وكما قال فكثور هوغو : «إن العمارة القديمة هي عمارة الأمة».

يقع هذا القصر على بعد خمس كيلومترات شمالا من الحاضرة (خريطة التراب العسكري) وبن في الماضي سوقا يجمع كل القعاليات التي يتطلبها السوق بالمعنى الحديث. إذ إن موقعه الاستراتيجي أهله أن يكون كذلك، فهو يقع على الضفة اليسرى من وادي «زنداك = زنداق» العتيد طريق القوافل إلى القارة الإفريقية وطريق العبيد من القارة (القافلة، الغداسية) وربما كانت تجري به عمليات التبادل في هذا الصنف من التجارة. ومن هنا اشتق الاسم، إذ أن مصطلح «بركة» في اللغة البربرية يعني الطريق أو السوق وإزعم أن سوق البركة في العاصمة من نفس المصطلح، رغم الراي القائل بأنه من برك بمعنى أتاخ. وقد بني هذا القصر على تل شاهد، شأنه في ذلك شأن مجموع قصور الجبل الأبيض والجبال المجاورة (جبل دمر وجبل نقوسة).

(*) باحث، تونس



موقع بني بركة في الخريطة

يصفه الجغرافي الفرنسي «ليون بارفنديكار» بقوله : «قصر بني بركة الجائم على جبل يصعب الوصول إليه» (1).

سي عبد الله، وفتح لها باباً آخر ما يلي غرفة منصور بوليفه...» (2).

وربما كان السوق أيضاً في حماية الزاوية الأكبر في ورغمة، وهي زاوية عبد الله بوجليده، التي تقع قبالة وغير بعيد من هذا القصر وقد كان لهذه الزاوية احترام خاص في الأوساط الشعبية، علماً أن غالبية الجليديات وهم أهل الزاوية المباشرين لهم ممتلكات ثابتة في هذا القصر. وقد نصت القوانين العرفية في الجهة على عدم المساس بأمالك أبناء الزاوية (الفقراء الجليديات) مهما كانت (3).

2 - السكان :

يرجح أن سكان منطقة بني بركة من البربر، يحكم الموقع واحور، وقد حصصه حروب قدم من اسحق. برة بهدف مجاورة السوق. فهناك من قدم من «...» (جبل مرسه) وآخرون من الجبل الأبيض، وكذلك من سهل الخماره... وكونوا جماعة حضرية متكاملة متماسكة، ولكي يقع تجاوز مفهوم المرجع، «...» (جميع على حتمي عن لأعداء، مقصود لف... من الوحدة حيث أصبح الكل يملك «إلركاراي» (إتلاف قبلي). ومن هنا اصطلاح على المكان: (بالوطن) وعززوا موقع المواطنة فقالوا : (من وطن ولا من بطن).

هكذا تنصهر ألقاب التفرقة في اللقب الموحد، كقولنا «ألسوسي أو القيرواني» حيث تموت حزازات النفوس. هذا الإتلاف خلق إيلافا تكون بوجهه مجتمع يؤمن بالتعايش السلمي ينظم حاله تلقائيا، (نقول عرومة سي بركة، إن من لم يستشر الكبار الذين يحظون بالثقة. ويتصرف تلقائيا هو ساقط من الجماعة) (4).

3 - قصر بني بركة :

لقد اهتمت الناس في هذه الجهة تلقائيا إلى استغلال التناح من الطبيعة، قبل أن يكتب المعماري المصري

إذ أن للقصر طريقا واحداً فقط للدخول والخروج، وهناك باب واحد يعضي إلى داخل القصر بابه يتجه إلى الجنوب الشرقي والصعود إليه فيه مشقة حتى عن طريق الطريق الرسمي، فهو في مكان حصين لا تقاله يد المعتدين وإن رغبوا، لأن كاف الجبل مشغول بالسكان الذين يتولون حمايته من النهاية المحتملين رغم أن هذا السوق لم يتعرض إلى اعتداءات ولم تضر على ما يفيد تهديده في الوثائق المتوفرة. والاعتداء الوحيد الذي تتناقله الرواية الشفوية هو، عملية سرقة قام بها مجهول من داخل القصر استهدفت أحد الأشخاص من



وادي رنداق

الجليديات... (رواية شفوية متواترة). فهذا القصر كان يحظى بالاحترام نظرا لكونه سوقا اجتمعت فيه مصالح متساكني الجهة، الذين لهم غرف خزن فيه بالتملك، من هنا جاءت المصلحة في عدم المساس به، إذ أن أمنه هو أمن الجميع في النهاية. أما الخلاقات الناشئة بين الجيران، فإن مردعا إلى القضاء، فهي وثيقة مؤرخة عام 1271هـ / 1854م.

تقول : «الحمد لله، يشهد المكرم إسماعيل بن مسعود المقرري البركاري، بابليل الأبيض، بأن المرحوم منصور بن علي بوليفه من القبيل كان في قائم حياته يغير وينكر على المرحوم الرباط سي عبد الله بن عبد اللطيف يعرف «أبولوفا» الجليدي» في شأن الغرفة الكائنة بقصر بني بركة. كان بابها يفتح للجوف فسد

4 - وظائف هذا القصر :

ربما كان قصر بني بركة، من القصور القليلة في جهة ورغمة، الذي تجاوز المتعارف عليه، في أن القصور أغلبها مخصص للخزن. ففي هذا القصر نجد وظائف متعددة، الاجتماعية والاقتصادي والسياسي. إذ اعتبر قصبة الإقليم كله دون منازع. ذلك قبل أن يتحول محور الطريق التجاري صوب الظاهر، فأصبح بذلك سوق الدويرات أكثر أهمية يشهد على ذلك حجم المعاملات المسجل مع «عداس» (5).

إن القصر في حد ذاته مؤسسة اجتماعية، سواء من حيث اتفاق الرفقاء على فكرة إنشائه، أو باعتباره نواة توحدت عنده المصالح، فأسس للتكامل في ترابط اجتماعي لا مثيل له، تفصح عن ذلك حقوق الملكية الكاملة عموديا. إذ نجد غرضا يعملوا بعضها بعض للملكيات مختلفة، (الوردني، الجليدي، الجبالي...) وكل من كان في ملكيته دون اعتراض ولا نزاعات لا يمكن خاضعا للحقوق الشرعية. كما يمثل مدخل إلى مفصلا للجلوس والتفاهم بين أصحاب القصر، الذي يعود ملكيات غرف الخزن إلى تلك المنطقة الجبل الأبيض (الزحل).

الكل مؤمن على أراضيه، فهناك أولا حارس القصر مهمته مراقبة الدخول والخروج ويسكن داخل القصر، كما يتكفل كل جار بحماية جاره، تكافلا اجتماعيا من باب حفظ الجار. هذا بالإضافة إلى مبدأ العمل الجماعي المعروف «بالرعاضة»، فالكل يشارك بما عنده من جهد وحيوان، والكل في الجهة يعرف أن الحيوان القادر على قهر الجبل هو «الحمار» باني الحضارة.

أ - القصر الصندوق :

ربما كانت الوظيفة الأساسية للقصور في ورغمة، وأيضا في جبل نفوسة، وامتدادا على كامل البلاد المغاربية جنوب الأطلس، هي صناديق خزن في



قصر بني بركة

حسن فتحي 1900 - 1989 كتابه: (العمارة من أجل الفقراء).

والعمارة هي إحدى الإبداعات الإنسانية لإشباع الحاجات. ومن هنا فإن القصور التي تتوزع على أراضي ورغمة، وامتدت ضمن شريط أطلسي مسته ما شئت (خط الأصالة، خط الفقر، خط الهوية...) فعند عقيد بنهسي: «العمارة هي هوية الأمة» هي كرسية الإنسان قبل حدوث القطيعة، التي جعلت العيش بجوهر الاستمرار، فسادت ومنها امتدت الصلابة إلى القلوب، فانهتى الوفاق وتم الطلاق. ولم يفهم الناس أن القول بالحدادة لأجلها يعني نفس التاريخ. وإن امتلاك أسس التفكير الأوربي دون وعي، ربما استهدف الحقيقة القالمة لفائدة أخرى، ليست بالضرورة أفضل.

إذ أكد يوما كل من «نيتشه» و«هيدغر»: «إن الفكر الأوربي ليس هو الأكثر حقيقة». (لقد اضطرني الحال لفتح هذا القوس، لأن القصر الذي تحدث عنه قد تعرض الآن إلى عصف الحدادة إذ استهدف إلى هجمة تخريب من طرف أهله، رغبة منهم في القطع مع الماضي، بعدما استب الأمن، ولم تعد الحاجة تقضي بخزن المحصول في القصر كما كان الحال سابقا).

في منطقة الجفاره المعروفة بقصور الجفاره، باعتباره قصرا للخزن. ولكن أين التفرد؟

ب - القصر السوق :

عش النسر كما يصفه أحد ضباط الشؤون الأهلية والذي يقول : «إن من أول جولاتي الضرورية في المنطقة زيارة قصر بني بركة، وبعد الوصف. أنطلق إلى شنتي، حيث التقي بشخص يدعى «غبوش» وهو رجل اشتغل طاحنا لدى أحد الدبلوماسيين في تونس، وفي روما عند سفير لدى الكرسي الرسولي، وتؤكد الوقائع أنه قدم «الكسكي» بطريقته على المائدة البايوية (7).



قصر بني بركة متماسك

وقصر بني بركة الذي يقع في الجنوب الشرقي من تطاوين الحالية، تقول عنه بعض المصادر إن الغرف المتوفرة فيه كانت حوالي 400 غرفة بينما يذهب السكان المحليون إلى أن عددها 750 غرفة موزعة على شوارع داخلية تقضي جميعها إلى ساحة خلفية، تشبه الساحة العامة (المخطط) هذه الساحة التي قال عنها «أندره لوي» لاشك أنها كانت هي السوق (8).

ربما كانت سوق الحبوب والمواد الزراعية الأخرى،

الأساس. شيدت الجبلية منها على مواقع حصينة صعبة المنال، مثال قصور «بني خداش (قصر بني بررال)، والتي لا يقل حجم المعاناة في تشييدها، عن حجم عناء بناء الأهرامات في مصر. وهي أفضل منها من حيث الوظيفة الاجتماعية. وقد علق أحد السياح الإيطاليين أخيرا وهو على أطلال قصر بني بركة بقوله : «إننا في إيطاليا نفتخر بالبرج المائل، وأين هو من هذا المعلم».

وقصر بني بركة كانت له هذه الوظيفة حيث تخزن به كل مفردات الملكية الخاصة بصاحب الغرفة. سواء كانت مواد غذائية أو متعلقات أخرى زائدة عن الحاجة أو ثمينة، إذ شرط في السكن الخفة كالخيمة، أو الكوخ الذي يعتمد في إنشائه على جريد النخل ويسمى محليا «خصا». أو المسكن الغاري بالنسبة للمستقرين الجبلية. ويحكم انقطاع الكل إلى العمل والغياب لفترات عن المسكن فإنه عادة ما يكون محصنا لوظيفة سوق فقط، وكل شيء في الصندوق.

فسمى بسبب ذلك، سجدت، به عني، يا... قصر حجة، نفوس، روم، و... الكائنة بقصر «بوزيري» في المكان، (مخلا جديدة، وبشته خيالي، وجرد حولي أبيض، وجرد حولي أحمر، وزوج محارث، وسروال كتان أبيض، ووزنه، مقرون قديم، وخمس مناجل، ومحمجة، وفأس بوريشه وخاوية بها قدر قد عظمة ذراع زيت، موالية لقم الغرفة المذكورة، وقالب صابون، وكبوس جديد، وزوج بلغة لبيسه، وزوج حكك بها زريعة خضاره داخل صندوق، وزوج قصاع، وزوج ركانر ست وقرطاس بيت، وقد قفيز شعير بخنابة الغرفة المذكورة).

تاريخ 24 جمادي الأول عام 1312 هـ. الموافق 22 نوفمبر 1893 م (6).

وهكذا نلاحظ أن كل شيء في غرفة القصر. ففي هذه الوظيفة لا يختلف قصر بني بركة عن غيره من القصور الجبلية على جهة كويستا الظاهر أو تلك التي توزعت

الحجازية التي تسع سبع لتر، (J07). ربما كان اختلاف سعة الجرة يعود إلى إنتاج الزيت. والدليل على حجم الإنتاج عدد معاصر الزيت في بني بركة إذ تبلغ (08) منها ما به معصرتان في نفس المحل. وثمة دليل آخر ربما يصح أن ينهض دليلا على أن القصر كان سوقا حافلا، وهو تسمية الأشخاص «بالباجي» نسبة إلى الوية الباجية، التي تفوق سعتها الوية تونس، وبالتالي الوية بركاري، وهذا الاسم متداول في هذا السوق، وهو نادر خارجه.

ولكن هل آن وظيفة هذا السوق اقتصرت على الحزن والبيع والشراء فقط ؟ أم إن وظائف أخرى كانت تجري به إدارية وميسانية ؟.

ج - القصر إدارة :

لم تقتصر وظيفة السوق على المعاملات التجارية في منطقة الجنوب الشرقي فحسب. (هناك وثائق تتحدث عن... مع جهة توجان في شراء شعير، بتاريخ : 1194 - 1779 (10).

تجري في هذا السوق إدارية... الجهاز الشرعي كان يوجد في هذا سوق. ويتقاضى يتم أمام القاضي الحنفي، وهو دليل على أن هذا لسوق كان مرتبطا بالمخزن، وربما كان هذا السوق مركزه المتقدم في الجنوب الوحيد خلال مرحلة معينة من التاريخ

ففي وثيقة مؤرخة عام 1237 هـ/ 1822م نقرأ ما يلي :
سمع كاتبه من الحزة المسماة طاطمة بنت عبد الله، وبه عرف غبوش البركاوي، أنها تشرح على جميع من يشترى من شقيقها نصر بن عبد الله المذكور ملك أو عقار أو غير ذلك من متخلف أبيها المذكور، فهي باقية على حقها فيه. طال الزمان أو قصر. وحضر زوجها منصور بوليفه، ووافق عليها في الشرخ. (هنا لاحظ الولاية على الأموال).

كما توجد وثائق أخرى تحمل توقيع العدل «فلان» في بني بركة (11).

ولكن يستبعد أنها كانت تستقبل الحيوانات، فهناك في أسفل القصر ساحة تسع لحولي خمسين مترا، ربما كانت مخصصة للحيوانات، ذلك أن الحيوانات لاتصعد إلى القصر، إلا إذا كانت محملة بالمواد الفلاحية، ليتم التفرغ ثم الخروج على عجل. والدليل على أن الحيوانات لاتصعد إلى القصر ما ذكره ضابط الشؤون الأهلية عندما زار هذا القصر حوالي شهر أفريل عام 1891، إذ طلب منه مرافقه أن يترجل عند الساحة التحتية، لأن الطريق ضيق ولم يعد سالكا للخيل، وقد شك الضابط في هذا القول بالتأكيد. إذ أنه لا يدرك بحكم ثقافته أن القصر مكان مقدس فيه النعمة والحياة، من ذلك أن حيوان الكلب لا يدخل القصر، والحراسة تولاه «الحارس» الذي يشترط فيه الاستقرار، والأمانة، والشجاعة. كما استخف لاحقا بالرواية القائلة بأن القصر قد تعرض إلى حريق في العام الماضي، والسبب هو الغار الذي تلاعب بأعواد القناب (9).

ومن الدلائل التي تؤكد أن هذا لقصر كان سوق معتمدا في منطقة الجبل الأبيض، تلك المكايل والموازين الخاصة به.

وجدت في شرخ com



فهناك «الوية بركاري» التي تساوي نصف الوية «تونس» وتدعى أيضا «ثمنه». وهي المكيال الذي مازال معتمدا في سوق تطاوين إلى الآن وتدعى «ويه لنا». والغالب على الظن أن هذا القصر كان سوقا حافلا خلال القرنين «السابع عشر والثامن عشر». (عرف هذا السوق الاقتصادي النقدي، إذ تم العثور على قطعة نقدية يعود تاريخها إلى أول المصكوكات التي ضربت في الإيالة التونسية (*).

«سكين رمت معروف» مجرد «حرة بركاري» تساوي اثني عشر لرا (J12). بينما يعتمد «الحارورة» الجرة

بركه في حادثة سعيون مشحنة عام 121هـ -
هنا نفهم تفسير توقيع «بوغتيم» في بعض الوثائق -

ربما كان الانتساب إلى سلطة المخزن مبكراً، سواء في الجهة أو بالهجرة المبكرة هو الذي أعطى لهؤلاء فكرة واضحة في كيفية التعامل مع السلطة. وقد ظهر ذلك جلياً في الموقف من الفتنة الناشئة حيث التزم بنو بركة بالصف الحسيني انسجاماً مع الشرعية، واندماجاً في الموقف العام الذي اتخذته ورغبة حينئذ

إلا أنه عند إعلان الحماية اختلف الموقف، إذ انهارت الشرعية أصلاً، ولا مجال للمكابرة أو الهروب. وهكذا اختار بنو بركة المهادنة ضمن وفود الحبالية التي اتجهت إلى أم التمر في 1882 معلنة استعدادها لدفع الضريبة لقاء السلامة وكان للجبالية ذلك. ربما عرفوا مبكراً أن فرنسا هي الباي الجديد (13). وقد ظهر ذلك جلياً

ولم يقتصر الدور على الجهاز القضائي فحسب، بل نجد الشيخ الذي يباشر أمر الناس وفق الأطر التي تعمل بها السلطة السياسية، كتولي أمر قبض الجبالية «حقوق الباليك»، إذ تتحدث وثيقة مؤرخة في 1271هـ / 1783م، تقول: «أشهد على نفسه الشيخ، علي بن أحمد عبوش البركاوي، إنه خالص في ديت، محمد بن علي بوليفه البركاوي الذي عليه للسلطنة، خالص في ديت العامين الذي قبل التاريخ وهو عشرون ريالاً. ولا شك أن هذا الشيخ كان يحظى بتأييد الباي.

ربما كان الاتصال بالمركز، هو الذي جعل من بني بركة يتجهون إلى الحاضرة للعمل في فترة مبكرة. ففي وثيقة مؤرخة في 1277هـ / 1860م نقراً :

«الحمد لله وكل المكرم الأجل القاري محمد بن المرحوم عبد الله الشويرف، وبه شهر الحماص صناعة، ابن عمه سالم بن منصور بوليفه، ليرجع له زوجته خيرة تاويزين بنت إبراهيم بن رمضان من أ



1) Pervinquière / L., la Tripolitaine interdite GUADAMLS Paris 1912 P.41

2) الأرشيف العائلي،

3) الأرشيف العائلي

4) الأرشيف العائلي

5) Martel, A. les confins sahuaro- tripolitains de la Tunisie , P.U.F, 1965 p. 506 .

6) وثيقة مخطوطة، أماني بها الأستاذ سعد الشيباني

7) Croquis Tunisiens" souvenirs d'un officier des affaires Arabes".Tatamun.

8) André J. Tunisie du Sud :Ksars et villages de CRETES p. 43.

9) Croquis Tunisiens ,p 137

10) الأرشيف العائلي

11) عملة نحاسية وجدت في شارع سي بركة مكتوب على أحد وجهيها «تونس في 1211هـ» وعلى الوجه الثاني «السلطان محمود» المشير محمد باي الثاني 1211-1212م وهو أول من ضرب السكة باسمه من الذهب والنحاس، قرأ على يد الفقيه أبي محمد حسن التطاوي.

12) الأرشيف العائلي.

13) Nomenclature et répartition des Tribus de Tunisie .p 272

14) L'occupation de la Tunisie 1881- 1882 service des renseignements De la division d'occupation P. 231

ترميم القصور وتجربة توظيفها سياحيا : مثال قصر زَمُور

زايد الهنائي (*)

يُعدُّ ترميم القصور وتجديدها من أهمّ المشاريع السياحية التي يمكن أن تقوم بها الدولة، حيث إنّ القصور تحمل في طياتها تاريخاً وحضارة عريقة، وتُعدّ من المعالم السياحية التي تجذب الزوّار من مختلف أنحاء العالم. ولعلّ من أهمّ القصور التي تحتاج إلى ترميم وتجديد في سلطنة عُمان، قصر زَمُور، الذي يقع في ولاية عُمان، ويعدّ من القصور العريقة التي بنيت في القرن الثامن عشر الميلادي. وقد تمّ اكتشاف القصر في عام 1980م، وقد تمّ ترميمه وإعادة تفتيته في عام 1990م، وقد تمّ افتتاحه للزوّار في عام 1995م. ويعدّ قصر زَمُور من القصور العريقة التي بنيت في سلطنة عُمان، ويعدّ من القصور التي تحتاج إلى ترميم وتجديد، حيث إنّ القصر يحمل في طياته تاريخاً وحضارة عريقة، وتُعدّ من المعالم السياحية التي تجذب الزوّار من مختلف أنحاء العالم.

1. المنطقة الجبلية وعرة ومشاهد البيعية جذابة :

تتميّز المنطقة الجبلية وعرة ومشاهد البيعية جذابة، وتعدّ من المعالم السياحية التي تجذب الزوّار من مختلف أنحاء العالم. ويعدّ قصر زَمُور من القصور العريقة التي بنيت في سلطنة عُمان، ويعدّ من القصور التي تحتاج إلى ترميم وتجديد، حيث إنّ القصر يحمل في طياته تاريخاً وحضارة عريقة، وتُعدّ من المعالم السياحية التي تجذب الزوّار من مختلف أنحاء العالم.

خريطة عدد 1 : منطقة الدراسة



(*) باحث، تونس

- يتمثل العامل الأول في أن هذه المنطقة تصف ضمن المجالات التي يصعب فيها العيش، فلا الماح ولا التضاريس يمكن أن يساعدا على توطن السكان. كما أن الأزمة التي يعاني منها القطاع الفلاحي قد أدت إلى تنامي حركات الزواج والهجرة الرجوع.

- العامل الثاني يخص منطقة الدراسة. حيث أن زَمُور تعرف بالعدد الهام لهاجرين المهاجرين في البلدان الأوروبية الذين يعودون في فصل الصيف. ولو وقع القيام بتعداد عام للسكان في هذا الفصل لوجدنا نسبة ذكورة أعلى بكثير مما يتم تسجيله في بقية فصول السنة. هذا العامل يمكن أن يؤثر إيجابيا على نمو السياحة. فساكن هذه المنطقة هم الأكثر انفتاحا ويمكن أن يتقبلوا أكثر من غيرهم من سكان المنطقة لوطبق نشاط سياحي. ويعتقد الكثيرون من السكان المحليين أن السياحة يمكن أن تكون حلا لتحقيق التنمية المحلية والحذ

بسم زَمُور ساج نديا هاما ويمكن سياحية ذا جودة عالية. فمن خلال تهيئة محلي المتكون من التهيئات المائية للسفوح وبتسوير الحسوة وكذلك التلال الشاهدة التي أقيمت فوقها القصور والقلاع

وتمثل النباتات الطبية والعطرية (مثل الأكليل والرعرع) مكونا مهما للبيئة الجبلية. ويمكن استعمال هذا النوع من النباتات عن طريق استخراج مشتقات ومستحضرات يمكن ترويجها لدى السياح.

2 - قصر زَمُور: الخصائص المعمارية

تعرّف القصور على أنها «بنايات مكونة من عدد كبير من الغرف المترابطة أين تخزن العائلات محاصيلها، هذه الغرف تفتح على ساحة داخلية عادة ما تكون صغيرة ويكون الباب هو المخرج الوحيد من القصر». وإذا تجاوزنا هذا التعريف الهندسي نجد أن القصر «مؤسسة

وتسمح العمادة حوالي 70 كم²، أي أنها لا تمثل سوى 5,16 % من المساحة الجمالية لمعتمدية بني خديش (1) لكن رغم صغر المساحة، فإن لهذه المنطقة قد تم تمييز يمكن استعماله في مجال التهيئة السياحية الجبلية. المصدر: خريطة طبوغرافية 1/200000.



صورة 2: موقع قصر زَمُور

يتضح لنا من خلال خريطة التضاريس أن منطقة الدراسة تقع في قلب سلسلة جبال مطماطة دقر. كما نجد قرب قصر زَمُور أعلى نقطة في هذه السلسلة حسب قلعة مزنون (682 م) (2). من حيث المناخ، تقع منطقة الدراسة تحت تأثير المناخ شبه الجاف، فكمية التساقطات لا تتجاوز 200 مم/سنة. أما درجات الحرارة، فهي تتميز بمدى حراري مرتفع فصليا وسنوياً.

وحسب تعداد السكان لسنة 2004 فإن عدد سكان عمادة زَمُور لم يتجاوز ألف نسمة أي ما يمثل أقل من 4 % من سكان معتمدية بني خديش رغم قدم التعمير في هذا المكان. كما أن نسبة الذكور لا تتجاوز 42 % وهو ما يعود إلى عاملين رئيسيين:

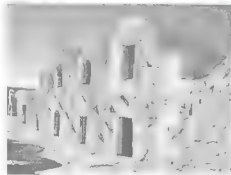
ويؤدي إلى قلعة مزنون. يضم القصر في المجموع مائة وسبعة غرف موزعة على طابقين: الطابق السفلي به تسع وثمانون غرفة أما الطابق العلوي فيحتوي على

جدول 1: حالة الغرف بقصر زُمور

الحالة	العدد	النسبة
غرف في حالة جيدة	35 غرفة	32,71%
غرف مرممة	55 غرفة	51,4%
غرف تستوجب الترميم	17 غرفة	15,89%
المجموع	107 غرف	100%

من خلال هذا الجدول، نرى أن حالة الغرف في القصر جيدة، فمعظم الغرف مرممة، و84% من الغرف مرممة، وذلك بفضل أشغال الصيانة والترميم التي شملت القصر في السنوات

التي ساهمت في الحفاظ على التراث المادي للبلدية.



جزء مرمم من قصر زُمور

قائمة الذات. أما اليوم فالقصر يمثل تراثا يعبر عن الهوية والانتماء، فتجد أن العديد من القرى والتجمعات السكانية قد أسندت لها أسماء قصورها.



من الناحية التاريخية، يعود بناء قصر زُمور إلى القرن الثاني عشر ميلادي. أي أن ستة قرون من إنشاء قلعة مزنون إلى القرن السادس ميلادي (4). وتعود إلى زُمور، وهم برب لا شك في أصولهم. ولعل للتسمية علاقة قديمة بالزيتونة (تازورت) خاصة وأن عابث الزيتون هي المنظر الرئيسي والأساسي (5).

يصنف قصر زُمور ضمن القصور الجبلية، إذ أنه يحاور قلعة مزنون التي تمثل أعلى نقطة في سلسلة جبال مطماطة دمر. يتميز هذا النوع من القصور بموقع دفاعي صعب البلوغ، كما أن توسع البناء يتم وفق ما توفره التضاريس من مجال. وقد استعد القصر حرمته منذ طويلا من الولي الصالح سيدي محجوب الزموري الذي يوجد صريحه بقلب القرية.

يتكون القصر من صفتين: صفت شمالي وآخر جنوبي يفصل بينهما مدخل غربي لا يتجاوز عرضه مترين ولا توجد به سقفة أما من الجهة الشرقية فالقصر مفتوح



لوحة إرشاد قرب قصر زُمور

كان للماعلين المحليين دور كبير في الحرص على صيانة القصر والمحافظة عليه. فلولاهم لتحول هذا المعلم إلى أكّادس من الحجارة كما هو الحال للعديد من القصور بالمنطقة. مّوت عملية الترميم بمرحلتين: الأولى كانت تهدف إلى المحافظة على القصر باعتباره اراث الأجداد، أما الثانية فكانت بعاية تحضير القصر للاستغلال السياحي. وقد أشرف المعهد الوطني للتراث على عملية الترميم بمرحلتها، حيث قام بتكليف خبراء مختصين في مناسبتين (سنة 2007 وسنة 2008) لزيارة قصر زُمور وتشخيص عمليّات

جدول 2 : عمليّات ترميم قصر زُمور

المرحلة	سنة التّدخل	عمليّات التّدخل	الميزانيّة	الأطراف للتّدخل
الأولى	2007	23 غرفة + تهيئة مدخل	1000 د	المجلس الجهوي لولاية مدنين- معمدية بني خداش-المعهد الوطني للتراث-جمعية الشّباب بزُمور.
الثانية	2008			تمويل كامل من وزارة الثقافة وتمويل من جهة أخرى
المجموع	---			

المصدر: جمعية الشّباب بزُمور بحث ميداني، ماي 2009

جدول عدد ١ : تجهيزات الساحة موزعة حسب معالم رموز

تجهيزات الساحة	تجهيزات الساحة
مطعم البيدي	مطعم سياحي
دار ثقافة	دار ثقافة
مركز شباب	دار ثقافة

مصدر: بحث ميداني شخصي، من 2009

من أجل سحب مدينيّة من منطقة تدرّسه تحتوي على أهم التجهيزات السياحية المتواجدة بمعتمدية بني خداش.

بعد ذلك تمّ من قبل المعهد الوطني للتراث إجراء دراسة ميدانية في الساحة من أجل تحديد حجمها وتحديد مخرجاتها. كما تمّ إعداد دراسة تفصيلية لتجهيزاتها. انبعاث التزمّت بالتعالي إلى التوظيف السياحي للقصر.

4 - قصر زُمور: تجربة التوظيف السياحي

إن اختيار زُمور لتكون محطة سياحية مستقبلية لم يأخذ بعين الاعتبار أن كان حار مدون هذه المنطقة جوي على مدامت هبوب رياحها. شجرت كبير من غيرها من المناطق.

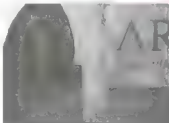
قصر زُمور وقصبة مانبط والجامع الأرضي (هو مسجد ذو هندسة خصوصية وقع حفره في التربة الطينية)، وقلمة البرزلية وقلمة مززن التي من خلالها يمكن مشاهدة كامل سهل الجفارة وصولاً إلى الساحل.

- محطات تمثل التراث الطبيعي: الجسور (مثال شعبة يومناس)،

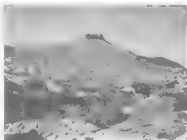
- وأخيراً واحة واد الخلوف التي كانت في عهود سابقة تتبع خط الليماس الروماني وتزود منطقة جكنيس بالمياه.



قصبة مانبط



مع لاس



مشهد مجاور لقصر زُمور

كما أن عقلية سكان هذه المنطقة يمكن أن تمثل النشاط السياحي أكثر من غيرها من سكان باقي مناطق المنطقة باعتبار أن عددا لا بأس به من مهاجري بني خدّاش هم أصليون عمادة زُمور. وتخلق عودتهم الموسمية خلال فصل الصيف ديناميكية كبيرة في المجال رغم حرارة الطقس. أما المشاهد الطبيعية في جبل زُمور، فيمكن أن تمثل متوجا سياحيا ذا حودة عالية.

لم يكن الهدف من الاستغلال السياحي للقصر تحارياً، فالهدف الأساسي يتمثل في خلق ديناميكية اقتصادية بالمطقة تمكن من إيجاد مواطن شغل للسكان. هذا الخيار يأتي في إطار «إستراتيجية تنمية من الأسفل» أو ما يعبر عنه «بالتنمية الأمركية». في هذا السياق كانت محاولة التوظيف السياحي للقصر تندرج في إطار مشروع تنمية متدمجة سمي «المحافظة وتأمين الأصناف المحلية بزُمور» والذي وقع تمويله من قبل برنامج المنح الصغرى للصدوق العالمي للميثية. يهدف هذا للمشروع أساساً إلى المحافظة على الأصناف الحيوانية والزرارية المحلية بالمنطقة عن طريق تدعيم المتروحات السياحية بالمنطقة.

يحتوي هذا المشروع على أربعة أهداف أساسية تتوجه الأهداف الثلاثة الأولى إلى السعي للتنمية السياحية المحافظة على التروات الطبيعية وحماية المحيط وتنمية زراعات لإنتاج المواد المحلية مثل «الرب» و«الغريوز». لكن الهدف الأخير هو الذي يمثل محور اهتمامنا، حيث يستلزم أن تكون زُمور منطقة سياحة ثقافية وايكولوجية (6). لتحقيق هذه الغاية تم التركيز على إعداد مسلك سياحي يضم محطات يقع اختيارها بدقة لتبرز التراث الطبيعي والمعماري لهذه المنطقة.

يمثل قصر زُمور العمود الفقري لهذا المسلك السياحي وذلك لما للقصور من شهرة عالمية ومن قدرة على جلب الشائعين. ويمكن تقسيم محطات المسلك السياحي لثلاث أنواع.

- محطات تمثل التراث المعماري: ونقصد بذلك

بالبحوث الميدانية وتحديد محطّات المسلك. وفي مرحلة ثانية إعداد لوحات تعريف وإرشاد. كما تمّ القيام بعملیات التهيئة اللازمة لبعض المواقع حتى تكون أكثر سلامة للزائرين.

وفي نفس الوقت قامت الجمعية بمتابعة أعمال الترميم والصيانة التي تمّت بالقصر. إضافة لذلك، فقد تمّ توفير حمير وجمال لنقل السياح.

وعلى المستوى المحلي وقع إبراء موافقة السكّان المحليين الأهميّة اللازمة، وهو ما سيمنّ من تجاوز المشاكل التي برزت عند القيام بمحاولات توظيف سياحي سابقة للقصور. ومنذ البداية، تمّ القيام بعملية جرد لجميع مالكي غرف القصر. كانت العملية صعبة في بعض الأحيان نظراً لغياب حجج الملكية لدى بعض المالكين. لكن في الأخير اتفق الجميع على النقاط التالية (9):

1- جمعية نشأت برموزي لاستغلال القصر كمنشأة سياحية. كما صرح المؤصّون في اجتماعهم الأول في 20 من دفر عين الكراء مدة خمس سنوات. في 10 من دفر عين 2009 مجلس من نغرم بالشيخ على الترابيم القصر وإصلاحه وتجهيزه لممارسة النشاط السياحي.

- لا يسقط حق ملكيّة الغرف مهما كانت الطرقة بعد الإبراء على هذا الترتيب.

- بخصوص التصرف في الموارد المالية المتأتية من الاستغلال السياحي للقصر: تتولّى الجمعية استثمار هذه الموارد للمساهمة في تشجيع بحث مشاريع تنمية المنطقة.

- كما تمّ الاتفاق على تكوين هيكل يمثل مالكي الغرف يتولّى مهمة التصرف في عائدات الاستغلال السياحي للقصر.

هذا العمل القاعدي كان مصحوباً بجهود على المستوى الإقليمي والوطني للتعريف بقصر زمور. هذه



واحة واد الحفوف

أظهرت التجربة الميدانية للمسلك أهميّة المتوج السياحي الذي يمكن تقديمه للزائرين. لذلك نتج الاقتناع بأهمية السياحة كحل لتحقيق التنمية الاقتصادية بالاعتماد على الموارد والطاقت المحلية.

إن اختيار هذا النوع من المسالك يعتبر عن توجّه جديد في الميدان السياحي. فهذا «المسلك الجيلي في المخطوطة الحليّة بزّمور» (الاسم الرسمي) يعطي «السياح» الأقدام معاني جديدة ويعتبر عن مفهوم الحياة كشخصية إنسانية جديدة الأصغر. وهذا النوع من السياحة يمكن وصفه بأنه نوع من «السياح الجيلي» في البيئية التي تعرف على أنها «نوع من الإبحار المجهول» في المجالات الطبيعية الذي يساهم في المحافظة على المحيط وعلى جودة المجتمعات المحلية (8).

أما الحرفاء المستهدفون فهم أساسا السائحون الثقافيون الذين يختلفون تماماً عن السائحين الذين يأتون عن طريق وكالات الأسفار لأرتياد المناطق الساحلية بأثمان زهيدة، كما أنهم يميّزون بالنشاط والتعب، إلى المعرفة والاندماج وسط المجتمعات المستقبلية للتعرف على نمط عيشها.

كانت فكرة استغلال القصر في النشاط السياحي نتيجة مبادرة من جمعية الشّباب بزّمور. فباعثها جمعية تنمية، وقع التفكير في مشروع يضمن الاستغلال الأمثل للمؤهلات التراثية لتنمية الاقتصاد المحلي. وبعد الدراسة اللازمة للمشروع، تمّ القيام

نوعية السائحين ذوي المقدرة الشرائية العالية التي لا تستهلك إلا الإنتاج المحلي.

النقطة الثالثة تتعلق أساساً بالنية بحسب ٢٠٠٤ لممارسة النشاط السياحي بالمنطقة. والتجهيزات السياحية غير كافية لاستقبال السياح. وحتى النزول الموجود حالياً يستوجب الرفع من مستوى الخدمات التي يقدمها. ويجب التفكير أيضاً في تكوين يد عاملة واعية بأهمية السياحة البيئية والثقافية. «وتكوين الأدلاء السياحيين يمثل تحدياً كبيراً حيث يجب اختيارهم حسب مؤهلاتهم العلمية ومعرفتهم العميقة بالمواقع التي تقع زيارتها» (10).

إن تجاوز هذه المصاعب والتحديات يمثل أهم مرحلة في توظيف القصر سياحياً. لكن ذلك لا يمكن أن يتم إلا إذا كانت الإرادة قوية لتحقيق تنمية سياحية حقيقية بالمنطقة.

خاتمة

كما قد نرى، هذه توصيات موجهة إلى القصر من أجل أن يتجاوز هذه المصاعب والتحديات. ونوعية السياح المستهدفين. فالقصر لا يمكنه أن يتجاوز هذه المصاعب والتحديات إلا أنها لا يمكن أن نعزّص بعين سياحيين مختصين ومهنيين ذوي خبرة في مجال السياحة البيئية والثقافية، وهو ما يستلزم تضام جهود عديد الأطراف والتنسيق بينها لتحقيق انطلاقاً لسياحة من صنف جديد لها مؤهلات البقاء والنمو وتلاءم مع الخصوصيات المحلية البيئية والاجتماعية والثقافية.

المحاولات تترجم الرغبة لدى الفاعلين المحليين من أجل تحقيق التنمية المحلية المنشودة. كما أنها مابعة من الوعي بأهمية الامكانيات الطبيعية والتراثية التي تزخر بها هذه المنطقة المحلية

5 - عوائق وتحديات التوظيف السياحي لقصر زمّور :

بعد القيام بعملية التهيئة الضرورية للانطلاق في النشاط السياحي برزت مشاكل جديدة تستوجب التدخل العاجل:

- أول هذه الصعوبات تتمثل في الموافقة على المسلك السياحي الجبلي الايكولوجي والثقافي بزمّور. فبعد بداية سنة 2009 لازال أعضاء الجمعية ينتظرون موافقة الذبوان الوطني للسياحة للانطلاق في العمل بصفة قانونية وذلك لأن الجمعية ليست وكالة أسعار متخصصة.

شكل بياني يوضح
يعمى ساحة بـسـمـوـج
ونوعية السياح المستهدفين. فالقصر لا يمكنه أن يتجاوز هذه المصاعب والتحديات إلا أنها لا يمكن أن نعزّص بعين سياحيين مختصين ومهنيين ذوي خبرة في مجال السياحة البيئية والثقافية، وهو ما يستلزم تضام جهود عديد الأطراف والتنسيق بينها لتحقيق انطلاقاً لسياحة من صنف جديد لها مؤهلات البقاء والنمو وتلاءم مع الخصوصيات المحلية البيئية والاجتماعية والثقافية.

المصادر والمراجع

- أرماني عبد الحفيظ 1990: مغارب، ثقافة لاصول البشرية وحرارة اجتماعي، منشور مكتبة
البريد بوزن، مطبعة جادة بشاره عدد 1993، ص 100-101.
- Association des Jeunes de Zammour 2008: Projet de conservatoire et d'animation des espèces
autochtones de Zammour, non publié, 27p.
- Du Cluzeau Claude Origet 1998: Le tourisme culturel, PUF, Paris, 127p.
- Georgina Savelbergh et Brian Iphery 2008: Integrated rural tourism: a border case study. In Annals of
Tourism Research, vol 35, n° 1, pp 233-254.
- Hartmann Marc 2005: Heritage, local communities and economic development. La Tour du
Tourism research n° 32, pp 735-759.
- Kassir Abd-Fattah 2004: Tourisme et patrimoine dans la zone des Mammouch et d'entourant.
In Ali Hattar, Mohamed et Papa Herbert (éditions) Patrimoine et développement des communautés
marocaines, Rabat, Faculté des Lettres et Sciences Humaines, pp 141-151.
- Lessmesster Ralf et Scherle Nicolai 2008: Hors des sentiers battus: à la découverte des villages
souterrains des montagnes du Maroc. In Herbert Papp, coordination: Les villages
- Contributions de la géographie humaine allemande - Publié avec le concours de l'Association Al
Kultur und der Reihe: Du Geographische Reise, Bayreuth, pp 78-85.
- Louis André 1975: Tunisie du Sud: déserts et villages de crêtes. CNRS, 170p.
- Zayed Mohamed 2008: Les villages souterrains du Maroc, Éditions du Centre de la Méditerranée, 2008.

الهوامش والإحالات

- (1) ديوان تنمية الجنوب، ولاية مدين بالأرقام، نشرية سنوية
- (2) يبلغ هذا الارتفاع 694 م. حسب الخريطة الطبوغرافية ذات مقياس 1/100,000
- (3) بحث ميداني يتمثل بقايل الشياحة من قبل السكان المحليين، همامي 2009
- (4) جمعية صيانة القصور والمحافظة على التراث بني غداش، 2007.
- (5) رتوري عبد الحق، 2008.
- (6) جمعية شباب الرتوري، 2007.
- (7) Lessmesster Ralf et Scherle Nicolai, 2008, p 80
- (8) Société Internationale d'Écotourisme
- (9) جمعية الشباب الرتوري، جوان 2008.
- (10) Du Cluzeau Claude Origet, 1998, p 59

قصور مدينين :

من التهديم والتّمددين إلى الصّيانة والحنين

الطاهر ضيف الله (*)

مقدّمة :

د وقت قريب نجّاه القصور، وتعتبر مثالا
لثراث الفريد والمتميز.

وكنشأت هذه القصور وما هي الخصائص التي

ولا يعتبر هذا المعمار مجرد شاهد على ما أنجزه
الإنسان في مجال البناء المعماري، بل أنشأ

وما هي دواعي وخلفيات هدم عدد كبير منها؟

وما هو التوظيف الحالي للقصور المتبقية ؟

وهل نجحت عمليات الترميم والصيانة في إنقاذ ما

تبقى من هذا التراث المعماري والثقافي ؟

قصور مدينين : الموقع والموضع

توطن قصور مدينين في سهل الحفارة وهو سهل رسوبي
رملي بين سلسلة جبال مطماطة دفر (الكويتا) غربا والبحر
شرقا ويتواصل سهل الحفارة نحو الجنوب الشرقي داخل
التراب الليبي. ويتميز بمناخ صحراوي ذي مدى حراري
مرتفع وتساقطات تراوح بين 150 و200 مم في السنة.

تمثل قصور مدينين جميع أنحاء الجنوب
الشرقي التونسي وقد بلغ عدد غروب
حسرين حوالي 6000 عرفة من مدينين
ولا يعتبر هذا المعمار مجرد شاهد على ما أنجزه
شبه الرحل في سهول الجنوب وجباله بل أنشأ
بعدد الوظائف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وقد عرفت قصور مدينين عدة تحولات عبر التاريخ
خاصة على مستوى وظائفها نظرا لتداخل عدة عوامل
سياسية واقتصادية. ومنذ الفترة الاستعمارية تراجعت
وظائف قصور مدينين وشهدت تدهورا كبيرا. وفي
السنوات الأولى من الاستقلال شمل التحطيم والهدم
الجزء الأكبر من هذه القصور ولم تصمد منها إلا ثلاثة
قصور شملت في السنوات الأخيرة عمليات صيانة
وترميم ومحاولات لإعادة توظيفها سياحيا وثقافيا.

تمثل قصور مدينين بلا منازع عينة من النظرة التي

(*) باحث، تونس

قصور مدينين : النشأة والتوسع

تتمثل قصور مدينين في تجمّع لعدد كبير من الغرف وهي إحدى أهم القصور في سهل الجفارة تعود ملكيتها إلى عدد كبير من عروش التوازين. إن البحث في تاريخ نشأتها يتطلب من الباحث التساؤل عن أصل تسمية مدينين. وحسب رواية شعبية نقلها بوسترو: «إن سكان هذه المقاطعة أنفسهم غير متفقين حول أصل كلمة مدينين. فبعضهم يربطها إلى إسم كهف شهر بأم الدين ويقوم على مقربة من المكان الذي يوجد به حاليا السوق الصغير المواجه لدخل المسجد. ويزعم البعض الآخر أن التسمية مدينين تشتبك في أصلها مع المدينة أو كما يسميها العرب «مدينة النبي»، ويفسرون ذلك باعتبار أن البطن الذي ينحدر منه جددهم كان يسكن مكة قبل نزوحه. فرغب هذا الجدّ، محبة لمسقط رأسه، في أن يطلق الاسم نفسه على القرية التي قام بإسائها (2).

تقع القصور في سهل منبسط تخترقه بعض المجاري المائية الصغيرة وهو ما نلاحظه في موضع مدينين اليوم نتيجة توطن السكان حول القصور التي تمثل التواة الأولى لنشأة مدينين.

إن موقع مدينين في سهل جفارة بين البحر والجليل جعل منها نقطة ارتكاز هامة ومنطقة عبور بين الشمال والجنوب وبين الصحراء والشريط الساحلي. ورغم محدودية مواردها الزراعية تمثل المنطقة مجالا مناسباً للمبادلات ومكان التقاء بين عدّة محاور مواصلات وحسب ما تشير الروايات الشفوية والمصادر التاريخية فإن تواجد الولي الصالح سيدي علي بن عبيد كان عامل وحدة وتقريب وأمن بين القبائل. فتحوّلت مدينين مكاناً آمناً لحزن المحاصيل الزراعية وتعددت بها القصور التي بلغت 35 قصراً واحتوت على أكثر من 6000 غرفة خلال ثلاثينات القرن العشرين (1).





قصور مدين سنة 1950 حسب أندري لويس

القصور وتلاصقتها وتعتبر مدين من أبرز الأمثلة المبينة لهذا الصنف من التوسع.

ب - التوسع العمودي :

تشجع عمليات التوسع العمودي للقصور من خلال زيادة عدد الغرف بإضافة طوابق علوية تصل أحيانا إلى 4 طوابق. ويؤدي القائل من خلال هذا الصنف من التوسع إلى تحفيز التوسع بهدف لاحتطه على التوسع المخصصة للزراعة حتى تتمكن من مواصلة نشاطها الملاحية والرعية وحتى تبقى قريبا من مركز الحماية الروحي للقصور.

عمارة القصور :

تشابه قصور مدين مع أغلب القصور السهلية من حيث التخطيط وتقنيات البناء ، وتتجمع بكل قصر عدة مكونات أساسية تقوم على الأجزاء التالية :

الغرفة :

تمثل الغرفة الخلية الرئيسية أو النواة الأولى للقصر ، فالقصر إذن هي مخازن حبوب ومتشابهة الأشكال في قصور مدين وأم التمر . يتراوح طول الغرفة بين 4 و 5 أمتار ويصل أحيانا إلى 7 أمتار ولا يتجاوز عرضها 2 متر

وفي مطلع القرن الخامس عشر كان الموضع الذي يحتله الآن قصر مدين قفرا . فالواديان اللذان يحداه شرقا وغربا لا يشكلان سوى دغل رحب استوطنه إبن أوى والضبع والخزير وكذلك الأسد (3).

وحسب هذه المعطيات فإن قصور مدين لم تظهر إلا بعد هذا التاريخ .

وقد سكن الكهف الذي تحدث عنه «بوسترو» وجل صالح حسب معتقدات سكان مدين ويدعى «سيدي علي بن عبيد» حيث استقر بهذا الكهف في القرن 17 ووجد سكان ورغمة متشربين في الأراضي المجاورة فدعاهم إلى خزن محاصيلهم الملاحية ووضعها تحت حمايته (4).

وهكذا يمكن القول بأن فكرة تأسيس القصور بمدين تعود إلى الولي الصالح علي بن عبيد ، وقد بادر سكان ورغمة ببناء النواة الأولى للقصر وهي غرف لخزن المحاصيل الزراعية قرب ذلك الكهف في القرن 17 . وقد وشعت كل قبيلة في بناء قصر لها يحمل اسمها مثل : -

أولاد إبراهيم وقصر الشنادلة وقصر المارسية و... من القبائل . وقد بلغ عدد القصور حوالي 35 قصبا ذات طابق محسنة بنصف حوالي 1000 .

وعموما وحسب الدراسات التاريخية المتوفرة فإن نشأة أولى قصور مدين تعود إلى القرن 17 ، وما انفكت مسنة التوازن تكلف أهالي مدين بحراسة حيوها إلى أن أقيم أول مركز بمدين سنة 1888 .

لقد سعت قبائل ورغمة إلى بناء قصورها في أماكن متعددة في مدين استجابة لمتطلبات الحياة الفلاحية فقد ركزت هذه المجموعات القبلية في البداية إلى إقام بناء الطابق الأرضي للقصر أي غرفة بجانب غرفة على كامل محيط الساحة التي ينظم حولها القصر . وأمام تزايد عدد السكان وارتفاع المحاصيل الزراعية شهدت القصور مرحلتين من التوسع :

أ - توسع أفقي للقصور :

يتمثل التوسع الأفقي للقصر في بناء قصور أخرى بجانب القصر الأول . ومن مظاهر التوسع الأفقي تعدد

السقيفة:

هي المدخل الرئيسي للصحن (ساحة القصر) وهي المجال المخصص للالتقاء بين أفراد القبيلة ، ويتراوح ارتفاعها بين 3 و4 أمتار ولا يتجاوز عرضها 3 أمتار. وتختلف السقيفة من قصر إلى آخر حيث نجد سقيفة منطاة في قصر أولاد إبراهيم وقصر المسرح بمدين وسقيفة غير منطاة في قصر أم التمر فهي تتميز بارتفاعها.

البئر:

يمثل البئر أحد المكونات الأساسية للقصر حيث نجد في قصر أولاد إبراهيم بئرا في وسط الساحة ، ويعود ظهورها إلى فترة بناء أولى الغرف نظرا لمحدودية الموارد المائية بمدين، وقد كان السكان يستعملون الماء للشرب ولبناء غرف القصر ولتأمين عمليات سقي الحشائش كالأغنام والأبل التي تبقى لفترة طويلة داخل القصر.

مواد البناء:

تتميز عملية بناء القصر بعدة مراحل أساسية، حيث تستلزم عملية بناء القصر اتفاق أفراد القبيلة على بعض المسائل ومن أهمها تحديد المجال الجغرافي الذي سيتم فيه بناء القصر، وتحديد مساحة المجال المكونة للقصر، ويتم كذلك ضبط قائمة أسماء السكان الراعين في بناء الغرف لتحيطت مشابه بين أغلب القصور خاصة من الجير والجبس والحجارة لإيجاز ذلك (6).

مراحل البناء:

تمت عملية بناء القصر بعدة مراحل أساسية، حيث تستلزم عملية بناء القصر اتفاق أفراد القبيلة على بعض المسائل ومن أهمها تحديد المجال الجغرافي الذي سيتم فيه بناء القصر، وتحديد مساحة المجال المكونة للقصر، ويتم كذلك ضبط قائمة أسماء السكان الراعين في بناء الغرف لتحيطت مشابه بين أغلب القصور خاصة من الجير والجبس والحجارة لإيجاز ذلك (6).

أما الارتفاع فيصل إلى حوالي 2 متر في كل القصور ولسقف الغرفة شكل نصف دائري

وقد قام السكان شبه الرحل بتهية الغرفة لعدة استعمالات، وتقسم بدورها إلى عدة مكونات تستعمل في وظائف مختلفة:

الهراي: هي عبارة عن حوض يوجد في آخر الغرفة يتم فصله عن مركز الغرفة بجدار يبلغ ارتفاعه حوالي نصف متر. ويستعمل هذا الفضاء لحزن المحاصيل الزراعية من القمح والشعير.

- القوسية: هي فضاء في شكل قوس يتراوح ارتفاعه بين 20 و100 سم ويستعمل لحزن جرار الزيت والمواد السائلة.

- الختابة: هي فضاء يتم تهيئته فوق القوسية، يصعب الوصول إليه ويغطي بكمر حجري، فهي غرفة داخل غرفة تستعمل لحزن وإخفاء المواد الثمينة والسدرة ويمكن محسنة ان تسمى غرفة الختابة وتفتح مباشرة على الشوارع (كما في الصورة) هذه الحالة باب مستقل عن الغرفة ويسمح بالمرور إليها ويعرض لا يتجاوز المتر الواحد إلى منطقة عمارة الجنوب ص 86).



قصور مدينين : من مخازن الحبوب إلى المركز التجاري

إن فكرة بناء العرف منذ نشأة القصور الجبلية الأولى في الجنوب التونسي كانت مبرجة بطريقة تمكن من تخزين المحاصيل الزراعية وخاصة الحبوب والصوف والزيت، وقد قامت أغلب القصور بهذا الدور لعدة قرون وانتشرت فكرة بناء القصور من الجبال إلى السهول لتظهر في شكل تجمع كبير من القصور في مدينين وأم الثمر نظرا لتعدد القبائل شبه الرحل التي تملك أراضي جماعية وتعتمد النشاط الزراعي كنشاط أساسي وخاصة الرعي وترعى المواشي من أجل ذلك، كانت حبات الحبوب في «الرتب» (جمع رتبة وهي مطبوع للحبوب تحت الأرض) وأصبحت بعد بناء قصور مدينين تخزين في الغرف وفي أماكن مخصصة داخل كل غرفة.

وأمام التزايد السريع لعدد السكان وكثرة الإنتاج الفلاحي سعت كل قبيلة إلى بناء قصر يستخدمه أبنائها. وتوسع بذلك مجال القصور في مدينين حيث بني لأرضي واسعة تشمل جميع أراضي القبيلة. القصور المتلاصقة والتي تتمحور حول «البيت» في مدينين من عبيد تربط بينها مسالك تؤدي.

اضطلعت مدينين بدور عاصمة تجمع القبائل من الفرسيين وهو ما ألغى لتكون وجهة اقتصادية وتجارية هامة خاصة للتواريين والخزور (فتحى ليسير 1992 ص 301).

وقد شهدت قصور مدينين عديد التطورات خاصة في الفترات الأولى من انتصاب الحماية الفرنسية ومز القصر بعدة مراحل حيث تراجعت مكانته خلال المرحلة الأولى من دخول السلطة الفرنسية بعد أن هجره التواريين هروبا من المصائب الناتجة عن دخول المستعمر وهو مساهم في تراجع العمليات التجارية حيث انخفض رقم المعاملات التجارية بسوق القصر ولم تتجاوز 100000 فرنك سنة 1899 (نفس المصدر السابق).

إن ماميز سوق مدينين هو دخول تجار من اليهود والأوروبيين إليه، وقد قاموا ببناء حوالي 65 دكانا إثر انهيار البعض من غرف القصر (نفس المصدر السابق).

ولقد استأثرت أعداد هامة من تجار التوازين عملياتهم التجارية في سوق القصر نظرا لأهمية موقع القصر بالقرب من أراضيهم. وقد شهدت الحركة التجارية لسوق قصر مدينين نموا متواصلا بين سنتي 1900 و1938.

وتعود عوامل نمو المعاملات التجارية بسوق قصر مدينين إلى أهمية الموقع الذي ساهم في استقطاب التجار من مختلف الأماكن خاصة تجار الحبوب الوافدين من قابس وجربة وجرجيس. كما يتميز السوق بتعدد المنتجات المعروضة مثل الزيت والشعير والصوف والملابس الصوفية مثل الوزرة والبرنوس والسخنوق والمرقوم.

ولئن كانت الوظيفة الرئيسية للقصور هي تخزين الحبوب والمبادلات التجارية إلا أن قصور مدينين قد قامت بدور آخر تمثل في إيواء التلاميذ الذين درسوا بحام سيدي علي بن عبيد حيث كان الأولياء يقومون باكتراء غرف القصور لمبيت أبنائهم. وهذه الوظيفة كانت مشابهة لغيره قصور أخرى مثل قصور بنقران (7).

مرحلة تجار بسند صحر

بعد بنى الكبير الذي كانت تؤديه قصور مدينين لمرحلة تجار بسند صحر، حيث تراجعت مكانته. كما هجرها السكان ببناء قصور أخرى في سرتودان (قصر أعظم وقصر الشرايعة وقصر الجراء) وجرجيس (قصر الموانسة)، وأمام ظهور ظاهرة البناء الجديد بمدينين خاصة بعد الاستقلال، شهدت أغلب القصور تدهورا كبيرا في عمارتها وتراجع عدد القصور من 35 قصرا إلى 3 قصور تحتوي على عدد قليل من الغرف. والوضع الحالي هو حصيلة هزيلة لما تبقى من مدينين، مدينة القصور.

قصور مدينين سنة 2010

اسم القصر	عدد الغرف
قصر أولاد إبراهيم (القصر السياحي)	146
قصر المارسية	120
قصر المروح	125

المصدر : دراسة ميدانية

قصور مدنيين: الصيانة ومحاولات الإنقاذ

إن ما يميز عمليات صيانة القصور بمدينتي هو تأخرها
رميا وصعوبة عمليات الترميم نظرا لتداخل عدة عوامل
ساهمت من ناحيتها في تأخر تدخل الدولة لصيانة هذه
المواقع التراثية.

تعقد الملكية :

إذ طبيعة النظام القبلي الذي كان سائدا في منطقة سهل حفارة في فترة ظهور القصور جعل من هذا المعمار ملكا جماعيا لقبائل متعددة، حيث أصبح لكل قبيلة قصر باسمها مثل قصر أولاد إبراهيم وقصر الماوسية بمدين وقصر الشرايعة وقصر الجراء ببنقردان وقصر أم النمر الذي تعود ملكيته إلى الثمارة والحارزة، ومع مرور السنين والنمو السكاني وتعدد الأحماد للأب المالك الأصلي للقرعة أصبح القصر ملكا لعدد كبير بحيث يتجاوز عدد الورثة لكل غرفة المائة شخص ، وهو ما عمق مشكل الملكية وشكلت بذلك صعوبة التملك من حيث ملكية حصصه ، وقد انعكس ذلك على الثقافة والحضاري المميز لعمارة الختوب من الأندلس.

تدهور عدد كبير من الغرف :

إلى التحولات التي شهدتها قصور مدين خاصة في بداية دخول الحماية الفرنسية، وتشجيع السلطات الاستعمارية التوازن على بناء قصور في بنقردان بهدف توطين السكان ومراقبة الحدود قلص من الدور الوظيفي لقصور مدين، وتراجعت مكانتها وهجرها السكان وبالتالي تداعت أعداد كبيرة من الغرف.

كما تدهورت حالة القصور بعد الاستقلال سجة
 ظهور نوع حديد من المعمار وهي تلك البناءات الحديدية
 التي حلت محل أغلب القصور.

ورغم تعقد الوضع العقاري والحالة السيئة التي آلت

إليها عديد الخرف قامت عدة أطراف بالتدخل لصيانة ما تبقى من قصور مدين وإعادة برظيفها ثقافيا وسياحيا.

وتهدف عمليات الصيانة والترميم في قصور
مدينين إلى عدة أهدافها أهمها أهداف ثقافية وأخرى
فنية. إن الهدف الرئيسي الذي تسعى إلى تحقيقه
مختلف الأطراف المتدخلة من خلال عمليات الصيانة
هو ترميم وحماية التراث وذلك بترميم ما تبقى من
الغرف المتداعية وإعادة بنائها بهدف توظيفها في
السياحة الثقافية وإبراز القيمة التراثية لهذه المعالم
الأثرية، وبالتالي المحافظة على الطابع المعماري الذي
تتميز به عمارة الجنوب الشرقي وخاصة في سهل
الجفارة حيث ساد غط عيش شبه بدوي.

كما تهدف أشغال الصيانة إلى تنشيط الصناعات
تفدية وبيع منه لساحي لملاد نحمو مساحة
مستعملة مغارة للباحة الشاطئية الموسمية وبالتالي خلق
في هذا الإقليم.

عمليات الصيانة والترميم في قصور
من ثمر دصي سعد من
عن طريق التفتيش الجوي لثلاث
لكن التدخل كان محدودا.
من سنة 2002 قامت اللجنة بعدة تدخلات
لترميم القصور السياحية بمدينة تمشت في :

- أشغال التندعيم: تتمثل في ترميم الجدران المتداعية ودعمها بالاسنادات الخشبية والأملاط والجبس.

- تنظيف الغرف والصحن وإزالة الرمال المتراكمة
بمساحة القصر.

- إزالة البناءات المستحدثة التي بنيت إثر سقوط بعض الغرف.

- ترميم الشقوق والتصدعات وذلك بطمس الفحات .
- إزالة الملاط الذي اعتمدته أصحاب الغرف فوق غرف القصر وإعادته بطرق علمية تتماشى مع نوعية المعمار .

- إزالة الحجارة المتآكلة وتعويضها بحجارة أخرى

الرئيسي الذي يشرف على العمل الثقافي بالجهة ويتمثل تدخلها في:

- الإشراف على المهرجان الثقافي بقصر المسرح
- العمل على صيانة الموروث الثقافي والحضاري بالجهة
- العمل على صيانة الثقافة الوطنية والمحلية لدعم الساحة الثقافية

• المعهد الوطني للتراث :

يرز تدخل المعهد الوطني للتراث في صيانة المعالم الأثرية بمدين عن طريق التفقبة الجهوية لثرا الساحل الجنوبي بصفاقس والتي تمثل عملها في :

١ - على المستوى التشريعي :

- تفقد القصور من خلال بعض الزيارات الميدانية
- القيام ببعض الدراسات والتقارير لتقييم حالة
- أمثلة الصيانة والإحياء

تتمثل الوزارة عبر الإدارة الجهوية للتجهيز والإسكان والتهيئة الترابية بمدين التي تعتبر الهيكل الرئيسي الذي يشرف على إعداد مثال التهيئة الحضرية بالتعاون مع هذه أخرى بهدف تحسين معيشة المواطنين.

• البلدية

عمليات ترميم القصور وتهديتها وإعادة هيكلتها أبحاثاً مادية كبرى، وقد بلغت قيمة مصاريف ترميمها في عشرين عاماً لأكثر من 138 ألف دينار في قصور مدين وإلى حدود سنة 2007 (التفقدية الجوهرية للتراث بالساحل الجنوبي بصفاقس) ولذلك سعت عدة أطراف لتنفيذ هذه البرامج من تدخلها بتكفلها بمصاريف الترميم.

يبرز دور البلدية في الحفاظ على المواقع الأثرية من خلال إشرافها على عمليات التهيئة العمرانية داخل المجال البلدي خاصة بالنسبة لقصور مدين نظرًا لطبيعة موقعها في مركز مدينة مدين وتمثل تدخلات البلدية في :

- بحث شبكات البنية التحتية
- العناية بالنظافة
- المصادقة على أمثلة النهضة

• المجلس الجهوي بمدينتي :

نصه هذا المجلس إدارات محلية وجهوية من ولاية
مدين لدراسة المشاريع التنموية بالجبهة وقد تدخل المجلس
يرصد اعتمادات مالية هامة لمشاريع تهئية القصور، وقد
ساهم المجلس بحوالي 24 ألف دينار خلال مشاريع
الترسيم التي قام بها المعهد الوطني للتراث بين سنتي
2002، 2009

- الإشراف على التراخيص الإدارية لعمليات البناء
- توفير الاعتمادات اللازمة لتمويل مشاريع التهيئة
- * وزارة الثقافة والمحافظة على التراث :

يتمثل تدخل وزارة الثقافة والمحافظة على التراث من خلال المندوبية الجهوية للثقافة بمدني التي تعتبر الهيكل

الاعتمادات المالية المخصصة لترميم قصور مدين بين
2002 و 2010

الأطراف المتدخلة	قيمه الاعتمادات	سنة التدخّل
وكالة إحياء التراث والتنمية الثقافية	5200	2002
المعهد الوطني للتراث	20000	2003
المجلس الجهوي بطنجة	7000	2005
المعهد الوطني للتراث	10000	2006
المعهد الوطني للتراث المجلس الجهوي بطنجة	17000	2007 و 2008
المجلس الجهوي بطنجة	10000	2009
اعتمادات رئاسة	50000	2010

المصدر: التفقيدة الجهوية لثراث الساحل الجنوبي

واقع الموظفين السياحي للحصول على :

لاحظنا من خلال الزيارات الميدانية لمرحلة 1
خلال فترة البحث أن عمليات البناء
قصور مئتين كانت واضحة، يظهر ذلك من خلال حالة
القصور الثلاثة التي تعتبر جيدة وعلب لغرف في حالة
جيدة وقبيلة للتوظيف السياحي. وقد حافظت على
طابعها التقليدي من حيث مواد البناء المستعملة للترميم
ومن حيث طريقة إعادة ماء بعض الغرف التي تعرضت
إلى السقوط والهدم، وهو ما جلب أنظار الزوار من
عدة بلدان وجذباهم بالقصير إعجابا بطريقة البناء والمواد
التقليدية المستعملة ببناءه.

كما لاحظنا أن البناءات المجاورة للقصور قد بنيت بطرق عصرية مخالفة للهندسة المعمارية للقصور، ولا نصحع إلى قوانين حماية المعالم التاريخية التي ينص عليه الفصل 45 من مجلة حماية التراث الأثري والتاريخي والحدود التقليدية. كما لاحظنا أيضا في آخر المبنى الذي يربط بين قصر المراسية وقصر محمد السادس مسجد

متلاصق مع غرف القصر، وكذلك وجود بعض العرف يحتوي على أبواب من الحديد وأخرى خشبية مخالفة لما هو معمول به في عمليات الصيانة والترميم لدى المعهد الوطني للتراث، ولذلك وجب التدخل لإيقاف تجاوزات بعض المواطنين لحماية التراث.

تعددت عمليات الصيانة والترميم في قصور مدين
الثلاثة (قصر أولاد إبراهيم وقصر المارسية وقصر
المسرح) وتوعدت أشكال الترميم بهذه المعالم وهو ما
جعل توظيفها ممكنا في مجال السياحة الثقافية نظرا
لأهمية موقع مدين كمحطة عبور بين قطب السياحة
الشاطئية جربة وجرجيس من جهة، وأقطاب السياحة
الصحرارية توزر ودوز من جهة أخرى.

ومن مظاهر هذا التوظيف السياحي الجديد لقصور
مدنين:

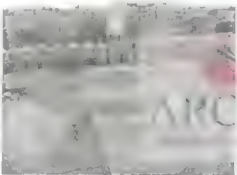
[illegible]

- المقهى السياحي بقصر أولاد إبراهيم : وهو يحتل مكان مميّنة القصر التي كانت فضاء للقاءات والاجتماعات بين شيوخ القبائل أو الميعاد

- المحلات التجارية لبيع التحف والمروضات التذكارية: تحولت الغرف من وظيفتها الرئيسية وهي «ضفة خزن المتوجات الفلاحية والرعوية إلى محلات تسوق صناعات تقليدية تميز بها بعض المدن التونسية مثل مدنين ونطاوين وجربة وجرجيس وقابس

المكاسب للسكان المحليين. لقد مكن التوظيف السياحي من استغلال 70 غرفة في قصر أولاد إبراهيم ويشغل كل محل بين 2 و3 عمال وحوالي 10 محلات في قصر المارسية ويشغل حوالي 15 عاملاً من بينهم 4 فتيات متحصلات على شهادات جامعية من المعهد الأعلى للفنون ومهن التراث بتطاوين. كما يشغل متحف العادات والتقاليد 3 عمال إضافة إلى عمال المقهى السياحي وتنشيط حركة النقل وتنشيط الصناعات التقليدية في جرة وقابس وبعض المدن الأخرى.

كما ساهم التوظيف السياحي للقصور في المحافظة على ما تبقى من إرث حضاري لمدينين الذي كاد أن يندثر في فترة ما.



قصر أولاد إبراهيم

الخاتمة :

ما زالت السياحة في قصور مدينين محدودة وغير كافية لتحقيق تنمية شاملة. فالفترة المخصصة للزيارة قصيرة جداً ولا تتجاوز بضع ساعات. فهي تعتبر مجرد سياحة عبور مجانية ذات تأثير ضعيف على الاقتصاد المحلي، حيث يقتصر السياح والزائرون على التقاط بعض الصور ولا تنشط باقي المجالات مثل المطاعم والنزل والمقاهي لأن السياح يقيمون بالمناطق السياحية الكبرى.

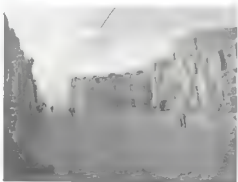


متحف العادات والتقاليد

من فخر وعنف ومظلات مصنوعة من سعف النخيل والمرقوم والفليج

وتتميز السياحة في قصور مدينين بتنوع كبير لمصدر السياح، إذ أصبحت مدينين محطة سياحية يقصدها سياح من جنسيات مختلفة يأتون إليها من المناطق السياحية الشاطئية في رحلات منظمة أو مجموعات صغيرة وبعض السياح الذين يأتون من خارج البلاد. وتعد هذه القصور من أهم المواقع السياحية في تونس.

ساهمت هذه القصور السياحية في خلق بعض



قصر المارسية

وعموما فإن قصور مدينين التي تمخلت عن وظيفتها الأساسية وهي تخزين الحبوب والمواد الفلاحية والتي تحولت إلى مركز تجاري وحضري، تطمح اليوم إلى أن تستعيد وظائف جديدة تسمح لمدينة مدين أن تحافظ على خصوصياتها الثقافية والتراثية وأن تسهم في التنمية المحلية والإقليمية.

ويمكن تحقيق توظيف سياحي أفضل لقصور مدينين بتهيئة قصر المسرح واستغلاله كنزل سياحي تقليدي مثل قصر الحدادة بضمراسن، وكذلك بتنظيم مهرجانات داخل القصور والتعريف بالصناعات التقليدية المحلية والقيام بعمليات إشرافية لهذه المعالم الأثرية وابتكار وسائل جديدة يستفيد فيها الشعب

المصادر والمراجع

- بوسوترو (أوغوست)، ملاحظات حول مدينين: قصر من قصور الجنوب التونسي، التعااضدية العمالية للطبعة والنشر، صفاقس تونس تعريب عبد الرحمان أيوب، 19 ص
- ليسير (لنحي) 1998 - نفس حرس الناصر عبد الرحمان أيوب، ص 194
- 1981 - 1980، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان تونس، 394 ص.
- النويدي (محمد العاصلي) 1996: تصور لصيرورة مكان: إحياء قصور مدينين: أطروحة مرحلة ثالثة هندسة معمارية، المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية والتعمير تونس، 90 ص
- Ben Guerrou H. (2001) Découverte de l'architecture Matmata à Tataouine, Ksour, jessour et Troglodytes Tunis, 78p
- M. A. (2004)
- Zaid A. (1992, p. 115)

الهوامش والإحالات

- (1) أنظر
- (2) نقلا عن أوغوست بوسوترو: ملاحظات حول مدينين قصر من قصور الجنوب التونسي، تعريب عبد الرحمان أيوب 1978، ص -
- (3) نفس المرجع السابق ص. 7
- (4) Louis A 1975, p. 128
- (5) نفس المرجع السابق
- (6) Zaid A 1992, p. 115
- (7) أنظر دراسة محمد الناصر بالطيب 1998، يتفرقا بين التاريخ والتراث ص. 251.
- (8) تقرير التعقيد الجهوية لثراث الساحل الجنوبي

القصور الصحراوية وإمكانية توظيفها في الإنتاج السمعي البصري

محمد عبازة (*)

على ذلك. لقد أثارت الصورة حفيظة العديد من فقهاء الإسلام وعلمائه من السلفية ولكنهم لم يستطيعوا إيقاف هذا التطور التقني على العقلانيات والثقافات، وأصبحت الصورة في المكان الأول، والكلمة في المكان الثاني الطامح إلى تثقيف نفسه وتعليمها. وهذا هو دور الصورة في الحياة المعاصرة والمكتسبات وسوى (الكتاب) ونحوه. كان من المناسب أن نذكر أسباب هذا التعلق أو هذا الغزو للصورة، فهي

(1) أكثر قدرة على التعبير وأكثر إفصاحاً (صورة محمد الدرة الطفل الفلسطيني المقتول)

(2) أكثر قدرة على الإقناع لأن الرؤية والبصر أكثر إقناعاً من السماع (عندنا في الغاية شفت أبلغ من سمعت).

(3) تشجع المستهلك على الكسل، إذ أنّ مستهلكها لا يبذل مجهوداً كبيراً عند استهلاكها فالإنسان عندما يقرأ يبذل مجهوداً في التركيز والمتابعة والجلوس، بينما مستهلك الصورة يستهلكها وهو مستلقٍ على أريكة أو كرسي وثير أو حتى سرير النوم..

عصر الصورة: لا يختلف اثنان في أنّ هذا العصر هو عصر الصورة، إذ أصبحت هذه الصناعة تسيطر على عقول البشر شرقاً وغرباً. ولربما كان العرب أكثر من الذين انخرطت في هذه المنظومة المعرفية، وما زالوا يحسمون أدنى حد من دورهم بين مؤيد ومعارض.

أو لا يجب أن نعترف أنّ حضارتنا هي... في البدء كانت الكلمة والصورة عندنا مُدانة بطر...

بأخرى، وعندما نصوّز فإننا نصوّز بالكلمة، بينما نجد الصورة متجلدة في الثقافات الأخرى سواء أكانت بدائية عند الزنوج: النحت، التصوير... أو أكثر تطوراً كما هو الحال عند المسيحيين. الإسلام وحده من بين الثقافات التي أدانت الصورة وبالتالي عندما هجمت علينا اختلف القوم حولها بين مؤيد ومعارض (وما زالنا نتذكر تحطيم التماثيل البوذية العملاقة أثناء حكم طالبان في أفغانستان ومنعها التلفزيون وكل ما يسيء إلى الشريعة الإسلامية)

وما زالنا نسمع ونقرأ عن قرارات الأزهر ومتمه للعديد من الأعمال الفنية والسينمائية وفيلم المصير أوضح مثال

(*) جامعي، تونس

4) أقل كلفة، الكتاب والمقروء - بشكل عام - سعره في ارتفاع مستمر بينما الصورة سعرها في انخفاض مستمر، وكأنهما يسيران باتجاهين متعاكسين

الباحثون الذي نقبوا في هذا الميدان ابتداء من أرسطو، الذي قال إن التفكير مستحيل دون صورة، وكما قال آبل جاس إتنا نعيش بالفعل عصر الصورة، ورولان بارت النقد الفرنسي المعروف الذي قال إتنا نعيش حضارة الصورة، وذلك في مؤلفه المعروف: بلاغة الصورة (La rhétorique de l'image) «والصورة لم تعد تساوي ألف كلمة، كما جاء في القول الصيني المأثور بل صارت بمليون كلمة وربما أكثر. لقد أصبحت الصورة مرتبطة الآن على نحو لم يسبق له مثيل بكل جوانب حياة الإنسان، ولعبت الموليميديا خاصة التلفزيون والسينما والانترنت وفنون الإعلان والإعلام بشكل عام دورا أساسيا في تشكيل وعي الإنسان المعاصر بالصورة...» (1).

حاصرنا الصورة من كل جانب، في البيت، في العمل، في الشارع، وأصبح الهروب منها مستحالا وكل من يحاول أن يزيحها من طريقه فإنه يفعل كما التي تخفى رأسها في الرمل هروبا من حشد من الضغوط الضرورية التعامل مع الصورة، ولكن في عصرنا معبر تلك القدرة غريبة على التعبير والأداء والحفظ والتخيل، باختصار هي قادرة على صنع المعجزات.

«إن التفكير بالصورة يتجاوز حدود الواقع المدرك اللحظي المباشر، فهو يمكن المرء من استدعاء الماضي ومعاشته كما لو كان يحدث مرة أخرى من خلال استعراض الصور والأفلام التي ترتبط به كما يمكنه أن يفكر في المستقبل ويتصوره وينشط خياله ويصوره. هكذا يتحرك المرء من خلال الصورة عبر إطار زمني ممتد ومنفتح، كما يمكنه كذلك أن يتحرر من القيود المكانية...» (2).

المشكلة المطروحة أمامنا هي كيف نتعامل مع هذه الصورة؟ كيف نوظفها؟ وماذا نصنع بها. للإجابة على

السؤال الأول نقول إن الخطوة الأولى هي أن الصورة ضرورة حياتية، ضرورة حسعية، ضرورة اقتصادية، وهي ينبغي أن نتعامل معها من هذا المنطلق، مطلقا، بمعنى، خاصة إذا قرنا بأن العولمة والانفتاح وانتهاء الجغرافيا وبداية التاريخ، كلام يهم السلع وخاصة سلع الدول الصناعية لكي تعبر وتغزو أسواق الدول الضعيفة. أما على المستوى الشري فإن الحصار يشتد يوما بعد يوم على الإنسان الذي أصبح مجبرا على البقاء في حيزه الجغرافي محاصرا داخل بلده، وهنا لم يعد يجد بديلا ليعمل فيه، والنتيجة ينبغي عليه أن يعمل ويجتهد لإيجاد حل لمورد رزق بلده وبالتالي هو مطالب بالمساهمة في تنمية اقتصاد بلده بما يملك من إمكانيات علمية، ثقافية، فنية، اقتصادية، معرفية، تكنولوجية، باختصار بكل ما يملك من طاقات مادية وروحية وعلمية.

أما كيف نوظفها؟ أولا، يجب أن نكتسب تقنياتها من التكوين والتعليم إذ أننا سنة 2010 وصلنا في اختصاص الإعلام إلى حوالي 50 سنة. كذلك ينبغي لنا أن نحدد الميادين التي هي خاصة بالميادين التي لا تتطلب المادية، وبالتالي ينبغي أن نطلق من ظروفنا ومحيطنا وعاداتنا وتقاليدنا. أما بخصوص ماذا نضع فيها؟ فإننا نجيب - بدون حرج - نضع فيها ثقافتنا وتراثنا وهذا بحكم اختصاصنا. لاشك أن ثقافتنا أصبحت محورا من محاور التنمية في بلادنا، التنمية الاقتصادية والاجتماعية: لقد صارت الثقافة في عصر المعلومات صناعة قائمة بذاتها، الأمر الذي أصبح معه إشكالياتها لا تدن إلى أحداث الصالونات وسجال المتديبات ورؤى المقاعد الوثيرة... (3) ونحن نعتبر القصور الصحراوية جزءا هاما من تراثنا وثقافتنا خاصة أنها ما زالت شامخة تتحدى عدايات الزمن، وعدايات الطبيعة، وعدايات الإنسان الذي اتخرط في الجديد والمستحدث بدون تفكير أو حين إلى الماضي الذي مازال شاهدا على أمه القريب والبعيد.

القصور الصحراوية بين التاريخ والاقتصاد:

التاريخ نعرفه، ووظيفة هذه القصور نعرفها جيدا، فالذين وُلدوا في أواسط القرن الماضي كانوا يرون آباءهم يتعاملون مع هذه القصور، يعمرونها ويحورناتهم المختلفة من حبوب وزيت وغيرها، وبالتالي عرفوا وظيفتها جيدا والحياة بدماها تحري في شرايتها حركة وتوظيفا.

إن هذه القصور تحمل روحا، تحمل عبقا، تحمل ذاكرة جماعية افتقدناها منذ فترة عندما سيطرت الفردانية على عقولنا وانعكست على تصرفاتنا. وانحرفنا في التحديث والتطور والتمدن والحضارة وهجرنا قصورنا، التي بقيت شاهدة على عصر وعقيدة عبقريته وعلى روح وعلى تاريخ وبقيت خاوية على عروشها وروحها معلقة بين ذواها الذين هجروها وتكروا لها، فبقيت بين خواثها وإهمالها وتداعيا للسقوط في بعض الأحيان تستغيث بأهلها الفارين من بين أحضانها. وظلّت روحها معلقة بين هيكليها وذواها تتنّ طالبة إعادة الاعتبار أو الأخذ بأحد من أهلها لئلا تنسى روحها.

معمارية إبداعية بالوسائل المتاحة في كل وقت ومن طوابقها العديدة لم نر أي قصر صليبي أو صليبي العديدة من العمارات التي تفترق المهندسون في التفكير لها وتسليحها بالحديد والإسمنت). عبقريته وهندسة ووظيفة كانت في التاريخ وإلى الآن ما العمل...؟ تمثل القصور كثيرها من تراثنا الكثير والمتعدد والمتنوع من منسوجات، وفخاريات وملابس ومعالم ومواقع وحلي، وصناعات جلدية وغيرها التي يمكن استغلالها وتوظيفها في إبداعات جديدة يمكن أولا أن تُعيد الحياة لهذه الإبداعات اسمها ونسبها، وبعضها نفس حديد وتحديدا جديدا. وثانيا يمكن أن تكون موردا اقتصاديا هاما لمن يقرب منها ويشعر أن لها وجودا في وجدانه وأنها من الأشياء أو العناصر التي تتكون هويته وثقافته وأن يضمها في المكان الصحيح بدون تهريج أو فلكلور يمسح هذه الإبداعات أكثر عما يعيد لها الاعتبار. ولنا مثال سيع في هذا المضمار عندما وقع توظيف هذه

القصور في مسلسل «ماطوس» بحيث أن الوظيفة الرئيسية لهذه القصور قد ضاعت ولم نستطع أن نوظفها كما يجب، إذ أن المسلسل وطفها للسكن حتى تكون قصورا (بالقاف) بينما المسألة لم تكن كما طرح المخرج في ذلك المسلسل. ورغم أن التوظيف في المسلسل كان سيئا إذ أبعدنا عن وظيفتها الأساسية من الحزن الجماعي - بحكم الترحال - إلى مقر للسكن، ومقر مشوّه، ولكن رغم ذلك فإن المخرج قد أعاد هذه القصور إلى الحياة وإن كانت حياة اصطناعية، إلا أنها حياة وليس هناك كارثة أعظم من الموت، وخاصة ليس أي موت بل موت التراث، موت عنصر من عناصر تكوين الهوية والذات والروح والثقافة.

ويمكن لنا أن نوظف هذه القصور في ثلاث إبداعات مرتبطة بالصورة ويكون لها مردود اقتصادي يعود بالفنع على أبنائها الصائعين بين التعلق بها والهروب منها بحثا

١ - المسرح

للمسرح دور كبير في إحياء التراث، منذ إيداعه الأولى ارتبط بالأكروبة وأخذ صفة من صفاتها وهي الخلود. تطوّر المسرح وتراجع دور الكلمة إلى حد كبير في مسرح الصورة وتقدم الدور الخاص بالحركة والصورة بدرجة أكبر وأصبحت المسرحيات تمزج الآن بين المسرح والموسيقى والتلفزيون والسينما وأصبحت المسارح تهتم بدرجة أكبر بمشهدية الصورة أو السينوغرافيا... (4).

اختلطت الفنون المراثية بما فيها المسرح وزيادة عن السينوغرافيا التي يدخل فيها المعمار وفن العمارة، في هندسة ديكور أصبحت الصور الثابتة والمتحركة من المدعّمات الأساسية للعرض المسرحي وهنا يمكن أن توظف القصور الصحراوية سواء في الديكور، أو في خلفية الركن أو في الصور التي تدخل في العرض «إن التلاعب بآرائه الجمهور يتم في المسرح وكذلك في

والإضافة، وعندما توافقه إبداعنا من تراث معماري وملابس ومفروشات وإكسسوارات مختلفة يستطيع من خلالها أن يضيف إلى تميزه الحرقي المسرحي تميزاً آخر على مستوى الديكور والملابس والإكسسوار. لكن المشكلة هي أنّ مسرحنا لا يعترف إلا بتراث المدينة ولذلك ينبغي أن نبحث عن يحمل في طيات روحه هذا التراث، لأنّ جذوره تمتد في هذا التراث حين يوظفه في المسرح، وبالنسبة يكون هذا التراث قد استعاد حياته وأصبح عاملاً من عوامل تنمية الجهة.

2 - السينما :

السينما أكثر قدرة من المسرح على الانتشار (المسرح مؤسسة تقليدية والسينما مؤسسة تكنولوجية) وأكثر قدرة على نقل هذا التراث إلى صميم إبداعه لأن الآلة تبعد عنه عن نقل ما شاء وأراد، والصورة المعينة تمثل ما كان. قدرات لا تقارن بالصور الحية التي نراها في المسرح لأن الصورة في السينما تستطيع أن تنتقل في المسرح لا يمكن ذلك. حيث أنّ

تعتبر التكنولوجيا وسيلة سحرية لنقل الإبداع إلى عوالم مختلفة، غريبة الأطوار، بعيدة عن الإبداع التقليدي وإمكانياته المحدودة. وهنا لا بد لنا أن نستغل سحرها من بشر إبداعنا مع السينما، فقصورنا يمكن أن نحرق قصصاً رائعة مميزة يستغلها المخرج عصراً من عصره لا عبثاً معزف بها ويعزف بمدعيها ومصمميها ومستعمليها وثقافتهم ولباسهم وحليهم ومنسوجاتهم، باختصار كل الإبداعات التي أنتجت هذه المجموعة

السينما والتلفزيون من خلال ذلك الموج الخاص بين الصورة والحركة والصوت والإضاءة... (5)٤.

إنّ المخرج وحاشا من حلال إضاءة الديكور قادر على أن يعطي هذه المعالم حياة جديدة بعيداً عن المتخفية، ويمكن أن تكون دافعا لمن شاهد هذه القصص في الصورة وهي في إخراج جميل وإضاءة مدروسة قادرة على إبراز البعد الجمالي في هذه الهندسة المعمارية الفريدة، وبالتالي تكون دافعا لمشاهدتها في بيتها وموقعها عندما تنأح للمشاهد الفرصة. يعتبر دور المخرج أساسيا في هذه العملية إذ أنّه بحرفيته وفنياته وحسه الجمالي والوسائل التقنية الموضوعة على ذمته أو الخيل المتاحة لتدعيم معنى الرسالة البصرية، منها استعمال تقنية الحركة البطيئة في المسرح ضرورية إذ «الهدف من هذه الحركة هو إبطاء تصاعد الحدث أو التنازع للصور من أجل جعل المشاهدين أكثر قدرة على ملاحظة التفاصيل وإدراكها، كذلك من أجل الإيحاء بمعانٍ خفية محسنة قد تسيطر بالقلق أو التدهاء التاماً من سماعات...» (6)٤.

بامتياز، ومن الحوار بامتياز ولا بأس أن يتحاور إبداعا المعماري مع الآخر، مع المخالف، مع المغاير، المهم أن يثبت وجوده ويثبت قدرته على أن يكون جميلا، قادرا على الحياة، قادرا على أن يستقطب انتباه الناس (من حيث التخطيط، من حيث الارتفاع، من حيث الوظيفة، من حيث التحدي والشموخ، تحدي الطبيعة والإنسان والزمن)، ولربما بهذا التوظيف في الفن المسرحي أو غيره من الفنون «تستحضر ثقافتنا أمام جحافل ثقافة العولمة الوافدة وسلسل منّا نصوصنا وتراثنا وتناج إبداعنا تحت دعوى مزج الثقافات وحوار الحضارات...» (7)٤.

باختصار، إنّ مسرحنا استطاع أن يتجاوز حدود الوطن ليصل إلى العرب شرقا وإلى الغرب بكل فروعه من ألمانيا إلى فنزويلا، ويكتسب قدرة على الإقناع

الاجتماعية، وهم يروجون للقوضى والتلقائية ويشرون
الرغبات الجامحة على حساب سيادة العقل» (9).

الوسائل التي تنقل تراثنا، ومنها السينما، التي
نجهلها لأننا نحقرها وبالتالي سوف نفى تحت رحمة
العارفين بها والذين لم يحسوا بهذا التراث كما نحس به
نحن الذين خلقنا بين أحضان الدافئة. هناك متغيرات لم
نعمهما ولم يفهمها أهل الجنوب الشرقي إذ أنهم مازالوا
يعتمدون على الوسائل القديمة.

طلبة من الجنوب الشرقي في الموسيقى، في المسرح، في
الرقص، في السينما... إن هذه القصور لابد لها
من محسن فنية تُعيد لها الحياة وتصبح عاملا أساسيا
من عوامل النهوض للجنوب الشرقي، ويمكن أن تكون
منصة انطلاق للبحث عن هوية الجنوب موروقة لأبنته،
والتجارب أن هذه المهن تدر أموالا طائلة على
الذين يمارسونها بحسب الحاجة وإدارة.

لوجيا وآلاتها المختلفة نقلت المسرح إلى
السينما، وما هي تكنولوجيا المعلومات تستغل السينما
في الوسائط واختلطت الكثير من المسائل
التي كانت تخص السينما والإعلام المرئي
والسمعي الإذاعي الأخرى التي أمكن
الكل اختلاط لتعطي مزيداً من الصور
ومزيداً من التوجيه لهذا الإنسان الذي أصبح مدمن
على التمايز وهو مجبر على التعامل معها بطريقة أو
بأخرى.

قُصرت السينما والإعلام كذلك في نقل قصورنا إلى
خارج الوطن وحتى إلى داخل الوطن إلا في بعض
المناسبات النادرة مثل مناسبة مهرجان القصور، وبالتالي
تخترق حدود وطننا حتى تصبح ذات مردود اقتصادي
سياحي أو غيره، وهذا يقتصر متى نحن أبناء الجهة لأننا
لم نسم بالإبداع، فالتقدم تراثنا إلى الناس وإدراك
لم تقدمه نحن فمن يقدمه؟ غيرنا!! لماذا؟ بساطة لأن
احقرنا الفن، احقرنا الفنون جميعا بأشياء الشعر وما
كان إلا أن همّنا أنفسنا وهمّنا تراثنا.

البشرية وخيالها الجمعي كلنا يذكر الشهرة التي حققها
فيلم «حرب النجوم» للمخرج الأمريكي الذي وقع
تصويره في الجنوب الشرقي. إن هذه الخصوصيات الفنية
والإبداعية والثقافية نفتخر بها باعتبارها جزءاً من تراثنا،
جزءاً من روحنا ومن هويتنا، يمكن أن تكون ميزة على
غيرنا من سكان البلاد التونسية، في الشمال الغربي مثلاً
لا نجد مثل هذه الخصوصيات التي أسّس العالم المعولم
يبحث عنها لأنها تمثل شيئاً مغايراً شيئاً مخالفاً. فالعالم
اليوم يبحث عن التمايز والخصوصية لكل جهة سواء
كانت في الأكل أو اللبس أو الفنون وهذا ما يُصطلح
على تسميته بالفرنسية (les produits du terroir). وهذا
يساعدنا على النهوض بجهتنا اقتصاديا في ظروف لم
تعد الهجرة عمدة كما جرت العادة عند سكان الجهة
بحكم فقرها وقساوة مناخها وعنف طبيعتها، ولكن
قلوب أهلها كبيرة وخيالهم تمتد امتداد الصحراء وكرمهم
وشهامتهم يتحدث عنها القاصي والدني إن توليف
القصور في السينما التونسية وغيرها من
الحدث وهذا جهل فادح ونقص
جهل بأن مهنه شريفة، ما زالت متكبدة
عندنا، إلى اليوم، هو غير أخلاقي
أثناءها إلى المهن الفنية لأنها محقرة عندما وعقلنا عقلية
فقهية بالأساس، كما ذكر الأستاذ خليفة التليسي، نحقر
الفنون ولا نحترمها، وبالتالي لا نحترفها، والنتيجة
رئيسية ما زال لم يلق حظها من الزواج وهذه مهمة لا
يمكن أن يقوم بها ويقتنها إلا صاحب العلاقة لأنه يعطيها
من دوحه وإحساسه وعواطفه، باختصار ينقلها بصدق
ومحبة وبروح العارف، بروح الجذور وعطر الهوية
وبخور العادات والتقاليد.

كما نرى أنه من الضروري أن تتغير عقليتنا وننظر إلى
الفن نظرة أكثر تسامحا وأكثر احتراما وأكثر إقبالا لأننا
-مع الأسف الشديد- مازلنا نهمل الفنون. وعموما فإن
نظرتنا إلى الفن فزاعرة بالانتهامات والنقد اللاذع.

في هذا الحقل وسنرى في هذا السور من المحطات

الالتفات إلى تراثنا، إلى ذكرياتنا إلى إمكاناتنا الذاتية لتدبّر مورد رزقنا، فالحصار مضروب حولنا، الفقر أماننا والأعداء خلفنا.

نكره الفن ولم نترب عليه، معقول جدا، هذه عقليتنا وتغير العقليات صعب، فلتجّه إلى تكنولوجيا المعلومات ولتسلّح بها ولتلتفت إلى تراثنا فهو معين لا ينضب وخاصة إذا عرفنا كيف نعيد إليه الاعتبار عن طريق توظيفه في إبداعاتنا، نحن أصحاب الشأن وأصحاب القرار وعلى ذلك فليتفنن المتنافسون.

حتى تكون ذات مردود اقتصادي وثقافي وحضاري نحن في أمس الحاجة إليه لأننا أصبحنا نعيش حصارا ثقافيا انقذت محاصرة لأنّ العربي منهتم وحصارا اقتصاديا لأنّ مصاعنا غير مدعومة بألة عسكرية رهية ولا تلك تقاليد إنتاجية عريقة وحصارا اجتماعيا لأنّ الهجرة التي كنا نعتمد عليها منذ أقدم العصور باعتبارها مصدرا من مصادر رزق التونسي عموما، وخاصة في الجنوب الشرقي، فقد وقع التضييق عليها أو انعدمت، وبالتالي لم يعد أماننا من خيار سوى

الهوامش والإحالات

- (1) شاكر عبد الحميد: عصر الصورة، عالم المعرفة، الكويت، 2005، ص. 7.
- (2) نفس المصدر، ص 9
- (3) شاكر عبد الحميد: عصر الصورة، مختصر مذكور، ص. 302
- (4) نفس المصدر، ص 260
- (5) نفس المصدر، ص 1
- (6) د/ نبيل علي: الثقافة العربية وعصر الصورة، مصدر مذكور، ص. 240.
- (7) نفس المصدر، ص. 481
- (8) نفس المصدر، ص. 481.
- (9) نفس المصدر، ص. 488.
- (10) نفس المصدر، ص. 484.
- (11) نفس المصدر، ص. 488.
- (12) نفس المصدر، ص. 492.

أطلس القصور بالجنوب التونسي (*)

تأليف هريرت بوب وعبد المتاح الفاضل

حول القصور باللغة العربية، وهي ثغرة تحتاج لمن يملؤها من الباحثين الشبان.

دراسة كمال لمروسي باحث الأنثروبولوجي محمد المصطفى القاحلة بمذنين محاولة أولى لتقديم شامل لهذا التراث المعماري ثم جمعه في شكل قوسى صليب (3). ورغم وجود بعض الدراسات الحديثة التي تناولت هذا الموضوع، إلا أن هذه الدراسات تبقى محدودة. أثبت أنه عالم معقد ومتشعب ويستدعي تضافر جهود عدة باحثين من تخصصات علمية مختلفة للإحاطة بجوانبه المختلفة.

وفي مجال عمارة القصور على سبيل المثال تبين أن اشتراك عدة كفاءات تونسية وإيطالية سمح بإنجاز دراسة قيمة، مكنت من إبراز خصوصيات وميزات هذه العمارة (4).

وفي مقابل هذا العدد المحدود من الدراسات الأكاديمية فإن قصور الجنوب التونسي حظيت باهتمام كتب الإرشاد والدعاية السياحية وكذلك مواقع الانترنت

بمؤلفات العلمية حول قصور الجنوب التونسي قليلة. ولا يزال كتاب أندري لوي حول القصور والقرى الإنجليزية بالجنوب التونسي الذي صدر سنة 1975 مرجعا مهم (1) وهو يتميز بمقاربة شاملة للدراسات والأشياء التاريخية التي استعمارية، وأثارها بمقدمات، وأثارها بمقدمات، وأثارها بمقدمات. لذلك فإن الكتاب يمثل م. التحولات السريعة التي شهدتها قصور بعد الاستقلال.

غير أن التركيز على الشاخص والصراع بين الميراث في هذا المجال الشبه صحراوي يبدو مبالغ فيه. لذلك فإن الكتاب الذي ألفه زايد عبد الصمد أستاذ الأدب والحصانة العربية حول عالم القصور يمثل محاولة معتدلة هذه النظرة (2). واعتمد المؤلف بشكل كبير على التاريخ الشفوي والزيارات الميدانية وركز بشكل خاص على الأبعاد التاريخية والاجتماعية والثقافة لعالم القصور. إلا أنه لا يوجد لحظ الآن مرجع شامل

(*) تقديم كتاب «أطلس القصور بالجنوب التونسي» وهو من تأليف أستاذ الجغرافيا، ألاماني هريرت بوب والخاصي الترسي عبد المتاح الفاضل

إلا أنها تقدم في الغالب معلومات سطحية وأحيانا مشوهة عن هذه المعالم.

وفي كل الحالات فإن ما كان ينقص لحدّ الآن هو إحصاء شامل ودقيق لجميع قصور الجنوب الشرقي وقراءة تأليفية لهذا التراث من مختلف أبعاده التاريخية والجغرافية والاجتماعية والمعمارية والثقافية. ويمثل كتاب أطلس قصور الجنوب التونسي أوّل محاولة جادة لتحقيق هذا الهدف (5).

أغزى الكتاب في إطار برنامج بحث تونسي ألماني ولفه جغرافيان: الأستاذ هربرت بوب من جامعة بايرويت الألمانية والأستاذ عبد الفتاح القاصح من جامعة صفاقس. ويبرز إعطاء الأولوية للمقاربة الجغرافية من خلال القيام بإحصاء شامل لجميع القصور الموجودة في الجنوب الشرقي والتركيز على تحديد مواقعها وتمثيلها حرائطيا وإبراز خصوصيات مواضعها بالاعتماد على الحرائط الطبوغرافية وصور الأقمار الاصطناعية وإحداثياتها الجغرافية. وهو ما سيمتد إلى الأجيال القادمة.

ويتضمن الكتاب بابين رئيسيين:

- في الباب الأول تم تقديم قراءة جسيمة للقصور من مختلف الجوانب: الطبيعية والتاريخية والاجتماعية والمعمارية والوظيفية. ويتبين من خلال هذه القراءة أن ظاهرة القصور تنتشر في التخوم شبه صحراوية بالمغرب العربي. وهي منشآت مبنية تمثل وظيفتها الأصلية والأساسية في تخزين المحاصيل الزراعية لمجموعات السكانية التي تعيش في هذه التخوم، سواء كانت بدوية أو مستقرة. فالقصر هو عبارة عن مخزن جماعي ولكن داخله تكون خلايا الحزن، أي الغرف، ملكا لعائلات وأفراد. وهو ما يمثل توازنا فريدا وطريفا بين الفرد والمجموعة.

وتواجد القصور في هذه المناطق الجغرافية ليس

من قبيل الصدفة فهي أقاليم تتميز بالجفاف وعدم انتظام الأمطار ممّا يؤدي إلى عدم النظام الإنتاج الفلاحي وهو ما يستلزم تخزين المحاصيل الزراعية ليتم استهلاكها طيلة سنوات عديدة. وتُمثل هذه المخزونات الغذائية مطمعا للغزاة ونظرا لبعدها عن الأقاليم عن مركز السلطة السياسية فإن سكانها بحاجة مستمرة إلى الدفاع عن الذات من أجل البقاء. لذا فإن العصر يتخذ شكل بناية حصينة يقوم على حراستها من تكلفه المجموعة بذلك وعند الحاجة يتحول القصر إلى ملجأ آمن بإمكاناته الصمود. وبالنسبة للمجموعات البدوية ذات نمط العيش الترحالي فإن القصر يستخدم أيضا لحفظ الأدوات الفلاحية للتخفيف من ثقل الأحمال عند الترحال.

وهكذا فإن القصر يمثل ضرورة للمجموعات البدوية - سكان صحراء مصر وشمال ليبيا - ويتبين من خلال التحليل التاريخي أن القصر لم يكشف عن نشأته الحقيقية. فالاعتماد على وثائق بالصورية والتي تؤرخ ببناء القصر بسنة 480 من وفاة الرسول (أي ما يطابق سنة 490 هجرية وسنة 1096 للميلاد) يشير إشكالية بروز القصر كمعلم متكامل الهندسة والمعمار وجاهزا للاستخدام منذ نشأته الأولى. لذلك فالأرجح أن للقصور جذورا ضاربة في القدم وأنها شهدت تطورا مستمرا مستلزمة من مؤثرات حضارية ومعمارية عديدة ساهم الموقع الجغرافي بين حوض المتوسط والصحراء الكبرى في بلورتها وتطورها عبر العصور. وتُمثل دراسة القصور في محيطها الجغرافي وسياقها التاريخي إحدى الإسهامات المميزة لهذا الكتاب.

والتيبة هي المؤسس والمتصرف والمستفيد من مؤسسة القصر. وخلافا لقصور المغرب الأقصى والتي يطلق عليه

النماء وتطويرها لتلبية حاجاته الأساسية. وقد ساهم تطور تقنيات البناء في استخدام مواد بناء جديدة وأساليب مستحدثة لبناء الخرف إلا أن القصور حافظت عبر التاريخ على خصوصياتها المعمارية وجماليتها التي تتحدى الزمن.

ورغم هذا التنوع والثراء فإن جميع القصور شهدت تراجعاً تدريجياً في وظيفتها الأصلية انتهى بها في الأخير إلى الإهمال والخراب. ويمثل انتصاب الأمن وانتفاء الحاجة للدفاع الذاتي وتفكك الروابط القبلية أهم العوامل التي ساهمت في التخلي التدريجي عن القصور كمخازن جماعية.

غير أن موقف السلطات العمومية منذ عهد الحماية وكذلك بعد الاستقلال عجل بتدهور القصور وخرابها. فالقصر كرمز للتسيير المحلي والاكتفاء الذاتي والسيطرة على المنطقة ... تسعى إلى كسر سلطة مركزية من سلطة ... من السعيد والنفاء ... لذلك فإن مفهوم السائد للحداثة لدى النخب التي ... يتناقض مع ما ترمز إليه القصور التي وُصفت بالعادات وتحمك بمنطق العيش ... أمام هيمنة التصور الجديد للحداثة وحركة التعمير والتعمدين التي شهدتها المنطقة تدخلت الجرافات لتزيل عددا كبيرا من القصور العريقة وتلتسع المجال لنمو حضري سريع وعشوائي شمل بالخصوص مدن مدين وجرجيس وبنقردان وبنو خدّاش، ولحسن الحظ فقد حافظت عديد القصور النائية والممتدة على طابعها الأصيل والمميز إلا أنها لم تسلم من الإهمال والخراب.

وخلال السبعينات من القرن الماضي تفتن البعض إلى القيمة الجمالية والفنية للقصور. ومع تنامي السياحة كخيار تنموي ورائد أساسي للتشجيع الإقليمية وقعت محاولات لترميم بعض القصور وتوظيفها سياحيا ولكن بقيت هذه المحاولات محدودة ولم تحقق

إسم الأغادير (جمع إيفودار) وإيفرم (جمع إيعرمان) والتي تنتمي لمجموعات قبلية كبيرة وشهدت استقرارا في تركيبها الاجتماعية لعترات طويلة، فإن الجنوب الشرقي التونسي يتميز بتواجد فسيفساء قبلية وتغير مستمر في التحالفات والولاءات وهو ما أدى إلى تعقيد كبير في الوصع العقاري للقصور وحقوق التملك داخلها.

ورغم ما يبدو من تشابه بين القصور واشترك في مكوناتها الرئيسية مثل السقبة والساحة الوسطى والغرف والطواق فإن قصور الجنوب التونسي تتميز بالثراء والتنوع باختلاف الأوساط الطبيعية والظروف التاريخية والبنى الاجتماعية. وتشير الدراسة إلى نقائص مختلف التصنيفات المعتمدة للقصور مثل التصنيف الطبوغرافي أو التاريخي أو القبلي أو المعماري أو الوضع الحالي لبناءات. ويمثل تصنيف القصور إلى ثلاث مجموعات: قصور القمم وقصور الجبال وقصور السهول، أفضل التصنيفات للتمييز بين مجموعات لها خصائص معمارية وموضعية مشتركة.

تصنيف القصور إلى ثلاث مجموعات: قصور القمم وقصور الجبال وقصور السهول، أفضل التصنيفات للتمييز بين مجموعات لها خصائص معمارية وموضعية مشتركة. البربرية القديمة والمساكن المنقورة في الصخر دفاعية. ونظرا لضيق المساحات التي شُيِّد فوقها فهي توسعت عموديا وتعددت طوائفها

القصور الجبلية تقع أيضا فوق المرتفعات إلا أنها أقل حصانة وأيسر بلوغا وهي تشرف على الوديان والسهول المجاورة وتهيمن على مجالات زراعية ورعوية متنوعة ويكون السكن مشتتا على أطرافها.

أما القصور السهلية فهي الأحدث والأقل ارتفاعا ولا تمتلك خاصيات دفاعية بل تعدد فيها المنافذ والأبواب وأنشأتها المجموعات البدوية التي استقرت حديثا محاكية في ذلك القبائل والمجموعات المستقرة منذ القدم.

وغثت عمارة القصور درسا بليغا في تأقلم العمارة مع معطيات البيئة المحلية وتحكم الإنسان في تقنيات

التنمية السياحة المنشودة. وبقي التوظيف السياحي للقصور مقتصرًا على الزيارات العامة والنقاط الصور والفرح.

وفي السنوات الأخيرة غما الوعي لدى النخب وعديد الجماعات المحلية والجمعيات التنمية بالقيمة التاريخية للقصور وإمكانية توظيفها في سياحة ثقافية راقية وإغاز تنمية محلية تحقق المصالحة بين التراث والحداثة. لذلك تعددت مشاريع صيانة وترميم القصور، وصيرت مبادرات جديدة من الخواص والجمعيات التنمية توظف القصور سياحيا وثقافيا وتنموي.

وتتل فترة الحالية مرحلة هامة ودقيقة في حياة القصور فبعد ما يتجه إلى الخراب والزوال النهائي أصبح القصور بشكل كلي وشامل والبعض الآخر بمرميه دون تصور مسبق لما يمكن عليه استخدام المستقبل. فالقصور اليوم هي تراث ثقافي وفكري باني يحفظ للأجيال القادمة. وفي ظل الحزبون التراثي الفريد بحاجة إلى حماية وتطوير وتعددية الأهداف هي التي سعى إلى تحقيقها. وبأبه الثاني

يتميز الباب الثاني من كتاب أطفال القصور بالجانب الترميمي الجزء الأكبر من الكتاب ويتضمن وصفا دقيقا وتفصيليا لـ 92 قصرا. وتبعت نفس ناحية في عرض كل قصر فالجمعيات المندمة تتضمن اسم القصر والاسماء الأخرى التي اشتهر بها أو كتب في المراجع والمراجع والمراجع الإحداثيات الجغرافية القصور اعتمادا على المنظرمة والموقع الإداري، وطريقة الوصول إلى القصر، والمحيط المجاور للقصر، تاريخ بنائه، والامعاء انقلي، وعدد غرفه وعدد الطوابق، وعدد الابواب، وأمانة سمائية لحانية للقصر ومؤهلاته السياحية.

وبالنسبة لهذا العصر الأخير وحرصا من المؤلفين على تنمية سياحة ثقافية راقية ومسؤولة، فقد تم تصنيف القصور حسب حداثيتها السياحية إلى قصور جديدة في كل الحالات بالزيارة وقصور تستحق الزيارة وقصور تحجب اهتمام السائح وأخيرا قصور ليست ذات قيمة سياحية بسبب الخراب أو الشويه الذي لحقها.

وبالإضافة لهذه البانات تتضمن الصفحات المخصصة لكل قصر صورة للقصر مأخوذة بالقرن الاصطناعي خريطة جيوغرافية تفصيلية للقصر في محيطه المحاور من الصور الملونة المأخوذة من مختلف الجهات.

كما يشمل تقديم بعض القصور نسخا من بطاقات بريدية تعود لبدايات القرن الماضي ومن الجاريف أن قصر النخلة عدلين تم توثيقه ببطاقة بريدية قديمة تبرز مختلف مكوناته إلى جانب هذه الصورة صورة حديثة لما تبقى من قصر النخلة... وهي

والهدف من هذا الكتاب هو تقديم صورة شاملة عن القصور الجزائرية من حيث القيمة التاريخية والثقافية والبيئية والاستخدامات الحالية والتهنات المستحددة والمواقع السياحية.

وحتى يتسنى التحديد الدقيق لهذه القصور دس محالها الجغرافي وضعت خرائط شاملة وعصيبية رسمت فوقها القصور مرقمة وهو ما يسهل عمليات التعرف عليها والوصول إليها. ويتضمن الكتاب فهرسا دقيقا للقصور المذكورة ولا تنسى رغبة المراجع على الدراسات والمقالات والبحوث التي تناولت قصور الجنوب التونسي لم تتجاوزها لقصور المغرب العربي بما في ذلك ليبيا وإيجوات والمغرب.

تم إنجاز الخرائط به فائقة في جامعة بايرويت الألمانية. كما أن الصيغ تم بشكل ممتاز ورفع بأدبها

تحقيقات علمية مستحدرة في مجالات السياحة والتراث والتنمية والسياح الراغبين في الاستكشاف
 زائري جميع المواقع التاريخية في عدة بلدات شائعة
 مدينة تونس فريد حيدر دحفة وإحياءه وتوثيق

حسب أحدث مؤلفات علمية وهو ما أكسب كتاب
 قيمة علمية وشعبية فريدة.
 ومجموعة من المؤلفين
 مؤلف وثائقه فريدة وهو يعدّ مرجعاً في مختلف

الهوامش والإحالات

- 1) André Louis, Tunisie du Sud, ksars et villages de crêtes, CNRS Paris 1975, 370p.
- 2) *Archives de la Tunisie des ksars du Sud tunisien*, Bibliothèque de la 1992, 268p. 2ème édition sans mise à jour. Centre de Publication Universitaire Tunis 2006, 236p
- 3) Kame, Laroussi. CD interactif Panorama des ksars du Sud Est tunisien, 634
- 4) Munnella Arena & Paola Raffa (éd.), *Ksar della regione di Tathouane*. Edizioni Kappa Roma 2007
- 5) Herbert Popp et Abdelkettah Kassab, *Les ksars du Sud tunisien*. Atlas illustré d'un patrimoine culturel; Bayreuth Allemagne 2010.

ARCHIVÉ

حوار مع القصر

المبروك الحمدي (*)

ريت كيف جو اقصورنا يتنادي

وجود قصرنا من العادة

مجهول للفلاح يحفظ زاده

صوت الوفاء صار حبي

يا قصر

يا قصر حوز الحطري وصحب

يا قصر حبي

يا قصر غير نخرجك سامحني

نستريح

وقدناش حفرنا ساسك

ووقدناش بنايك ضبط قياصك

أووقدناش بوجودك اهتموا ناسك

بيتك شمع شيد على معتدلة

يا حراسك

يا قصر حج ورعنة نصب مبدلة

يا قصر حبي

يا قصر حبي

وجعلوك مركز حج بين اسنو

وقدناش في وسطك اعروش التنو

كثير جمعهم ولا قنبر عداة

وكوش غل المصحة بننو

وبعضوش قيمة محكم و سادة

يا قصر حبي

قدناش بيك اعتزوا

وقدناش حراسك جفروا وخزوا

يا قصر ما اتخفيني

يا قصر سار يرمك حوبي

يا قصر بحث بهرو قزبي

اليوم حيث غير بطنين شهادة

يا قصر من وقدناش سورن مبني

وأش عشت في عمرك هناء وسعادة

يا قصر حبي

(*) قصيدة منشورة في مجلة "الحوار" العدد 144، ص 144. في نسخة منقحة من نسخة "الحوار" العدد 144، ص 144. القصيدة منشورة في مجلة "الحوار" العدد 144، ص 144. القصيدة منشورة في مجلة "الحوار" العدد 144، ص 144.

وقد اش دخولك حول ايدزوا
وقطعوا صحاري واسعة وحماة
وقد اش في عصرك رجال غزوا
محاسن ايديهم للعطاء مذاة

يا قصر خوذ ابجاهي
يا قصر عشتش في حيائك زاهي
في ما مضى كانوش فيك متاهي
وناس إلى يحبوا الفن والعودا
ولا بوادي يكتفوا بالشاهي
وبعطوا الكرم للضيف وقت اقصادا

كانوش فيك سقايف؟

كانوش فيك سقايف
وغتوش في وسطك عبيد نوبيد
وحفلوش فافراحت بنات عقايف
بحوا عس ساسا
ودخلوش ميدانك اصحاب وظايف
القبايد وشيخ المنطقة وافرادا

دخلو كشي قومية؟

دخلو كشي قومية
وقسوات وعساكر افرنساوية
وشواش محنوفين بمخازنية
وقبطان تتباقص النجوم اقراة
وهوكة الجماعة لي يخدموا سرية
شواشيد عند افرانسا قواة

يا قصر في انتظارك
يا قصر جابوب نستع لاخبارك
يا قصر مارشيتش خضمر ومعارك
نهار دعة امر صويغ واللياة
يا قصر وضخلي جميع اسوارك
ذبل كست ولا النعيش ذات سيادة

النصر قال اصبر
انحضر جوابي وزشداك وانخبر
تكفنت يا شاعر عليك انعبر
احب التزية وتنتع بارشادة
كيف الصلاح كيف الطغى وتجبر
ليه عمر لازم ينتهي باعدادا

فرات بين انجوعبي
امجد فحوجي وصحري دروعبي
http://www.arsiv.com
وصوف الغنم والزاد والزوا
تمر كزت وانتشرت مشيت افروعي
من الزاس حتى الشارب السوا

نعطيك معلوماتي
وقصة ضيلة محصصة حبيتي
والفت اسماعك للخبر الاتي
قراين عمري واربعين زياد
وليام تكبس عالذكر والعاتي
وترخف عللي يزحفوا مزاد

لَبِئْسَ وَغَرِبَهُ

لَبِئْسَ وَغَرِبَهُ

ذَا عَشْتُ يَا شَاعِرَ انْشَوْفَ عَجِبَهُ
صَنَادِيدُ يَاسِرٍ كُتِبُوا مَرْكَبَهُ
بَيْنَ النِّقَنِ وَالنَّصْرِ وَاسْتِشْهَادِهِ
إِذَا تَوَرَّوْا اِبْدُورُوا عَلَى صَاحِبِهِ
يَخُونُوا الْعَوَاهِدَ يَعْكِسُوا مَرَادَهُ

فِي مَرَحَلَةِ شَبَابِي

فِي مَرَحَلَةِ شَبَابِي

حَيَاةٌ عَزَّ كُنْتُ اَنْعِيشُ فَوْقَ هَضَابِي
تَرْفُفُ عَلَيَّ رَايَةُ الدِّيَابِي
فِي ظِلِّ هَيْبَةٍ نَجْعَنَا وَقِيَادِهِ
وَفِيمَا اَنْتَصَفَ عَمْرِي عَمِلْتُ اِحْسَابِي
وَلَبِئْتُ نَشْأَةً بِالْخَطَرِ وَابْتِادِهِ

لَنْكَارِ مَنْبَى حَارَتِ

وَلَبِئْسَ بَنَكْدَهَا عَلَيَّ دَارَتِ
دَخَلْتُ غُلَيَّ اِفْرَاسَا يَكْرَارَتِ
وَجَبَّوْشَهَا تَصْعَبُ عَلَى الْعَدَادَةِ
وَقَتْلُهَا اَتَالِي لُعْبَارِ الْفَارَتِ
الْفَارِسُ يَمُوتُ الصَّبُعُ فَوْقَ اَزْدَادِهِ

زُدْتُ عَلَى حَوَانِيَتِي

وَدَخَلْتُ رَحْتَ الْحَيْلِ فِي كُنَابِيَتِي
وَشَعَلْتُ حَرَابِقَ فِي التَّمَنِّ وَزَيْتِي
دَخَاخِينَ لَهَبَتْ نَارَهَا وَقَادِهِ

إِلَى الْآنَ تَاجِدُ أَثَرَهَا فِي حَيْطِي
شَطْرَ قَرْنِ صَايَغٍ فِي الْحَيْوِطِ سَوَادِهِ

حَيْثُ كَرَّ صَعُوبِهِ

مَنْعِينَ الْمُدَافِعَ تَوَضَّوْا الْقَارِوِيَّةَ
خُشْدَ نَجْعِنَا وَرَزَمْتَ أَطْبُولَ اِحْرُوبِهِ
تَحْمَسُ بَرَزَ بَرَهْنَ عَلَى اسْتِعْدَادِهِ
وَلَقَعْنَا جَتَ اِمْحَدْرَةَ مَصْلُوبِهِ
طَبُورَ دَمَرٍ فِي جَيْشِوْا الْقَطَا صَبَادِهِ

اَنْتَشَرَتْ خُصْرُ وَمَعَارِكِ

كُلَّ بَطْلٍ غَامِرٍ وَانْدَفَعَ وَشَارِكِ
الشَّيْخَ لَبِئْسَ الْوَلَدُ اِمْبَارِكِ
وَالْحَاجَّ وَبَنِي مِثْلِهِمْ قَذَّادِهِ
النَّاسُ اَلِي يُمُوتُوا اَضْبَعُ فَوْقَ الْحَارِكِ
وَلَا حَكْمَ لِسُتَعْمَارِ وَاسْتِبْدَادِهِ

حَرْبٍ عَقِبْلِهِ

وَحَسَّ الْهَزِيمَةَ نَجْعِنَا تَقْرِنَلِهِ
وَقَرَّرَ وَطْنَ اِطْرَابِلِسَ يَهْرِنَلِهِ
وَتَطْلَمَانُ فِي الْفَطْرِ الشَّقِيقِ اَوْلَادِهِ
تَرْقَعُ خَطَرَ اِيطَالِيَا مِنْ قَبْلِهِ
اَسْتَسْلَرَ رَجَعَ مَقْهُورٌ مَالَهُ رَادِهِ

أَمْسَتْ نَوَ شَكْمِهِ

حَمْدُ عَجَبِ عَدَا اِهْرِيْمَةَ سَلَمِهِ
مَقْهُورٌ عَايِشٌ فِي ظِلَامِ اِمْظَلَمِهِ
بَذَلَ جَهْدَ لَا كُنْ خَابَ فِي اجْتِهَادِهِ

تعاثت من نكسه شديد مرضها
على يد صاحب مَقْدَرَةٍ وِبرادة

رفع اسم تونس مغريق قذها
دحر خصر قلع ملوطن ازصاده

أوهام زالت مني
استبشرت ولّي خاطري متهمي
تونس خذت الداخلي وشملني
وخابت تويا مُنْفَصَة خُصاده
تراب عسكري كان العدو جاعلني
وقال الحنوب أسقلدين افلاده

عشنا علو هالضيفة
حياة ذل في الباطل انعيشوا جميعه احشاكرا
وكابس عليا الحصر ومحاطيه
والنسر غلب على
والضفر لحي
ولكنه رجع، مت الرسن وقاده

ولّي اعترف الزامل
ورافق على استقلال تونس كامل
من الساقية الفارة عمر الهامل
لطرابلس لأقصى البحر وابعاده
عقر وطننا جر الفرح الشامل
والفضل للدستور ولّي قاده

قدّاش باش انخرّف؟

وأنا مريض ابغضني تتألر
إضرر اخبالي واقطع جَدّاده

تصاصيت لإخر درجة
أحوال تاعبة ياتي الكرم إيفزجه
سكت جس نجحي لا تحصر لا هرجة
طقو الجمر عتب فلحقر زماده
وخيس عليه الحصر رامي سرجه
وشوك اركابه ولخ في ملهاده

سنا على هالضيفة

عشنا علو هالضيفة
حياة ذل في الباطل انعيشوا جميعه احشاكرا
وكابس عليا الحصر ومحاطيه
والنسر غلب على
والضفر لحي

دار النملك بسانواره
وتحسيت بغبرني فرح وابشاره
رض وديري وفارحه وكساده
وكل ما صيرنا ما مشاش خسارة
جي يوم نشنا المرض وانكاده

هاذي صور نعرضها

سادي صور نعرضها
رمو حال نرضى وغبتك نرفضها

وكل من مشي مني رجع في محافل
 خذيت اسر في الخارج وتيل سعاده
 وكل يوم تدخل من جديد قوافل
 تنزع وتملي صادرة ووزاده

انظنه جوابي كافي

انظنه جوابي كافي
 تمعت يا شاعر خذيت أوصافي
 يبغي العلم التونسي رفرافي
 وتمتعوا بالنخر والسياده
 والفضل يرجع للحبيب الصافي
 والحزب ولي يحسنوا القيادة

بيت كيف جو اقصورنا بتمادي

وجود قصرنا من العاده

مجهول للفلاح يحفظ زاده

قداش باش انخرف
 تأمل جوابي منه زيد انخرف
 أمس على شط الهلاك انخرف
 نوى الفقر يجعلني محل اقصاد
 واليوم مشري في البنوك انخرف
 اندغم شرف الوطن واقتصاد

اضبحت الدول تعجبهم
 من المانيا وسويسرا نجلبهم
 جو النفاة وترتبي نرغبهم
 وفيهم البنسى ما ترك في ابلاده
 المناسب مناخي الفرحهم وطربهم
 ونوم عذب يشعر بيه وقت رقاده

سرت يقضتي في الغافل

وطمنت في حضن قلوب وجافل

ARCHIVE

http://Archivebeta.com

القصـور

علي الجليدي (*)

إن هزك الشوق أو سافتك أخبار
صانوا حماها وزادوا الأصل مفخرة
فاسأل قصورا كستها المجد آثار
لما كستها من الاسلام أنوار
يمضي الزمان ولا تمحى معالمها
أضحت رباطات دين الله ثابتة
وكيف يحجر منبع العز أعصار
وزال عن أرضها الاشرار والعار
سل هذه الأرض كمر من أمة نهشت
منها بعد جحوش الله صادقة
على ثراها وفيها الخير مزار
إن رامر قلعاتها السماء كفار
سل التصور اذا ما شئت معرفة
فيها الذخائر والأموال أمانة
اذ خلف زخرفة الآثار أسرار
من سطوة الغدر إن الدهر غرار
سل كل نافذة فيها وزاوية
فيها يحل نزاع القوم إن بطروا
عن أنه سيفها للأفك بتار
بالسمر حيناً وبالتنكيل إن جاروا
عن لوين بنوا أركانها ومضوا
سلها تجبك عن التاريخ ناطقة
والعرب من بعدهم في الخير قد ساروا
بالصمت والصمت في التبليغ عتار

(*) شاعره: تونس

عن الشجاعة والإكرام في سرف

عن التحدي ولو في ذاك أضرار

عن شدة البربر الأجلاف عن عرب

والعرب من قبل في التاريخ أخيار

قد وجد الدين فيما بينهم وطنا

والدين إن حل في الأعماق طهار

غذتهم الأرض حب الشمس فانصهروا

كالمعدن الحر فيه الضوء والنار

سل عنهم الغاصب المحتل ما فعلت

هذي القصور وجيش الغدر حرار

سل قائد الحزب في الخضراء عن

غرف لما كسأ من الأهلين إيثار

هذي القصور سنجمي مجدها أبدا

حتى ولو أن هذا المجد أحجار

إن كان من قبلنا لم يرول همته

نحر القصور فما في ذاك إنكار

من ينكر الشمس لما تبد وسطاعه

ما دون أنوارها البيضاء أستار

إن أهملوها فما في ذاك مظلمة

قد أخرتهم عن التكريم أعذار

قد كبل الغاصب المحتل رغبتهم

واليوم في تونس الخضراء أحرار

اليوم توليك ما يرضيك من كرم

في مهرجان بصدق الحب زخار

في مهرجان به السراء ظاهرة

تعلو الوجوه وفي الأعماق أوار

أرحل معي عبر مئات الشنين تجد

شعبا عريقا على الأوطان نغار

الحب في قلبه للأرض ما بقيت

فيه الحياة عزيز النفس صبار

قد كان في نجمة بالأمس تحرسه

مواكب الخليل في الظلمات أتمار

لها صهيل يخيف الحصر إن خطرت

للمشرف في نفسه والغدر أفكار

كمرق من شارد قد ند عن ابل

ردته ذي الخيل فيه العزم منهار

كمر أشبعت قويا بالصيد إن قرموا

والصيد من دونها في البهد أهدار

إن شئت أن تشهد الأجيال في عجل

فالمهرجان شريط فيه أخبار

فيه العروض تشد العين في عجب

ما شهدت مثلها من قبل أنظار

فيه البطولة في أثوابها ظهرت

للعين براءة ما فوقها قار

فيه العروبة وجه باسمر نظر

غطته في حكر عهد الظلم أطمار

اليوم لم يبق في الخضراء محتكر

في كفة سلطة التضييل سمسار

اليوم في تونس الفيحاء مجتمع

لم يبق في صفة للشتر أو كمار

لأعاش في تونس المرتد ما بقيت

للناس في الأرض طول النهر أعمار

